حركة المستضعفين
حركة التغيير التاريخي والحضاري
قراءة في فكر وكلمات الإمام الخميني رحمه الله

161

All rights reserved to Iraq Center for Studies

جميع الحقوق محفوظة لمركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

◄ بغداد _____ +964 7707961315

◄ المكتبة. بغداد _____ +964 7714490731

www.markazaliraq.net info@markazaliraq.net

تصميم الغلاف

Ahmad Al-hashemi

العنوان: العراق ـ النجف الأشرف ـ حي المعلمين

Tel: 07702781435 Email: ali.molaa14@gmail.com

حركة المستضعفين
حركة التغيير التاريخي والحضاري
قراءة في فكر وكلمات الإمام الخميني رحمه الله

تأليف

الشيخ علي حسين طه

161

حركة المستضعفين حركة التغيير التاريخ والحضاري

تاليف: الشيخ علي حسين طه
الناشر: مركز العراق للدراسات
المطبعة: الساقي للطباعة والتوزيع
رقم الاصدار: 161
الطبعة: الاولى
سنة الطبع: 2021م ـ 1442هـ
قطع الورق: 14×21
تصميم الغلاف: أحمد الهاشمي
الاخراج الفني: احمد الهاشمي

The Opinions And Ideas In The Book Doesn't Represent Necessarily The Institute Of Iraq Center for studies

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

المركز: العراق ـ بغداد ـ كرادة ـ العرصات

المكتبة: بغداد ـ شارع المتنبي ـ قيصرية مصرف الرشيد ـ البناية البغدادية

المحتويات

المحتويات ٥

نقطة البدء..... ٩

الإمام الخميني﵀ وحركات المستضعفين التحريرية ٩

مقدمة تمهيدية..... ١١

مقدمة تمهيدية ١١

هذا الكتاب ١٩

الفصل الأول: نظريات تفسير التاريخ ٢١

كلمات... حول تفسير التاريخ ٢٣

تمهيد ٢٥

نظريات في تفسير التاريخ (معايير التصنيف)..... ٢٧

حوار الحضارات أم (صراع) الحضارات..... ٧١

الثورة الإسلامية في إيران.. وحوار الحضارات:..... ٨٣

الفصل الثاني: الإنسان هو محور حركة التاريخ..... ٩٣

القرآن والسنن التاريخية ١٠٣

الحضارة والتفسير القرآني للتاريخ ١١٥

الفصل الثالث: حركوا المستضعفين ١٢١

القرآن والنبيﷺ والمستضعفون: ١٣٣
زبدة البحث ١٤١

الفصل الرابع: الصراع بين حزب المستضعفين..... ١٤٣

الإمام الخميني وحزب المستضعفين ١٤٥
حركة المستضعفين... والإنتماء المبدئي ١٤٧
الصراع بين حركتي المستضعفين والمستكبرين... متى يحسم؟ ١٥٣
الإمام الخميني ومفهوم حزب الله ١٧٣
رأس الأمر في حزب الله، هو الولاية ١٨١

الفصل الخامس: الثورة الإسلامية في إيران..... ٢٢٣

مع قائد ومفجر ثورة المستضعفين الإمام الخميني ٢٢٥
هكذا تحدث الإمام ٢٢٥
مع ثورة المستضعفين..... ٢٣٥
في جهادها من أجل تحقيق النصر..... ٢٣٥
إنها ثورة بحجم التاريخ والزمن ٢٤١
من ثمار ثورة المستضعفين الإسلامية في إيران... ..... ٢٥٣
إليك يا إمام ٢٦٣
إليك يا قائد الاحرار..... ٢٦٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ
وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (١)

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

نقطة البدء
الإمام الخميني ﷺ وحركات المستضعفين التحريرية

نداء الأمام ﷺ لحركات المستضعفين في العالم:

١- «أيتها الحركات التحريرية، وأيتها الشعوب المناضلة على طريق الحرية والإستقلال، قوموا وأنذروا شعوبكم وجميع الشعوب الإسلامية وقولوا لها: إن الخضوع للظلم أسوأ من الظلم وأقبح منه، وحذروا الحكومات كي تنفض عنها غبار الذل والاستكانة».

«الثورة الأسلامية والاستكبار العالمي، نداء الأمام الخميني ﷺ لحركات التحرر».

٢- «وأما وصيتي إلى الشعوب الإسلامية فهي: إجعلوا حكومة الجمهورية الإسلامية، وشعب إيران قدوة لكم، و إذا لم تستجب حكوماتكم الجائزة الإرادة الشعوب التي هي إرادة شعب إيران، فأجبروها بكل قوة على الاستجابة لذلك، فإن أساس شقاء المسلمين هو الحكومات المرتبطة بالشرق والغرب».

«ألتوصية السياسية الإلهية»

٣- «وصيتي إلى جميع مسلمي العالم ومستضعفيه هي: يجب ألا تجسلوا فتنتظروا أن يأتي حكام بلدكم ومن يعنيهم الأمر أو القوى الأجنبية، ويجلبوا الإستقلال والحرية هدية لكم».

«الوصية السياسية الإلهية»

٤- «كان المستضعفون طوال التاريخ إلى جانب الأنبياء وأوقفوا المستكبرين عند حدهم».

٥- «إننا لا نعادي أي شعب، لقد جاء الإسلام لجميع الملل إننا أصدقاء من يتعامل معنا إنسانياً».

٦- إننا نحب الإنسان، كان نبينا العظيم يحب الإنسان أيضاً وتحمل من أجل البشر المشاق والصعوبات، و إننا نتبعه في ذلك، ونقيم علاقات حسنة مع جميع فئات البشر ومع كل المستضعفين في العالم، بشرط أن تكون هناك علاقات متبادلة واحترام متقابل.

إننا نريد السلم، نريد العيش في ظل السلم مع جميع الناس في العالم، نريد أن نكون مسالمين لجميع الناس، نريد العيش مع شعوب العالم، لكنهم (أي المستكبرين) لا يسمحون لنا بذلك.

٧- «يا مستضعفي العالم.... إنهضوا واتحدوا واطردوا الظالمين فإن الأرض الله، وورثتها المستضعفون».

٨- «على المستضعفين في جميع أنحاء العالم ان يهبوا لأخذ حقهم بأيدواثقة، وأن لا ينتظروا من أولئك أن يعيدوا لهم حقهم، فإن المستكبرين لن تعيدوا لأحد حقه».

٩- «يا محرومي العالم، ومظلومي التاريخ إنهضوا ولا تنظروا أن يبادر الظالمون إلى إطلاقكم من القيد».

١٠- «إن النصر النهائي يكمن في إنتصار جميع المستضعفين على جميع المستكبرين»[1].

الإمام الخميني قدس سره

(١) الكلمات القصار، من كلام الإمام الخميني قدس سره - ص ١١٦ – مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره - الشؤون الدولية – طهران – إيران.

مقدمة تمهيدية

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآلة الانجبين وأنبياء الله أجمعين.

إن من يستقرئ الحركة التاريخية العامة، في تطورها وتغيراتها، يجد أن حركة المستضعفين؟، عبر مراحلها التاريخية كافة، كانت الحركة القائمة على رفض الظلم ومحاربة الظالمين والطغاة... وشعارها –دائماً– العمل لبناء المستقبل الحر، على أساس العدل و الإنسانية، فضلاً عن صناعة الحاضر، في عملية تفاعل تصحيحي للواقع الاجتماعي والسياسي، وتعديل لكثير من المفاهيم السائدة، والأعراف الحاكمة، ومحاولة تقويم مسيرة الحركات، التي اختارت السير بخلاف السير الواقعي، للحركة التاريخية، وذلك بمواجهة كل المعوقات أمام التطور الاجتماعي والعام، ويضاف إلى ذلك، الاستفادة من كل الظروف والأوضاع، التي يمكن أن تفسح في المجال أمام تحرك هادف، وفعال، لتحقيق أهداف الحركة المؤمنة بالله ورسله ورسالاته، خدمة للإنسانية المعذبة، مع تجاوز شتى أشكال الحالات الطائفية والفئوية والعنصرية...

ولو توجهنا، بعقولنا وقلوبنا، إلى عالمنا الذي نعيش فيه في زمتنا هذا، وفي هذه الفترة التاريخية المتميزة، من عمر البشرية، لرأينا أن الظلم قد ساد، وأن حقوق المستضعفين في الأرض مهدورة، وأن القهر هو شريعة الأقوياء... التي بها يلتزمون، ولأحكامها يطبقون.

والأمر الذي يبشر بانبلاج صبح الحرية، وزوال ليل الطغيان، هو ان

القاعدة المستفادة من تجارب التاريخ تقول: إنه كلما تعمق الحرمان، وانتشر الظلم وطغى الاستكبار في مجتمع من المجتمعات، كلما أرتفع وعي الإنسان المستضعف وترقى باتجاه فهم ما يجري، وهذا ما يحفز المستضعفين للبحث عن وسائل التغيير للواقع الفاسد بحيث شكل –ذلك– عبر الحقب المتطاولة من الزمن الأرهاصات الأولى لولادة حركات التغيير في العالم.

و إذا أردنا أن نذكر شاهداً على دعوانا، أتينا بشاهد كبير، جداً واضح، قد جرى في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو قيام الاستكبار العالمي بزرع نبتة سامة، في قلب المنطقة العربية والإسلامية، وكانت هذه النبتة هي الكيان المصطنع، الصهيوني الذي أسموه: دولة اسرائيل.

ولقد عمل الاستكبار، مع تعدد أشكاله ووجوهه، ومنذ البداية، على دعم هذا الكيان وتقويته ومده بوسائل الاستمرار والبقاء، والقدرة على العدوان والغصب.

وهذا ما خلق، حالة من الاهتزاز في الثقة، تطورت لتصبح حالة من فقدان الثقة، نتيجة الممارسات المفضوحة، والانحياز الكامل لصالح دولة العدوان والإرهاب، (الكيان الصهيوني)، من قبل الدولة الأعظم في العالم، الولايات المتحدة الأميركية، ومن يواليها، ويناصرها من دول الاستكبار.

وفي أحسن الحالات، يمكن القول أن التعهدات التي قطعتها المنظمات الدولية، وكذلك التوازنات، والمعادلات القائمة في العالم، قد أختلت، بشكل كامل، وسافر، لأن الغطاء الداعم الذي وفره المجتمع الدولي –الاستكباري– للكيان الصهيوني الغاصب –كما سبق الذكر– يتعارض مع كل المواثيق الدولية، وشرعة حقوق الإنسان، هذا فضلا عن

نفس عملية إقامة هذا الكيان اللاشرعي في فلسطين المحتلة، والذي أدى إلى أرتكاب الجريمة الكبرى في زمننا المعاصر، مما يندر وقوع مثيله في التاريخ، وهذه الجريمة تمثلت بتشريد شعب فلسطين، من أرضه، ليحل مكانه، في مساحة كبيرة اغتصبت من فلسطين، شعب «لقيط»، إن صح التعبير، أتى من كل مناطق العالم، يتكلم مختلف الالسنة، لا تجمع بينه سوى العنصرية الصهيونية اليهودية، ومقولة... «الشعب المختار».

ومن المعلوم إن حصول عمليات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قابلها عمليات التهجير للشعب الفلسطيني من أرضه ووطنه، بقوة الغصب، وحق القوة، الذي تؤمن به القيادات الصهيونية، في مواجهة قوة الحق، في الجانب الفلسطيني، والتي تحتاج إلى دعم من الأمة كلها، والشعوب العربية كافة، وكل الشرفاء والمستضعفين من شعوب العالم، للوقوف بوجه الدعم الكبير للكيان الصهيوني من القوى الاستكبارية العالمية.

إن هذا الظلم والطغيان، على الأمة كلها، وعلى مقدساتها، وحقوقها، كان المحرك الأساس والكافي أيضاً، لقيام حركات ثورية، مقاومة، حملت أمانة التحرير، وحتى العودة للشعب الفلسطيني، إلى الوطن السليب.

ولا شك أن هذه المسؤولية، ليست مسؤولية الشعب الفلسطيني وحده، بل هي المسؤولية، كل فرد، ومجموعة، وجماعة، ومجتمع من مجتمعات أمتنا العربية والإسلامية... لا بل هي مسؤولية كل إنسان يؤمن بالله، في العالم كله، ويؤمن بحقوق الإنسان، وينكر الغصب والاستكبار والطغيان.

وانطلاقاً من هذه الثوابت، كانت قضية الشعب الفلسطيني وتحرير القدس، والمقدسات، والارض المغتصبة، عنصراً مركزياً من عناصر أي منهج ثوري، لأية حركة تغييرية مؤمنة بالله والإنسان.

ومن المصاديق الكبرى لحركات المستضعفين، التي حملت هذا الهم، بجدارة، وكفاءة منقطعة النظير، المقاومة الإسلامية، في لبنان والإنتفاضة الثورية في الأرض الفلسطينية المحتلة.

إن ما قامت به المقاومة الإسلامية في لبنان، من مقارعة العدو الصهيوني منذ عام ١٩٨٣م، وسقوط مئات الشهداء في المواجهات البطولية، بالإضافة إلى الاستشهاديين الأبطال، الذين فجروا أنفسهم في قوافل ومعسكرات الأعداء.... أضف إلى ذلك العمليات الجهادية والاستشهادية التي كان لها الأثر الإيجابي البارز على تحريك الوضع الفلسطيني، ومن ذلك استخدام حركة الانتفاضة بعض الأساليب التي مارستها المقاومة الإسلامية في لبنان، كأعظم سلاح متفوق على التفوق التسليحي والقدرات العسكرية الضخمة للعدو الصهيوني، ألا وهو سلاح الاستشهاد، وتحويل الاجساد إلى قنابل بشرية، لا تقاوم، ولا يتوفى منها.

ولقد ثبت بالدليل والبرهان، أن العمليات الاستشهادية قادرة على إسقاط كافة المخططات التآمرية، وحتى الخطط العسكرية الصهيونية التي اعتمدها «الصهيوني» لحماية آمنة، وتأمين استقرار المستوطنات والمدن المحتلة، حتى يشعر الصهيوني المحتل بالأمان... إلا أن بطولات الاستشهاديين، مع كثرة طالبي الاستشهاد، وقدرتهم على اختراق شتى الحواجز المقامة من قبل العدو الصهيوني... في الأرض المحتلة أذهلت العالم، وشدت من عزائم المستضعفين المقهورين في أقطار الأرض.... ثم إن المعارك التي خاضتها المقاومة الإسلامية، والتي أحرزت بالصبر والصمود وبذل المهج، الانتصار العظيم على جيش الكيان الصهيوني المحتل، الذي وصف بأنه لا يقهر، كانت خير أسوة وقدوة، ونبراساً يضيء الدرب لسالكي طريق الجهاد والحرية....

ولقد كان للمقاومة الإسلامية، ومهاجمتها لمواقع العدو وعملائه، ورفعها لراياتها فوق تحصينات ودشم ومواقع العدوان، التأثير الكبير على جعل العدة يأخذ قرار الانهزام والتقهقر، والهرب أخيراً تحت جنح الظلام باتجاه الأرض المحتلة.

وكان النصر – وما النصر إلا من عند الله - على العدو نصراً مؤزراً، تجلى بصور رائعة... و إذا بمواقع العملاء تسقط الواحد تلو الآخر، بعد قرار دليل لجيش العدوان، امام المقاومة التي لاحقته بقداتفها... وهو يجر أذيال الخيبة والخسران، مذموماً مدحوراً.

ويبزغ فجر يوم ٢٥ / أيار / ٢٠٠٠م، ليكون يوم الانتصار للمقاومة البطلة، ويوم الاندحار للعدو الصهيوني الغادر.

إن من يدرس أسباب هذه النجاحات والانتصارات الباهرة، على أقوى قوى عاتية، في هذا الزمن، يستنتج أموراً كثيرة، كانت جملة العوامل التي حققت الإنتصار، للمستضعفين في حركتهم، على جيوش الاستكبار والطغيان... منها:

أولاً: توفر القيادة المبدئية، الواعية...

ثانياً: إعتماد أسس تنظيمية، منفتحة على كافة قطاعات الأمة، بحيث تمكنت من تجميع الطاقات بشكل منظم، وفاعل، وبذلك أدت الدور المطلوب.... من المساهمة في عملية التغيير الكبرى بإزالة أكبر حاجز من أمام هذه الحركة التغييرية وهو حاجز الاحتلال.... وتبقى كمطلب رئيس – قضية الإعداد والاستعداد، لإكمال العملية التغييرية، وتحقيق أهداف حركة المستضعفين، مع العلم أن هذا يحتاج إلى «تجمع كافة الطاقات»، لتصب جميعها في مصب تحقيق الغايات والأهداف التي تعمل من أجلها حركة المستضعفين حيثما وجدوا...

ولا شك أن نظم الأمور، من الحاجات الثورية، ومن شروط النجاح، وهذا يتوقف على:

١- توزيع المسؤوليات، والمهمات بالشكل الذي يتناسب مع قدرات و إمكانيات الأفراد، والجماعات.

٢- تحديد الأهداف القريبة والبعيدة، وعدم الخلط بينها، ونسيان أو تناسي بعضها أو إغفاله...

٣- تحديد الوسائل الموصلة لهذه الأهداف، مع المواءمة بين شرافة الهدف، وشرافة الوسيلة.

من الواضح أن السلك الرابط بين وحدات المجتمع هو حسن التنظيم، والتزام النظام، لأن أنعدامهما أو ندرتهما يؤدي إلى ضياع الجهود، ويصبح التخطيط بلا فعالية أو فائدة...

ونستطيع القول، إن حركة المستضعفين، يحالفها النصر دائماً، إذا نقدت خططها، ضمن إطار فهم واستيعاب للقوانين العامة التي تحكم مسيرة التطور التاريخي...

ولتحقيق هذا الهدف ينبغي الاعتماد على النظرية القرآنية في فهم التاريخ، وبذلك نفهم –بشكل أعمق –الأسس التي تقوم عليها حركة المستضعفين، خلال مراحل التاريخ.... وعلى ضوء ذلك، تتبلور أمامنا النظرية التغييرية القرآنية، فتتحدد قوانين تغيير المجتمعات وتطوراتها، وذلك لأن كتاب الله، لا يحتاج إلى كاشف خارجي لخصائصه ومميزاته، لأن نوره الذاتي، يضيء الطريق للسالكين، في مختلف الأوضاع، والأزمنة، والأمكنة، ليهتدوا إلى الحقيقة المنيرة بذاتها.

يقول عز وعلا: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[1].

إن نظريتنا في تفسير التحولات التاريخية والحضارية، تختلف أختلافاً جذرياً عن نظرية المادية التاريخية، والنظريات الأخرى... لذلك هي بحاجة إلى إلقاء الأضواء، الكاشفة لها، لإظهار تميزها، وعمقها، وشموليتها، وواقعيتها... وهذه النظرية، مستنتجة من تعاليم، ومفاهيم الرسالة الإلهية، التي هي مجموعة المنطلقات والمبادئ، ذات المصدر الرباني، والتي تشكل وحدة متكاملة، مترابطة، تحدد الأسس العقيدية التي يرتكز عليها البناء الفكري للمؤمن بهذه العقيدة.

وفي نفس الوقت، فإن مفاهيم عامة، تنبثق من هذه القاعدة الفكرية، ترتبط بهذه الأسس... وهي تهدف إلى خلق وعي كوني يقوم على أساس فهم شمولي لبداية ونهاية وغاية الكون والإنسان والحياة والكائنات، ضمن إطار عملي – تطبيقي، يخرج المؤمن المثمر، الذي ينعكس على مستوى الأفراد، والجماعات البشرية، تغييراً في الذوات، وترجمة عملية للمنطلقات، وهذا يؤدي –بالتالي إلى بلورة الوعي الاجتماعي المرتبط بالوعي الكوني

(١) النور: ٣٥ (كمشكاة مثل كوة، أي خرق في الحائط غير نافذ، كوكب دري: مضيء متلألىء كأنه الدر في صفاته).

هذا الكتاب

إن هذا الكتاب يبحث في موضوع ذي حساسية بالغة، وأهمية فائقة، وهو مسألة التغيير الاجتماعي والحضاري، وجور حركة المستضعفين العالمية في هذا التغيير.

ويتوفر البحث على مناقشة عدة نظريات حاولت من منطلقات مختلفة، تفسير حركة التاريخ، والتطورات الاجتماعية والسياسية والحياتية بشكل عام، لذلك فإن هذه النظريات، إنطلقت لتعطي تفسيرها للتاريخ على أساس العامل الواحد، فالمادية التاريخية تبنت التفسير المادي القائم على تأثير العامل الاقتصادي، والنظرية الجنسية الفرودية، جعلت العامل الجنسي هو العامل المحرك، وهناك النظرية الطبيعية الجغرافية، والنظرية العرقية أو نظرية الاجناس أيضاً، ويأتي التفسير المثالي (الهيغلي)، ليقف بوجه التفسير المادي الماركسي، و إن كان هذا الأخير يتبنى نفس المنطق الذي يقوم عليه المنطق المثالي، وهناك تفسير: توينبي الذي يطلق عليه: التفسير الحضاري... ونظرية نهاية التاريخ (فوكوياما).... ونظرية صدام الحضارات (هنتنغتون)...

وبعد مناقشة –سريعة –لهذه النظريات، ينتقل البحث لتقديم النظرية القرآنية لتفسير التاريخ والعوامل المتعددة في حركته وعناصر بناء الحضارات، وعوامل اندثارها، بحيث تعتبر هذه النظرية، المستفادة من نصوص القرآن الكريم، ككتاب إلهي، أن الإنسان هو المحرك الأساس للتاريخ...

كما نرى ان حركة المستضعفين هي الحركة ذات التأثير الأبرز، في التغييرات الاجتماعية، وأنها تشكل جوهر حركة التغيير التاريخي.

وهذا البحث يتألف من ستة فصول:

الفصل الأول: يتحدث عن عدة نظريات في تفسير التاريخ (باختصار) ويناقشها.

الفصل الثاني: يطرح النظرية القرآنية في تفسير التاريخ، ويبين إن الانسان هو محور الحركة التاريخية.

الفصل الثالث: يتحدث عن دور المستضعفين في حركة التغيير التاريخي، باعتبار أن حركة المستضعفين هي جوهر الحركة التاريخية.

الفصل الرابع: هذا الفصل يحري مقابلة بين مصطلحي حزب الله وحزب الشيطان على ضوء النصوص القرآنية، باعتبار أن حركة المستضعفين الملتزمة والمؤمنة بالقيم والمنطلقات والأهداف الإلهية.... يسميها القرآن: حزب الله..... ويصفهم بأنهم مفلحون، وغالبون...

الفصل الخامس: يتوفر على الكلام حول الثورة الأسلامية في إيران، باعتبارها النموذج الذي يقتدى في عالم ثورات المستضعفين، وخير مصداق لها، والتي كان من ثمارها اليانعة، المقاومة الإسلامية في لبنان، والانتفاضة –المقاومة في فلسطين المحتلة...

ويبرز هذا الفصل خير الشهادات، وهي شهادة مفجر الثورة الإمام الخميني ﷺ إذ يعتبر أن الحجة الإلهية قد تمت باندفاع شباب المقاومة الإسلامية نحو الشهادة.... وأن أسرائيل بؤرة الفساد ولا بد من أجتثاث جذورها... بالمقاومة والانتفاضة أيضاً...

الفصل الأول:
نظريات تفسير التاريخ

كلمات... حول تفسير التاريخ

«إن الفلاسفة لم يأتوا سوى تفسير العالم بأساليب مختلفة، ولكن الغاية هي تحويله».

(ماركس أطروحة حول فورباغ)

من لا يقرأ التاريخ لا يصنع المستقبل.

يرى البعض أن المؤرخ أشبه بالقاضي الذي يصدر حكماً فلا ينحاز ولا يتعصب ولا يمالئ ولا يتحامل أو يتحايل في أحكامه، ومن حق الماضين علينا أن ننقل أفكارهم وأعمالهم كما فهموها وطبقوها، لكن من حقنا كذلك منها ما هو مهم أولاً، ثم تفسرها جون عبث بالتاريخ يؤدي إلى اهتزاز الثقة بالكتابة التاريخية».

«د.أحمد محمود صبحي في فلسفة التاريخ، الجامعة الليبية، ص ١١٨»

«إن بعض مؤرخينا ماضويون أكثر من الذين صنعوا الحدث التأريخي أو عاشوه في الماضي بمعنى أنهم يسترجعون الماضي، ويريدون نقله وتقليده في الحاضر، وهم بذلك يدفعون باتجاه سيطرة الموتى على الأحياء، أو سيطرة الماضي على الحاضر، ذلك يفسر لنا ظاهرة الأغراق في الذاتية على حساب الموضوعية، فالتاريخ علم المتغيرات، وهناك مستجدات في حركة التطور التاريخي، ومهمة لمؤرخ لا تقف عند حدود الرصد والنقل والتسجيل والفهم الذاتي لها، و إنما تقف عند الظاهر والتحولات التأريخية بعقلية علمية تغلب الموضوعية على الذاتية».

«مجلة عالم الفكر – الفكر التاريخي – مجلد٢٩، ص ٧٧، المجلة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.. نقلاً عن: د. مصطفى العبادي – منهج البحث التاريخي وتطبيقاته المعاصرة، ندوة مجلة العلوم الإنسانية – جامعة الكويت ٢٥ – ٢٨ / ٥ / ١٩٨٨م

المجلة العربية للعلوم الإنسانية – خريف ١٩٨٨م، ص ٢٠٣.

تمهيد

إن مسألة تفسير التاريخ من المسائل الأساسية، التي توقف عندها المفكرون والفلاسفة، وكان لها في النظم الفلسفية شأناً كبيراً، أتخذ عدة اتجاهات، حسب الأسس التي بنيت عليها هذه النظم والمذاهب، إلا أن هناك فروقات جوهرية بين المذاهب الوضعية، والمذهب القرآني في هذه المسألة، وهذه الفروق تتركز حول المنهج المتبع، وهذا يظهر عند المفكر الذي يسعى إلى وضع تفسير مترابط للتاريخ فيضع القواعد والقوالب، ثم يحاول أن يدلل عليها بوقائع تاريخية، وكثيراً ما نرى، أن بعض الحوادث التاريخية تحشر حشراً، وتعصر عصراً، بغية إدخالها في قالب أعد لها سلفاً، وربما سيق بعضها ليستنتج منه، نتيجة لا تتلاءم مع الحادثة، وهذا ما ظهر عند الكثيرين ممن حاولوا تقديم تفسير للتاريخ من أصحاب المذاهب الاجتماعية.

ويلاحظ أن المذهب القرآني، في حال التمعن والتدقيق فيه، يرسم السنن التاريخية الحاكمة للتاريخ والحضارة، منطلقاً من الحوادث التاريخية، والرؤية المستقبلية، ضمن إطار الشمولية، والإحاطة العامة بمختلف الجوانب، مفسحاً في المجال لجميع العناصر المستجدة، فلا هو يقيد الحدث التاريخي بحيث يصبه في قالب جامد، ولا هو يترك الثغرات أمام الفكر البشري، والتطور الاجتماعي، بل يحدد التصميم العام، والخطوط الأساسية، لفهم التاريخ بشكل موضوعي، بعيداً عن الترجيحات والتفسيرات المبهمة، والتعسف في السرد للوقائع، وعلى هذا الأساس، فإن

تفسير التاريخ له أهمية كبرى في فهم الحياة وتطورها، إذ أنه يعتبر القاعدة المتينة التي تبنى عليها النظم والمبادئ، باعتبار أنه لا يوجد أي فاصل بين مراحل الحياة، فالحاضر وليد الماضي، والمستقبل وليد الحاضر، والحاضر ماض بالنسبة للمستقبل والمستقبل حاضر بالنسبة للماضي.

إن صحة القوانين والسنن التي تكشفها دراسة التاريخ وتفسيره، عامل أساس في صحة التوجهات لتطور الحياة وصنعها و إعمارها.

نظريات في تفسير التاريخ[1]
(معايير التصنيف)

تقسم النظريات المفسرة للتطور التاريخي، إلى قسمين، ويمكن النظر إليها من جهتين، جهة أعتماد العامل المحرك للتاريخ، وجهة وضعيتها أو ربانيتها:

أ- التقسيم المستند إلى العوامل المحركة:

أولاً: النظريات المرتكزة على أساس المحرك الوحيد للتاريخ، والتي ترى أن العوامل الاخرى تنشأ وتتأثر بالعامل الأساس، وكأمثلة على هذا الاتجاه نذكر النظريات التالية:

نظرية المادية التاريخية –النظرية الجنسية الفرودية –النظرية الطبيعية الجغرافية –نظرية ألأجناس البشرية.

ثانياً: النظرة القائلة بتعدد العوامل المحركة للتطور التاريخي، والتي تعتبر الإنسان محور الحركة التطورية للمجتمعات، وتتمثل بالتفسير القرآني للتاريخ.

ب- التقسيم المستند إلى مصدر التفسير للتطور التاريخي.

أولاً: التفسير الوضعي (البشري)، ومن الأمثلة عليه: التفسير المثالي –

---

(١) هذا القسم من البحث طبع سابقاً (كفصل من بحث آخر) ولكن حالت ظروف دون توزيعه بالشكل الكافي، فأثرت مراجعته، واستكماله، والزيادة عليه، وإضافة قسم جديد (وهو القسم الأكبر) استكمالاً لفكرة الكتاب وموضوعه.

التفسير المادي – التفسير الحضاري.... «نهاية التاريخ – صدام الحضارات».

ثانياً: التفسير القرآني: وهو التفسير المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كمصادر أساسية للفكر الأسلامي.

نظرة سريعة في نظريات مفسرة للتاريخ

نظرية المادية التاريخية أو التفسير المادي للتاريخ:

يقول انجلز: «كما كشف دارون التطور العضوي للعالم، فكذلك كشف ماركس قانون تطور التاريخ البشري، وهو تلك الحقيقة البسيطة التي كانت حتى الوقت الأخير مخفاة تحت أغطية أيديولوجية، حقيقة أن الناس يجب أن ياكلوا ويشربوا ويملكوا المسكن والملابس، قبل أن يكونوا قادرين على الاشتغال بالسياسة والعلم والفن والدين إلخ.... ومن ثم فإن إنتاج الوسائل المادية المباشرة للحياة، وكل درجة معينة في التطور الإقتصادي للشعب أو العصر تكون القاعدة التي تتطور على أساسها مؤسسات الدولة والأراء القانونية والفن بل والتصورات الدينية لهؤلاء الأفراد، والتي بمقتضاها يجب لهذا أن تفسر وليس العكس كما هو الحال حتى الآن»[١].

ويقول لينين: «إن إرجاع العلاقات الاجتماعية، إلى العلاقات الإنتاجية، وتلك الأخيرة إلى مستوى القوى المنتجة، هو وحده الذي قدم أساساً راسخاً لتصور تطور التشكيلات الاجتماعية يكونه عملية تاريخية طبيعية»[٢]، وهكذا فإن العامل الاقتصادي هو الذي يحدد جميع الأوضاع الاجتماعية من فكرية وسياسية، ودينية، وحقوقية، أي أنه هو الذي يكيف جميع البينات الفوقية.

---

(١) ماركس وانجلز – المؤلفات المختارة – والمجلد الثاني ص ١٥٧.

(٢) لينين – المؤلفات – المجلد الأول – ص ١٢٣.

وترى الماركسية أن أشكال الملكية خلال التاريخ هي:

١- المشاعة البدائية.

٢- العبودية.

٣- الإقطاعية.

٤- الرأسمالية.

٥- الاشتراكية ثم (الشيوعية).

مناقشة النظرية:

أ- إن هذه النظرية تحكم على نفسها بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يظهر أنها ليست قوانين مستمرة في فعلها، دائمة في تأثيرها على المسيرة التاريخية للتطور الاجتماعي، باعتبار أن الأوضاع الاقتصادية التي عاشها ماركس، في ظروف خاصة، أملت عليه هذه النظرية.

فالوضع الاقتصادي في نظر المادية التاريخية «هو الأساس الواقعي للمجتمع بكل نواحيه.... ففكر الإنسان انعكاس عقلي للأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية التي يعيشها، وهو ينمو ويتطور طبقاً لتطور تلك الأوضاع والعلاقات... وبالرغم من وصول الماركسية إلى هذه النتيجة في تحليلها الأجتماعي، أبت أن تطبق هذه النتيجة على نظريتها التاريخية نفسها فنادت بالمادية التاريخية كحقيقة مطلقة.. ولو كلفت الماركسية نفسها شيئاً من ذلك، كما يحتمه عليها الحساب العملي، لأضطرت إلى القول: إن المادية التاريخية يوصفها نظرية معينة قد انبثقت من خلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، فهي ككل نظرية نابعة من الظروف الموضوعية التي تعيشها»[1].

(١) (الصدر): محمد باقر – إقتصادنا – صفحة ٤٠، ٤١، ط٣.

ب- ومن جهة ثانية فإننا سنحاول إن نناقش النظرية من زواية أخرى فنتساءل: ماهي قوى الأنتاج؟ والجواب: «إن قوى الإنتاج هي القوى التي يستخدمها الإنسان في الإنتاج الأقتصادي من صفات الخصب في التربة، والخواص التي تتميزبها المعادن، والقوى الآلية والكيماوية في الطبيعة، وحرارة الشمس، وقوة البخار والكهرباء وكذلك قوى الحيوانات والإنسان نفسه».

إن تاريخ الإنسان حافل بالشواهد على ذكاء الإنسان كان العامل الأول في اكتشاف هذه القوى، «ولولم يكن الأمرهكذا، أو لم تكن هناك حاجة إلى الذكاء لاكتشاف قوى الطبيعة واستخدامها... لأنشأت الأجناس الدنيا مدنيات بنفس السرعة التي تنشئها بها الأجناس العليا... ملايين الأغصان نمت على الأشجار، أو كانت ممددة على الأرض، يمكن أن تقوم بعمل العتلات أو تكون سياجات، وكان هناك أحجار حادة كثيرة، يمكن أن تستخدم كسكاكين أو فؤوس، والبخار ظل يرفع غطاء الإبريق مئة ألف مرة، ومع ذلك لم يصبح الاكتشاف ممكناً حتى جاء رجل ذو ذكاء كاف، وعزم على ان يستفيد من الغصن او الحجر، ورجل موهوب، رأى أن البخار الذي كان يرفع غطاء إبريق الشاي يمكن أن يفيد في أغراض أعظم بكثير» [1].

ج- «وهنالك أيضاً كثيراً في التاريخ غير العامل الاقتصادي، فالإنسان لا يقصر حياته على أن يحبو على بطنه، فهنالك كل أشكال الحماس، والولاء، والإيحاء، والإلهام، التي تحفز الإنسان للعمل، التي هي رغم ذلك غير اقتصادية بتاتاً، ولكنها في نفس الوقت تؤثر على الظروف الاقتصادية، وفوق كل ذلك فإن تأثير الذهن على الذهن م نتائج هذا

(١) (صديقي): عبد الحميد – تفسير التاريخ – ص ٩٣ – ٩٥.

التأثير البعيدة، وهو من أعظم التأثير في العالم، يستعصي على التفسير الاقتصادي... إن الأصوب عند تفسير التاريخ أن يتواضع المرء، وربما أن يعتقد بعدم كفاية عقله الإدراك الغيبيات، ذلك أنه يدرك أن تاريخ الإنسان، إنما تكونه عوامل كثيرة ليس الاقتصاد إلا عاملاً واحداً منها وربما لم يكن أكثرها أهمية»[1].

د- ونجدر الملاحظة، إلى أن المادية التاريخية، بشكلها البسيط، يمكن أن ترى كاملة في بحث أعده «هولباخ»، وهي أيضاً مدينة بالكثير إلى «سبينوزا» وقد أعاد «فيورباخ» تقرير شكل مجدد منها في أيام ماركس نفسه. ويمكن أن نرى النظرة إلى التاريخ الإنساني على أنه دراسة للحرب بين طبقات المجتمع عند «سانت سيمون»... أما النظرية العلمية لحتمية حدوث الأزمات الاقتصادية حدوثاً منتظماً، فربما أول من وضعها «سيسموندي»، «وأما النظرية العلمية لظهور الطبقة الرابعة فقد اتخذها دون ريب أوائل الشيوعين، ودعا إليها في ألمانيا في أيام ماركس كل من «فون شتاين» و «هيس» وأما التسلط المطلق للطبقة العاملة «ديكتاتورية البروليتاريا» فقد وضع «بابويف» خطوطه الكبرى بشكل ظلال، وذلك في آخر عقود القرن الثامن عشر وبأشكال مختلفة، كل من «فايتلنغ» و «بلانكي»، وقد زاد في إيضاح المركز الحاضر والمستقبل للعمال وأهميتهم في الدولة الصناعية «لوي بلون» وأشتراكيو الدولة الفرنسيون بشكل أكثر تكاملاً مما يوافق ماركس على أقراره وأما نظرية القيمة الفائضة المبنية على العمل، فتستمد من «لوك» و «آدم سميث» و الاقتصاديين القدامى المحافظين «الكلاسيكيين» ونظرية الاستغلال وقيمة الفائض ومعالجتها بسيطرة الدولة، سيطرة مباشرة يمكن ان ترى

(١) نفسه ص ٩٨، ٩٩.

لدى كل من «فورييه» وفي كتابات الأشتراكيين الأوائل مثل «بري» و «تومسون» و «هولجسكن»[١].

هـ وهكذا نستطيع أن نقرر أن ماركس، لم يكن المؤسس للتفسير الديالكتيكي للتاريخ، و إنما نسق هذه النظريات التي اقتبسها عن غيره واستعان بديالكتيك «هيغل»، وكانت المادية التاريخية نظرية تفسير التاريخ البشري على أساس العامل الاقتصادي إلا أن وضوح خطأ الفكرة جعل انجلز يعترف بذلك ويتراجع عنها عندما قال: «إن توجيه الكتاب الناشئين، الاهتمام إلى الجانب الاقتصادي باكثر مما يستحق، امر يقع اللوم فيه على عاتقي وعاتق ماركس، لقد كان علينا أن نؤكد هذا المبدأ الرئيس لنعارض خصومنا الذين كانوا ينكرونه، ولم يكن لدينا الوقت أو المكان أو الفرصة، لنضع العناصر الأخرى التي تتضمنها العلاقة المتداخلة في مواضعها الحقيقية»[٢].

ويوضح «جورج لوكاش» العلاقة بين المنهجية الماركسية والمنطق «الهيغلي» فيقول: «إن نفهم المركز الحيوي لهذه المنهجية، أعني الجدلية، بات صعباً وشبه مستحيل على انه من المستحيل معالجة معضلة الجدلية الملموسة والتاريخية، دون أن ندرس عن كثب مؤسس هذه المنهجية، اعني به هيجل، وصلاته مع ماركس، إن تنبيه ماركس كي لا نعتبر هيجل «كلباً فاطساً» ظل حرفاً ميتاً، حتى للكثيرين من الماركسيين الصالحين..»[٣].

يقول الشهيد العلامة مرتضى المطهري: «من عجائب القضايا أن

(١) نفسه، هامش ١، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) التفسير الإشتراكي للتاريخ ص ١١٦.

(٣) لوكاش: جورج – التاريخ والوعي الطبقي – ترجمة د. الشاعر: حنا – ص ٩، (المقدمة) – دار الأندلس – بيروت – ط ٢ – ١٩٨٢م

ماركس الذي يدعي المادية التاريخية في كتبه الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية حينما يحاول تحليل بعض الأحداث التاريخية وتعديلها قل ما يتوجه إلى أصول المادية التاريخية لماذا؟ لقد أجيب على هذا السؤال بأجوبة مختلفة، ولكن ذلك لا يختنص بهذه المسألة ففي كثير من المسائل الماركسية تتناقض طريقة ماركس، أي أن نوعاً من العدول عن الماركسية نظرياً أو عملياً يشاهد من جانبه...».

ويضيف العلامة المطهري: «ولكننا نعتقد أن السبب في تناقضات ماركس أنه كان أقل ماركسية من أغلب الماركسيين يقال أنه حينما كان يدافع في مجمع من الماركسيين عن نظرية مخالفة لنظريته السابقة واجه اعتراض السامعين، فأجاب: «إني لست ماركسياً بقدر ما أنتم ماركسيون» وقيل: إنه قال في أواخر حياته: «إني لست ماركسياً أصلاً..»[1].

النظرية الجنسية:

وهي النظرية التي تقول: إن الغريزة الجنسية وراء النشاطات الإنسانية بمختلف أشكالها، و إن حياة الإنسان وتطور المجتمعات متعلق بها... يقول زعيم هذه المدرسة «فرويد» إهتديت إلى ان الوظيفة الجنسية موجودة منذ بدء حياة الفرد، برغم أنها تكون في بادئ الأمر ممتزجة بالوظائف الحيوية الأخرى، فلا تستقل عنها إلا فيما بعد... وقد أطلقت أسم الليبيدو على طاقة الغائز الجنسية دور غيرها»[2].

إلا أن فرويد عاد في وقت آهر ليقول: «إن الطاقة التي تمثل غرائز الانا إن هي إلا جزء من الليبيدو»[3].

(١) المطهري: العلامة مرضتى – المجتمع والتاريخ – ص ١١٠، ١١١.
(٢) (عبد الغفار): د. عبد السلام – مقدمة في علم النفس – ص ١٠٨.
(٣) (فرويد) حياتي والتحليل النفسي – ص ٤١، ٤٢.

ويرى فرويد: «إن عملية الوصول إلى موضوع للحب تلك العملية التي تلعب دوراً هاماً في الحياة النفسية تتمشى مع تكون الليبيدو فبعد مرحلة الشهوانية الذاتية يكون أول موضوع للحب والمجتمع لدى الجنسين هو الأم... وبعد ذلك في السنوات الأولى للطفولة أيضاً من الطفولة تتكون العلاقة المعروفة بعقدة أوديب: فيركز الأولاد رغباتهم الجنسية في الأم وتتكون لديهم دوافع عدوانية ضد الأب بوصفه غريماً وتتخذ البنات إتجاهاً مقابلاً»[1].

ويكفينا في نقد هذه النظرية تراجع فرويد نفسه، وذلك بتوسيع عرضه لاكتشافاته في حياة الإنسان الجنسية قوله: «هذا التوسع ذو شقين: أولهما فصل الجنسية عن ذلك الارتباط الضيق بالأعضاء التناسلية واعتبارها وظيفة جسمية أشمل من ذلك... وثانيهما اعتبار الدوافع الجنسية متضمنة كل مشاعر الود والصداقة.

ولست أعتبر مع ذلك، أن في هذا التوسع في معنى الجنسية أمراً جديداً بل تصحيحاً غرضه إزالة ما أحاط بفكرة الجنسية من حدود ضيقة أنسقنا إلى وضعها إنسياقاً»[2].

النظرية الطبيعية الجغرافية:

هذه النظرية تتلخص بأن الوسط الطبيعي والجغرافي هو العامل الوحيد لنشأة المجتمع وتطوره، و إن الأخلاق والفلسفة والأدب والفن والطبائع والقوانين والتفكير مرتبطة جميعها بالوسط الجغرافي والهواء والأرض والأقليم، الذي يعيش فيه الإنسان، فأبقراط –مثلاً– يرى أن أخلاق الناس الذين يعيشون في البلاد المرتفعة تختلف عن الذين يقطنون

(١) حياتي والتحليل النفسي – ص٤٢.
(٢) نفسه ص ٤٤.

السهول والشواطئ ويقول «مال برانش»: «إن للهواء الذي يتنفسه الإنسان تأثيراً على عقله».

أما مونتيسكيو «فإنه يؤمن بالعلاقة السببية بين الأقليم الطبيعي والمجتمع في كيانه الاجتماعي والأخلاقي والسياسي والقوانين الدستورية والعادية...

ونسي هؤلاء أن للإنسان ونشاطه، وعمله أكبر الأثر في عملية السيطرة على الطبيعة، و إخضاعها لشروطه في احيان كثيرة، وحسب التطور العلمي للإنسان، فهو الذي استطاع أن يجعل من الصحارى أراض صالحة للزراعة، وهو الذي يستطيع أن يدمر مدنيات زاهرة إن أراد»[1].

ويمكن لنا القول مع توينبي إن البيئة الجغرافية وحدها ليست عاملاً أساسياً في نشوء الحضارات الأولى، فهتالك –مثلاً– أحواض أنهار تشابه وديان النيل ودجلة والفرات، جغرافياً، لم تنشأ فيها حضارة مستقلة مطلقاً، ولكن عندما استوطنتها جماعات كالأوروبيين المحدثين، وعرفت كيف تستجيب أستجابة ناجحة لتحدي البيئة الطبيعية هنالك، نشات فيها حضارات لم يتمكن السكان القدماء من إنشائها بدافع البيئة الجغرافية وحدها.

والحضارات قد تنشأ في بيئات مختلفة، فقد تكون البيئة الطبيعية التي تساعد على قيام الحضارات، بيئة رسوبية كما في مصر والسند والعراق أو قد تكون هضبية، كما في مواطن الحضارات الحثية والمكسيكية، أو قد تكون أرخبيلية كما في الحضارتين الأغريقية واليابانية.

(١) (رباط): إدمون – الوسيط في القانون الدستوري العام – الأسس الأجتماعية للأوضاع الدستورية – ص٣١.

كل هذا يدل على أن لأي نوع من أنواع المناخ، والطبوغرافية، القابلية لأن يكون بيئة مساعدة للنشوء الحضاري، بشرط أن يتوفر وجود الحافز الأساسي.... إن هناك نوع من التفاعل الخلاق بين مختلف العوامل إذ أنه «ليس السبب في نشوء الحضارات بسيطاً ولكنه متعدد، وليس وحدة مستقلة لكنه علاقة مشتركة»[١].

النظرية العرقية أو نظرية الأجناس:

يعتقد عدد من علماء الأجناس، والأثنولوجيا، أن البشر نتيجة لتعرضهم لفروقات مناخية عظيمة بعد إنتشارهم في الأرض تميزوا عن بعضهم بخصائص فيزيولوجية ونفسية خاصة. ويفترض علم النفس الاجتماعي وجود صلة وثيقة بين قيمة الخصائص النفسية وطبيعة المزايا الفيزيولوجية المتفاوتة في الأجناس البشرية المختلفة[٢].

فالفروقات الشكلية بين الاجناس البشرية اتخذت كذريعة لتأسيس فلسفة تفسر التطور الحضاري، بتفوق بعض الأجناس على البعض الآخر، وأن هذا التفوق، يرتكز على التركيب البيولوجي للاجناس من أشهر من كتب في هذه النظرية «كوبينو» وقد أخذ عنه الألمان البانجرمانيون، ومن ثم النازيون من الكتاب، على أن الفلسفة العنصرية لم تقتصر على ألمان بل شملت غيرهم من الشعوب[٣].

وينتقد توينبي النظريات الأثنولوجية، ويعلن إخفاقها في تفسير عملية النشوء الحضاري... إذ أن القول يتفوق الجنس الأبيض بفروعه الثلاثة: النوردي، والألبيني، والأيبيري، والأدعاء بأن أبناء هذا الجنس هم الذين

(١) (خليل): د. عماد الدين – التفسير الأسلامي للتاريخ – ص٧٣.
(٢) نفسه ص٧٢.
(٣) (رباط) الأسس الأجتماعية للاوضاع الدستورية – ص٣١.

أنشأوا الحضارات، وأمدوها بالعبقريات في شتى مناحي الإبداع، والقول بامتياز العنصر الجرماني على غيره من العناصر، والزعم البريطاني – الإسرائيلي – القائل بتحدر سكان بريطانيا من أصل القبائل الأسرائيلية العشر... هذه الأقوال وغيرها تتهافت عند الوقوع على نتائج الدراسة الحضارية المقارنة التي تبين أن جميه الأجناس: الأبيض، في حوض البحر المتوسط، والبولينزي (أي الكوري الياباني) والأسمر والأصفر والأحمر (ما عدا الأسود) [١] قد أسهمت في العمران الحضاري[٢].

لقد ثبت بشكل قاطع أن خصائص الاجناس موجودة في كل الأجناس، وأن أصولها متقاربة، أما فيما يخص اللون فإنا نرى أن الشعوب ذات الألوان المختلفة هي من أصل واحد، فالأصل الأري مثلاً، منه كان الحرمان البيض، والهنود، والفرس الذين يميلون إلى الأسوداد (السمرة الشديدة).

التفسير المثالي للتاريخ (هيغل):

يرى هيثغل أن كل فترة أساسية في تاريخ الحضارة الأجتماعية، أو كل عصر يمثل وحدة مستقلة، وأن ملامحه السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة والجمالية والعقلية والدينية كلها جوانب أو نواح للمجموع الحي، ومنها جميعاً يتكون كيان متجانس و «أن كل فترة أساسية تنمي فكرتها الرئيسة، إلى الحد الأقصى ثم تولد أضدادها أو

(١) التفسير الأسلامي للتاريخ ص٧٢ نقلاً عن كتاب: تفسير التاريخ – عبد الحميد صديقي – ترجمة كاظم الجوادي ص ٦١ – ٦٨ (الدار الكويتية للطباعة والنشر).

(٢) لعل استثناء الجنس الأسود يعود إلى الظروف القاسية التي مرت بهذا الجنس خلال حقبات واسعة من التاريخ، فأذت إلى استرقاق السود واستخدامهم وهذا لا يعني عدم إشتراكهم مطلقاً في العمران الحضاري.. بل على أكتافهم بنيت حضارات كثيرة خلال التاريخ.

نقائضها». ويستمر الصراع دائماً، فتتحد المبادئ المتناقضة في وحدة عليا هي «الموحد»، وهذا الموحد يندفع مرة ثانية إلى الحد الأقصى وينشب صراع جديد فيتولد حينئذ مرة اخرى موحد يحوي ما هو فعال، من كل من الفرضية ونقيضها. وبهذا الأسلوب الثلاثي تتقدم الفكرة حتى نصل آخر الأمر إلى (المطلق) الذي نستطيع أن نبقى نتأمله إلى الأبد دون أن نتبين فيه أي تناقض».

ويقول هيغل: «إننا نستنتج مجرد استنتاج من تاريخ العالم أن تطوره كان دائماً صيرورة عقلية (أي حركة فكرية متقدمة نحو الأعلى) و إن هذا التاريخ قد انشأ الطريق المنطقي الضروري لروح العالم... تلك الروح التي طبيعتها دائماً واحدة لا تتغير، والتي تعرض هذه الطبيعة في ظواهر وجود العالم». لذلك «فإن تفسير التاريخ هو بيان لعواطف البشر وعبقرياتهم وقواهم الفعالة التي تقوم بدورها على مسرح العالم الكبير، وأن الصيرورة التي تقررها المشيئة السامية المهيمنة والتي تعرضها تلك العواطف والعبقريات القوى الفعالة، هذه الصيرورة، تكون ما يسمى بصورة عامة بخطة المشيئة العليا».

يقول كروجيه ناقداً نظرية هيغل: «من ذا يستطيع أن يقنع نفسه أن الذين هو عدم وجود الفن وأن الفن والدين، ما هما إلا تجريدان ليست لهما حقيقة إلا الفلسفة موحد الأثنين أو أن الروح العملية هي النفي للروح النظرية، وأن المحسوس نفي للحدس، وأن المجتمع المدني نفي للأسرة وأن السلوك الخلقي نفي للحقوق وان كل هذه التصورات لا يمكن التفكير فيها خارج نطاق موحدها الذي هو الروح الحرة والفكر النزعة الأخلاقية للدولة، بنفس الطريقة كالوجود وعدمه، التي لا تصدق إلا بالصيرورة فقط»[1].

(١) نفس النرجع السابق، ص٢٣٢.

ولن نقف طويلاً عند نقد المثالية بل نكتفي بما ذكر لنتحدث، قليلاً، عن نظرية التفسير الحضاري.

التفسير الحضاري للتاريخ (توينبي):

إن توينبي يرى أن انتقال الإنسان من الدور البدائي إلى الحضارة لم يكن بتأثير العوامل البيولوجية أو الجغرافية، ويعتبر أن لعمليات التحدي والاستجابة أثرها في نشوء الحضارات وهذا يتجلى في كل العصور ابتداء من العهد الديني –الميثولوجي وانتهاء بالحضارة الغربية... «فحيثما كان التحدي البيئي أو البشري مناسباً في حجمه المقدرة الجماعة البشرية، وحيثما كانت الجماعة في وضع تاريخي يمكنها من الرد على التحدي، حيثما كان للحضارة أو تتقدم وللحركة أن تواصل مساعيها لإيصال المعطيات الحضارية إلى قمة منحناها. وبالعكس تؤول الحركة إلى التعثر والحضارة إلى الانتكاس حيثما جاء (التحدي) دون، او أعلى من الحد المناسب، او عجزت الجماعة عن الاستجابة له والرد عليه بقدر كاف من القوة والفعالية[1].

ويتحدث توينبي عن العلة الرئيسة في طهور الحضارات الراقية، كما يسميها، فيقول: «لم تظهر في العالم حضارة راقية إلا بعد تعرض شعب من الشعوب إلى هجوم خارجي قوي، وهذا الهجوم يؤدي إلى تفجير النبوغ والكفاءات، لصنع مثل هذه الحضارة...».

«إن الدافع الحيوي في عمليات النشوء الحضاري هو الاستجابة الظافرة لتحدي البيئة المناسبة، وهناك خمسة دوافع تتصل بطبيعة البيئة الماسبة وتستثير تفاعلها الخلاق وهي:

(١) نفس المرجع السابق، ص ٧٠ وما بعدها.

«دوافع الأرض الصعبة –دافع الأرض البكر–دافع النكبات –دافع الضغط –دافع العقوبات».

لقد وجهت نقود عديدة إلى هذا التفسير، إذ أن «سوركن» رأى أن النظرية متهافتة في امرين:

أولاً: اعتبار الحضارة وحدة معقولة للدراسة التاريخية.

ثانياً: إعتبار الادوار الحضارية من النشوء إلى النمو ثم السقوط والانحلال اساساً لفلسفته التاريخية.

ويؤخذ على توينبي سوء تطبيقه للمنهج العلمي في البحث التاريخي، إذ أنه كان يختار من الظاهرات ما يناسب فرضه[١].

وهناك جوانب أخرى في تفسير توينبي لن نتعرض لها الآن[٢]، ولكن نستطع القول «إن التفسير الحضاري للتاريخ تقدم خطوات تتسم بقدر معين من الموضوعية والشمول الذي يستند إلى نظرة كلية و إدارك عميق لمقومات الحدث التاريخي لكن الموقع الذي رصد منه بعض فلاسفة التاريخ المعاصرين، التاريخ تقف أمامه كثير من المرتفعات كسدود وحواجز تمتع الرؤية الكاملة والحكم الشامل الصحيح، كما أن التجربة النفسية التي لامسوا بها أحداث التاريخ تحمل الكثير من العناصر الذاتية المزدوجة والتأثيرات العلمانية، لذلك فقد أبقوا بعض الجدران المزيفة مرئية وغير مرئية، بين الحضور والغياب، والله والإنسان والمادة والروح والطبيعة وما وراء الطبيعة».

ضعف وإنحطاط الحضارة:

يعتقد توينبي أن جملة من الأسباب التي اوردتها بعض النظريات التي

(١) ملاحظة: المقصود إعطاء نظرة سريعة عن مختلف النظريات المفسرة للتاريخ، وليس تقديم دراسة مستوعبة لكل ما فيها.

(٢) انظر نفس المرجع السابق، ص١٦.

حاولت تفسير التاريخ والحضارة ليست صحيحة، ومن الأمثلة على ذلك:

- نظرية شيخوخة الثقافة.

- ونظرية ضعف الجينات البشرية في الحضارات ذات العمر الطويل.

- وكذلك ما يزعمه البعض من العجز عن التحكم بالطبيعة (خراب السدود..).

- أو العجز عن مواجهة البيئة البشرية (التعرض لغزوات بربرية).

إن هذه الأمور تعتبر في نظر توينبي نتائج، وليست أسباباً تؤدي إلى ضعف الحضارة... وقد سبق أن ذكرنا أن تعرض شعب قوي لغزو قد يستشير ردا، وتكون النتيجة قوة جديدة لهذا الشعب بدل إضعاف الغزو له.

ويذكر توينبي أسباباً للضعف يعتبرها رئيسة وأساسية تتحور حول الخلل في عملية المحاكمة للنخبة في مجالين:

الأول: إنقلاب النخبة التي أصبحت حاكمة إلى أقلية قاهرة.

الثاني: إستعمال المؤسسات القديمة للعملية الجديدة، والفشل في تغييرها، وخلق المؤسسات الملائمة، مثل التصنيع وتزايده في أوروبا، وعدم وجود مؤسسات جديدة تلائم وضع الرد على التحديات التي يخلقها.

إن هذا الخلل يؤدي إلى الاسترخاء والترهل بعد القيام برد ناجح، وغالباً ما يعجز عن الرد على التحديات الأخرى.

ومن الأسباب:

١- الإنحراف والضلال عن الإستثمار الملائم للرد الناجح، كأن يكون التحدي هجوماً عسكرياً، ينجح المجتمع في صده، وبدلاً من التنعم بثمرات النصر، وصرف الطاقات في السلم، نحو الأفضل، يحصل إنحراف

في التفوق العسكري، فتهدر طاقات المجتمع في الحروب، كما حصل للآشوريين، وأوستراسبا في فرنسا في العصر الوسيط، والمغول زمن يتمورلنك.

تحجر الحضارة أو تحللها:

إن مصير الحضارة بعد إنحطاطها واحد من إثنين:

الأول: إما التحجز، كما حصل في الحضارة المصرية القديمة والصينية.

الثاني: إما الانحلال الذي يتجلى في تجزئتها إلى ثلاثة أقسام:

نكتفي –هنا - بذكر القسم الأول منها، الأقلية الحاكمة تقيم دولة عالمية، ويرحب بها الناس، ويعتقدون أنها خالدة، لا في أثناء ما تبقى من حياتها، و إنما بعد إختفائها، مثل الإمبراطورية الرومانية، إذ بعد سقوطها صارت كل أسرة حاكمة كبيرة تدعي انها الأمبراطروية الرومانية، كما حصل للدولة الكارولنجية زمن شارلمان أو بعده في جرمانيا...

أما الحضارة المنحلة، فإن العناصر التي تتحلل إليها تدخل تركيبة الحضارات مثل القانون الروماني، ودخوله في كل الحضارات التالية، او التقسيمات للزمن من السومريين[1]....

نظرية نهاية التاريخ:

بعدما ثبت خطأ فكرة المرحلة النهائية السعيدة للتاريخ سادت على مستوى الفكر الأوروبي، سواء على صعيد تطور الفكر او فكرة نهاية

(١) مجلة عالم الفكر – الفكر التاريخي، مجلد ٢٩، ص ٣٥ – ٣٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، وقد نقل الكاتب للمقالة (د. أحمد محمود بدر – جامعة قطر) عن سومرفيل الذي لخص كتاب توني الأساسي »دراسة في التاريخ«، وطبعت مع عملين لتوبني بعنوان.

التاريخ لدى هيغل..، فإن هذه الفكرة بعثت من جديد في الولايات المتحدة الأمريكية، على يد «فرنسيس فوكوياما» الأمريكي الجنسية، والياباني الأصل، وذلك في كتابه: «نهاية التاريخ والإنسان الأخير».

والكتاب يقوم على فكرة هيغل، بأن التاريخ العام للإنسانية يتجه نحو النهاية، و إن النهاية مع النظام الديمقراطي الحر والإقتصاد الحر.

الأسباب:

١- ما حصل في الأرباع الثلاثة الأولى للقرن العشرين، من حروب وقيام دكتاتوريات وانظمة شمولية، وقد زالت في الربع الأخير منه، وأصبحت الديمقراطية إما مطبقة في كثير من الدول، و إما مطمحاً لكل الناس على وجه الأرض.

٢- قدم النظام الديمقراطي الرأسمالي الدليل المحسوس على أنه الأكثر ملاءمة لإستيعاب نتائج تقدم العلوم والتكنولوجيا وتطويرها... فبينما نرى ان النظام الإشتراكي إستطاع التطوير إلى مستوى الخمسينات، عجز عن متابعة التطورات التالية في ثورة المعلومات والتكنولوجيا العالمية وسقط.

النتيجة:

إن هذا التقدم إدى إلى استبدال النظم الأجتماعيى التقليدية، مثل القبلية والمذهب الديني والعائلة، بنظم عقلائية قائمة على العمل والكفاءة، كما أسهم على الصعيد السياسي في توحيد مناطق مترابطة إقتصادياً وقومياً في دول مركزية رعت وأشرفت في السير في هذا الإتجاه.

خلق هذا التقدم والإرتباط بأسواق عالمية تجانساً متزايداً، وظهر جلياً بسيادة ثقافة إستهلاكية واحدة، وطريقة حياة جديدة، أصبح أغلب

الناس فيها يعملون في المكاتب بدلاً من الأرض، وينتمون إلى منظمات مهينة لا قبائل، ويستمعون إلى توجيهات رئيسهم البيروقرطي بدلاً من الكاهن.

وسادت فكرة نفي حتمية الصراغ الدموي بين الأفراد كما قال هيجل، كون الفرد أصبح ينظر إلى الآخر على أنه مساو له، بدل رغبته في أن يعترف الآخر بأنه الاعلى.

وكذلك الأمر على مستوى الأمم، غذ طهرت فكرة المساواة من خلال الإعتراف المتبادل.

ولقد أثبتت أحداث التاريخ الأوروبي، منذ أكثر من قرن أن الدول التي تتشابه في انظمتها، وتسود فيها نفس القيم أقل إتدفاعاً لمحاربة بعضها العبض من تلك التي تتبع أنظمة غير ديمقراطية.

ويلاحظ أن الدول القومية اتجهت من الإنغلاق إلى الانفتاح، باستثناء القوميات التي كانت ضمن الإتحاد السوفيتي «السابق» لأنها حرمت منها إلى الأبد.

بهذا يرى «فوكوياما» ان هذه المرحلة هي المرحلة النهائية من التاريخ، لكنها لا تعني إنعدام الصيرورة التاريخية، ولا وقوع الحوادث الخطيرة، مثل حادثة تيان أندمين في الصين أو الغزو العراقي للكويت (ونضيف على قوله: وأحداث ١١ أيلول في الولايات المتحدة الأمريكية) وغير ذلك.. و إنما تعني أن مسار التاريخ الإأنساني ككل يسير بإتجاه التجانس، وسيادة النظام الحر في السياسة والإقتصاد، لأنه أثبت أنه يحقق تلبية حاجات الإنسان المادية ورغبته في الإعتراف بقيمة وكرامته، دون أن يعني ذلك القول بحتمية حصوله على السعادة، كما وعدت فلسفة التقدم في القرن التاسع عشر، وبالتالي فإنه لا يتراءى نظام بديل يطمح إليه أو دافع يبرر تغير

هذا المسار الإنساني جذرياً (إنتقال الإنسان من العبودية، إلى الأرستقراطية، إلى الديمقراطية...).

هذا مع العلم، أن هذه المرحلة لم تصلها كل شعوب الأرض في آسيا و إفريقيا وأميركا اللاتينية، لذلك سماها «فوكوياما» الأمم أو الدول التاريخية، وسمى الدول الديمقراطية ذات الإقتصاد الحر في أوروبا وأمريكا الشمالية، وبعض دول شرق آسيا، بما بعد التاريخية، معتبراً ان الحدود بينهما غير ثابتة، بإنتقال دول من جانب التاريخية إلى ما بعد التاريخية، مثل المكسيك والبرازيل والأرجنتين[1]...

إن الديمقراطية الليبرالية ستحقق كل ما يريده الإنسان على المستوى الإقتصادي (المادي) والإنساني (غير المادي) ولكن رغم هذه المحسنات، نجد أن فوكوياما، مع هذا، يثير الشكوك –كما سبق القول– حول إمكان أن يؤدي التطور التاريخي العلمي إلى سعادة الإنسان، فالتأثير النهائي لهذا التطور على سعادة البشر أمر غامض... بل إن فوكوياما يورد بقدر منت الأستحسان، عبارة من كتابات كوجيف (مفسر هيجل الذي يعتمد عليه فوكوياما) يقول فيه: «إن أختفاء الإنسان بإنتهاء التاريخ ليس بكارثة كونية «طبيعية –مادية»، فالعالم الطبيعي «المادي» سيبقى كما كان عليه كالحيوانات منسجماً مع الطبيعة (المادة) ما سيختفي، فهو الإنسان، بمعناه الشائع، والإنسان بمعناه، الشائع أمر حضاري تاريخي مركب لا يهتم به الماديون الطبيعيون كثيراً... فنهاية التاريخ هو في واقع الأمر نهاية التاريخ الأنساني وبداية التاريخ الطبيعي»[2].

(١) انظر مجلة عالم الفكر – الفكر التاريخي – مجلد ٢٩ – ص٣٧ – ٣٨ .

(٢) انظر: صدام الحضارات – المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق – مقالة المسيري: عبد الوهاب – ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

ويقول أسوكي ساكاكيبارا[١]: «لم ينته التاريخ ولم يمت، ما أنتهى هو الشعار الداعي إلى التقدم، ما تلاشى هو الإيمان بوجود طريق وحيد يفضي إلى هدف أوحد متمثل في التقدم، بات الآن يتعين على الغرب أن يتقن فن إحترام البيئة وعناصرها، من ناحية، والحضارات الأخرى مع كنوزها، من ناحية أخرى، لم تكن الحرب الباردة سوى صراع بين إثنين من صيغ النزعة التقدمية، سوى صراع بين الاشتراكية والرأسمالية الكلاسيكية الجديدة (النيوكلاسيكية)، فهاتان الإيديولوجيتان كلتهما استهدفتا نوعاً من الريادة السريعة والتوزيع العادل للخيرات المادية، وبلوغ هذا الهدف يتطلب بنظر الإشتراكيين إعتماد تخطيط الدولة، وبرأي الكلاسيكيين الجدد التعديل على السوق.

في عام ١٩٨٩ بعد سقوط جدار برلين قام كل من فرنسيس فوكوياما أحد محللي مؤسسة راند، وروبرت ل. هيلبرونر أحد المؤرخين الاقتصاديين، كل على حدة، بإعلان نهاية التاريخ، وانتصار الرأسمالية، غير أن التاريخ لم ينته تماماً، فهذا الحكم الكلاسيكي الجديد الزاهي تلطخ من زوال الإشتراكية و إنتهاء الحرب الباردة.

أما الأسباب الكامنة وراء ذلك، فهي أسباب ذات شقين بالدرجة الأولى.

أسباب تتلخص بظاهرة العولمة والقيود البيئية ما نحن إزاءه اليوم على ما يبدة ليس إنتهاء التاريخ بل موت النزعة التقدمية، تلاشى ذاك الإيمان بوجود غاية مثلى واحدة دون غيرها، غاية لا تستطيع البشرية أن تهتدي إلا إلى معبر فريد يفضي إليها...» [٢].

(١) المدير العام لمكتب التمويل الدولي في وزراة المالية اليابانية.
(٢) المرجع السابق – ص ١٨٩ – ١٩٠.

صموئيل هنتنغتون[١] وصدام الحضارات:

يرى هنتنغتون أن هناك رؤى متعددة لما ستكون عليه: نهاية التاريخ وعودة النزاعات التقليدية بين الدول –الأمم وأنهيار الدول –الأمم من جراء الدوافع المتعارضة للنزعة القبلية والنزعة العالمية كما يعبر هنتنغتون، ويعتقد هنتنغتون أن المصدر الأساس للنزاعات في العالم الجديد، ليس مصدراً إيديولوجياً، أو إقتصادياً، في الموضع الأول، فالإنقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية.

والنزاعات الأساسية ستكون بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة ويذكر الكاتب أنه في عام ١٧٩٣، كما قال «بالمر»: إنتهت حروب الملوك، وبدأت حروب الشعوب».

ونتيجة للثورة الروسية تحول النزاع بين الأمم، إلى نزاع الإيديولوجيات.

١- بين الشيوعية والفاشية –النازية وبين الديمقراطية الليبرالية.

٢- ثم بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية.

وتجسد الصراع –خلال الحرب الباردة –بين الدولتين العظميين ولقد كانت النزاعات داخل الحضارات الغربية أي «حروباً أهلية غربية»، وبعد انتهاء الحرب الباردة تحركت السياسات الدولية في مرحلتها الغربية، وكان التفاعل بين الحضارات الغربية والحضارات غير الغربية... وأنضمت بهذا شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية... وانضمت بهذا شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية، إلى الغرب بإعتبارها من محركي التاريخ ومشكليه.

---

(١) د. صموئيل هنتغتون هو استاذ العلوم السياسية بجامعة هارفادر، ومدير معهد الدراسات الإستراتيجية في نفس الجامعة، ومدير أكاديمية هارفادر للدارسات الدولية والإقليمية... وكان سابقاً في إدارة الرئيس السابق جيمي كارتر، مسؤولاً عن التخطيط في مجلس الأمن القومي (انظر المجلة ١٣ / ٤ / ١٩٩٧).

ولم يعد لتقسيم العالم إلى عالم أول وثان وثالث أي معنى، و إن معيار التصنيف ليس النظم السياسية أو الإقتصادية أو التطور الإقتصادي، بل المعيار هو ثقافة وحضارة هذه البلدان.... لأن الحضارة هي كيان ثقافي في رأي هنتغتون.

إن الحضارات هي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى.

والعناصر الأساسية للحضارات: اللغة، والدين، والتاريخ، والعادات، والمؤسسات وقد تتضمن الحضارة أكثر من دولة –أمة، مثلما هي الحال مع الحضارة الغربية والأمريكية والعربية، او دولة –أمة واحدة كما هي الحال مع الحضارة اليابانية.

ومن الواضح أن الحضارات –يقول هنتنغتون –تمتزج وتتداخل، وقد تتضمن حضارات فرعية، وللحضارة الغربية صورتان متغايرتان أساسيتان: الأوروبية، والأمريكية الشمالية، وللإسلام أقسامه الفرعية العربية والتركية والماليزية.

والخطوط الفاصلة بين هذه الحضارات خطوط حقيقية، و إن كانت نادراً ما تكون حادة، والحضارات تسود وتبيد.

و إذا كان توينبي قد عدد إحدى وعشرين حضارة رئيسه، لم يبق منها إلا القليل (٦ حضارات) فإن هنتنغتون تحدث عن عملية تفاعل بين سبع أو ثماني حضارات كبيرة تشمل الحضارات:

١- الغربية، ٢- والكونفوشيوسية، ٣- واليابانية، ٤- والإسلامية، ٥- والهندية، ٦- والسلافية، ٧- والأرثوذكسية، ٨- والأميركية اللاتينية، (وربما الأفريقية).

وستحدث النزاعات في المستقبل بين الحضارات، وذلك الأمور منها:

أولاً: الفروق الحقيقة والأساسية المؤدية إلى التمايز بين الحضارات، و إن كانت الإختلافات لا تعني النزاع بالضرورة، أو العنف.

ثانياً: إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تعزز الوعي بالحضارة لدى الناس، الأمر الذي عزز بدوره الإختلافات والعدوان التي تضرب أو يعتقد أنها تضرب جذورها في اعماق التاريخ.

ثالثاً: إنفصال الشعوب عن الهويات القديمة، وضعف الدولة الأمة كمصدر للهوية، وذلك نتيجة لعمليات التحديث الإقتصادية والتغيير الإجتماعي.

وقد ملأ الدين هذه الفجوة (الحركات الأصولية سواء في المسيحية الغربية، أو اليهودية وفي البوذية والهندوسية وكذلك في الإسلام).

رابعاً: يتعزز نمو الوعي بالحضارة نتيجة للدور المزدوج للغرب. ولما كان الغرب في أوج قوته فإن ظاهرة العودة إلى الجذور (الأصول) بين الحضارات غير الغربية، أصبح أمراً بارزاً، وقد يكون نتيجة لما وصل إليه الغرب من قوة (الطابع الآسيوي في اليابان –والهندوسي في الهند –وعملية الأسلمة في الشرق الأوسط)، ولفشل الأفكار الغربية، من إشتراكية وقومية...

وسابقاً كان الصفوة في المجتمعات غير الغربية تتغرب في الثقافة والسلوك والتعليم، والعامة تتشبث بثقافة البلاد الأصلية.

ألا أن هذه العلاقات قد إنعكست، فقد إصبحت الصفوة (من ذوي التعليم الجامعي، والفنيين والمهنيين ورجال الأعمال) تعمل لنزع الطابع الغربي، وغرس الطابع المحلي الأصلي.

أما الثقافات والعادات الغربية –الأمريكية فتأخذ طريقها إلى عامة الشعب وجماهير الناس.

خامساً: إن الخصائص والفروق الثقافية أقل قابلية للتبديل، والحلول الوسط والتسويات من نظريتها السياسية والإقتصادية... والدين يفصل بين الناس –كما يقول هنتنغتون– بصورة أكثر حدة وحصراً حتى العرق الأثني... فمن الصعب أن يكون الإنسان نصف كاثوليكي ونصف مسلم.

ويخلص هنتنغتون إلى القول: إن النزعة الإقتصادية أخذة في الزيادة... والنزعة الإقتصادية الإقليمية ستدعم، من ناحية، الوعي بالحضارة، ألا أن النزعة الإقليمية ستدعم، من ناحية، الوعي بالحضارة، ألا أن النزعة الأقليمية والإقتصادية، من الناحية الأخرى، قد تنتج فقط عندما تضرب بجذورها في حضارة مشتركة، فالجماعة الأوروبية تقوم على الأساس المشترك للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية.

ويعتبر هنتنغتون أن الوحدة الثقافية شرط مسبق للتكامل الإقتصادي...وبالعكس فإن الخلافات في الثقافة والدين تخلق خلافات حول قضايا سياسية ترواح من حقوق الإنسان إلى الهجرة والتجارة والتبادل والبيئة.

إن جهود الغرب لدعم قيمه (الديمقراطية والليبرالية كقيم عالمية)، والحفاظ على هيمنته العسكرية، ودعم مصالحه الإقتصادية، تولد ردود فعل مضادة من قبل الحضارات الأخرى.

والنتيجة أن صدام الحضارات يحدث على مستويين:

على المستوى الجزئي تتصارع المجموعات المتجاورة على إمتداد خطوط التقسيم بين الحضارات، بصورة عنيفة –عادة– على السيطرة على أراضي بعضها البعض.

وعلى المستوى الكلي، تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة

العسكرية والإقتصادية النسبية، وتتصارع على السيطرة على المؤسسات الدولية، والأطراف الثالثة، وتتنافس على ترويج قيمها الدينية والسياسية الخاصة.

صدام الإسلام مع الغرب صدام حضارات:

ويرى هنتغتون أن التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قروناً بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينتحسر، بل قد يصبح أكثر خطراً (حرب الخليج والوجود العسكري الغربي في الخليج الفارسي)... بالإضافة إلى ذلك فإن الحركات الإسلامية هي المستقبلية من التحولات والمحاولات المبذولة لإدخال الديمقراطية على بعض أنظمة الحكم العربية الأتوقراطية، التي غدت غير مناسبة.

الخلاصة أن الديمقراطية الغربية في العالم العربي، تعزز القوى السياسية المعادية للغرب.

أن التفاعل بين الإسلام والغرب صدام حضارات، ويستشهد هنتغتون بكلام م.ج. أكبر (وهو مؤلف هندي مسلم) عندما يقول: «المواجهة ستأتي حتماً من العالم الإسلامي. إن الصراع سيبدأ من أجل نظام دولي جديد إنطلاقاً من طغيان الموجة الكاسحة التي تمتد عبر الأمم الإسلامية من المغرب إلى باكستان».

ويتحدث برنارد لويس فيقول عن هذا الصراع بأنه «رد فعل تاريخي لخصم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي، وحاضرنا العلماني، والتوسع العالمي لهما معاً».

ويقول هنتغتون إن تباين التفاعلات بين الحضارات كبير إلى حد الإتسام بالعنف...

إن للإسلام حدوداً دموية.... كما يزعم هنتغتون.

الغرب والمؤسسات الدولية:

يقول هنتغتون «إن الغرب يستغل المؤسسات الدولية، والقوة العسكرية والموارد الأقتصادية لإدارة العالم بطرائق تحافظ على الهيمنة الغربية، وتحمي المصالح الغربية، وتدعم القيم لسياسية والإقتصادية الغربية.

كما أن الفروق في القوة والصراعات على القوة العسكرية والإقتصادية والمؤسسية هي أحد مصادر النزاع بين الغرب والحضارات الأخرى، وتمثل الإختلافات في الثقافة، أي القيم والمعتقدات الأساسية، مصدراً ثانياً للنزاع[1].

هنتنغتون يرد على منتقديه:

يرى هنتغتون في رده على منتقديه أن النهج الحضاري يفسر الكثير من «التشويش الذي له طنين مدو» الناشئ في عالم ما بعد الحرب الباردة....

«إن الردود المنشورة في مجلة فورين أفريز على مقالتي (مقالة هنتغتون حول صدام الحضارات) لم تقدم أي صورة بديلة مقنعة للعامل، وهي في أفضل الأحوال تقترح بديلاً زائفاً، وبديلاً غيرواقعي والبديل الزائف هو نموذج دولاني، يخلق تعارضاً مصطنعاً غيرذي أهمية إجمالاً بين الدول والحضارات، يقول فؤاد عجمي إن «الحضارات لا تسيطرعلى الدول» و إن «الدول تسيطرعلى الحضارات»، ولكن ليس من معنى للحديث عن

(١) هذا الموجز لمقولة صموئيل ب. هنتغتون هو خلاصة دراسة هي نتيجة بحث أقامه معهد جون م. أولين حول »البيئة الأمنية والمتغيرة، والمصالح القومية الأمريكية، ونشر في مجلة صيف ١٩٩٣م، وقد عدنا في ذلك إلى الملف الذي أصدره »المركز الأستشاري للدراسات والتوثيق« بعنوان: »صدام الحضارات« نصوص نقدية في المنهج والمضمون لموقلة »هنتغتون« بيروت ط١ تشرين الأول – ١٩٩٩م – رجب ١٤٢٠هـ – ص١٣ – ٥٦.

الدول والحضارات من زواية «السيطرة».

«والبديل غير الواقعي هو نموذج العالم الواحد الذي يقول إن هناك حضارة عالمية شاملة قائمة الآن أو من المرجح أن تقوم في السنوات القادمة، «ومقولة إن ثقافة عالمية أو حضارة عالمية شاملة تبزغ الآن، تأخذ أشكالاً مختلفة لا يصمد أي منها حتى للمتحيص العابر».

وينتقد هنتغتون القائلين بأن إنهيار الإتحاد السوفيتي يعني نهاية التاريخ، والإنتصار الشامل للديمقراطية الليبرالية عبر العالم، ويرجع هذه المقولة إلى مغالطة البديل الوحيد للشيوعية، الذي شاع في الحرب الباردة، وهو الديمقراطية الليبرالية، وأن زوال الأولى يؤدي إلى عالمية الثانية.

ويرى هنتغتون أن «الدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، والإعتقاد بأن الغرب قد كسب العالم إلى الأبد بسبب إنهيار الشيوعية السوفياتية محض غرور أجوف».

و إن الأفتراض بان التفاعل المتزايد (الإتصلات والمواصلات) بين المجتمعات لا ينتج ثقافة مشتركة، إلا بعض الظروف، وفي غالب الأحوال فإن الحروب تنشب بين المجتمعات المتفاعلة على مستوى عال.

كما أن الإفتراض بأن التحديث والتنمية الإقتصادية لا ينتجان ثقافة حديثة مشتركة تشبه الثقافة حديثة مشتركة تشبه الثقافة الغربية، لأن التحديث – في نظر هنتغتون –ليس مرادفاً للتغريب، فقد تجد مجتمعات حديثة ومزدهرة، ولكنها ليست غربية (اليابان –سنغافورة –الغربية السعودية). والقول بهذا، نوع من الغرور الغربي الذي يوضح بنفسه صدام الحضارات. ويؤكد هنتغتون، ان حضارة عالمية شاملة لا يمكن أن تكون إلا نتاجاً لسلطة عالمية شاملة و إن إنهيار القوة الغربية سيتبعه

إنسحاب الثقافة الغربية، وقد بدأ ذلك وستؤدي زيادة القوة الإقتصادية سريعاً في دول شرق آسيا، غلى زيادة قوتها العسكرية، ونفوذها السياسي، وتاكيدها لهويتها الثقافية....

ويستشهد هنتغتون بكلمة لرئيس المفوضية الأوروبية جاك ديلور عن ان «منازعات المستقبل ستشعلها عوامل ثقافية، وليس إقتصادية أو إيديولوجية»، وحذر من أن «الغرب بحاجة إلى تطوير فهم أعمق للإفتراضات الدينية والفلسفية الكامنة وراء الحضارات الأخرى، والطريقة التي ترى بها الأمم الأخرى مصالحها، وذلك لتحديد الشيء المشترك الذي يجمع بيننا ويعتقد هنتغتون أن المسلمين يرون ان «الصدام» يوفر دليلاً على تمايز حضاراتهم، واستقلالها عن الغرب، ويضفي عليها درجة من المشروعية... ويقول: «إن التاريخ لم ينته والعالم ليس واحداً، والحضارات توحد الجنس البشري وتقيمه، «وستعين على كل (حضارة) «أن تتعلم التعايش مع الحضارات الأخرى».

إن ما يهم الناس في نهاية المطاف ليس هو الإيديولوجية أو المصالح الإقتصادية، بل الأيمان والأسرة والدم والعقيدة، فذلك هو ما يجمع بين الناس، وما يحاربون من اجله، ويموتون في سبيله وهذا هو السبب في أن صدام الحضارات يحل محل الحرب الباردة بإعتباره الظاهرة المركزية للسياسات العالمية[1].

الصراع بين الغرب والإسلام:

يرى هنتغتون ان الصراع الأيديولوجي انتهى، بسقوط الإتحاد

(١) مقالة لهنتغتون: صموائيل بعنوان: إن لم تكن الحضارة فماذا يكون؟ نماذج من العالم ما بعد الحرب الباردة. ملف: صدام الحضارات – (المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق) – ص ٥٧ (مر ذكره سابقاً).

السوفياتي السابق، والمرحلة التي وصلنا إليها، هي المرحلة التي يظهر فيها الغرب مسيطراً على العلاقات الدولية في العالم، وسيكون –يقول هنتغتون– عما قريب الصراع بين الشعوب حضارياً وثقافياً. صراع بين الغرب والإسلام، وصراع بين الإسلام والهندوس، والصراع بين الصين واليابان كحضارتين مختلفين..

هذه الصراعات ستكون بؤر التوتر في العالم، في المستقبل.

أما لماذا ستكون المواجهة بين الإسلام (العالم الإسلامي والغرب، فإن هنتغتون يعتبر أن «الإسلام هو أكثر الأديان صرامة، ولا توجد الآن فوارق بين السياسة والدين. كما أن هناك شعوراً عارماً في الأقطار الإسلامية بأن العالم الإسلامي سبق أن تعرض للهزيمة والأستغلال من قبل الغرب، في الوقت الذي بدأ هذا العالم الإسلامي يشهد الآن نهضة عارمة وربما يكون الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي على إشكال مختلفة، إلا أن هذا يجب أن يدفعنا إلى الذهاب بعيداً للقول بأن حرباً عالمية ستقع بين الغرب والعالم الإسلامي».

ويقول هنتغتون: «إنه الأمر يثير الدهشة أنه في الوقت الذي بدأت فيه الولايات المتحدة وروسيا بإجراء تخفيضات كبيرة في قدراتها التسليحية[1]، بدأت العديد من الدول الإسلامية والإسيوية بتعزيز ترساناتها العسكرية إلى الحد الذي يثير فيه مخاوف كبيرة. فهناك سباق تسلح في الدول الإسلامية الشرق أوسطية، من بينها إيران والعراق وسوريا وليبيا والسودان، كما أن هناك بعض الدول «الكونفوشية» كروسيا والصين، تبدي إستعداداً غريباً لتزويد بعض هذه الدول الإسلامية بحاجاتها من السلاح والتكنولوجيا العسكرية المتقدمة.

(١) إن هذا الزعم يحتاج إلى الدليل، لا بل أن الدليل يقوم على عكس ذلك، خصوصاً بالنسبة للولايات المتحدة.

نصيحة هنتغتون للغرب:

يقول هنتغتون: «على الغرب أن يتعلم كيف يعيش داخل حدوده الثقافية والحضارية، دون الإضطرار إلى نشر ثقافته وحضارته مثلما فعل في العالم خلال المائتن أو الثلاثماية سنة الماضية، وعليه أن يعرف كيف يتعايش مع الحضارات الأخرى دون الإضطرار لمواجهتها[١].

لا فرق بين المتطرفين والعتدلين المسلمين:

يرد هنتغتون على من يعتقد أن الإسلام لا يشكل خطراً على الغرب، وما عدا المتطرفين منهم بقوله: «هذا ليس صحيحاً، ليس صحيحاً القول بأن الإسلام ليس خطراً على الغرب، وأن المتطرفين الإسلاميين فقط هم خطر. تاريخ الإسلام، خلال أربعة عشر قرناً يؤكد بأنه خطر على أية حضارة واجهها، خاصة المسيحية». ويقول «ما دام الإسلام سيبقى إسلاماً، وليس هناك أي شك في ذلك، وما دام الغرب سيبقى غرباً، ولا يتوقع أحد أن يصبح الغرب شرقاً سيظل الصراع قائماً بينهما، كما ظل قائماً لأربعة عشر قرناً».

ويقول أيضاً: «إن السكان في الدول الإسلامية يزيدون بنسبة خيالية. و إن العشرين سنة القادمة ستشهد زيادة ضخمة في نسبة الشباب المسلمين. وهذا سيكون من العوامل التي ستهدد الدول الغربية، ونحن الآن نشاهد بداية ما سيحدث، في شكل هجرات الشباب المسلم إلى الدول الغربية»[٢].

وقفة مع بعض منتقدي نظرية صدام الحضارات:

---

(١) أنظر الحوار الذي أجرته «التايم» في تموز ١٩٩٣ مع هنتغتون تحت عنوان: سكون للإسلام دور خطير فيها... صراعات المستقبل ثقافية لا إيديولوجية. وقد عدنا إلى ملف المركز الأستشاري... فيما يخص صدام الحضارات، ص ١٠٠.

(٢) أنظر: المجلة ١٣ / ٤ / ١٩٩٧، راجع ملف المركز الإستشاري (سبق ذكره) – ص ١٠٥ وما بعدها.

١- يقول ج جون إيكنبري[١]:

«إن مشلكة إطروحة هنتغتون المستفزة، أنه يولغ في توصيفها بصورة كبيرة، وأنها –إذا كان الأفكار المفكرين البارزين أي تأثير في العالم الواقعي –ذات خطورة محتملة، لنبدأ، فإن الملامح السياسية التي نسبها هنتغتون للغرب –الديمقراطية والحكومة محدودة السلطات وقاعدة القانون –ربما انبعثت في أوروبا أولاً، ولكنها أساساً ليست ظاهرة ثقافية أو حضارية. إنها نظم إجتماعية وممارسات تتبدى عبر ثقافات ومجتمعات عدة، وتم التعامل معها بواسطة الرأسمالية والمطالب العلمية للتبادل، كأي شيء آخر.

٢- يقول توني سميث[٢]:

«إن السهولة التي يجزئ بها هنتغتون العالم إلى حضارات مقسمة بواسطة خطوط سياسية معيبة يذهلني. إن تقرير ما هو بالضبط «الغربي» هو نقطة الخلاف الأولى. في باديء الأمر، لماذا لا يعد أميركا اللاتينية «غربية» مع أعتبار رحلتهم الشاقة خلال العقدين الماضيين، رحلة أقتربت بها سياسياً وأقتصادياً وثقافياً تجاه أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية باكثر مما كانت عليه لقرون مضت. و إذا كانت أمريكا اللاتينية تنحو في تطورها منحى غربياً، لما لا يكون الآخرون كذلك؟ أين في حسابات هنتغتون موقع بلدان مثل اليابان والهند والفليبين و «إسرائيل».

كل هذه الأمور المتعلقة برسم حدود قد لا تزيد عن كونها مجرد مرواغة أكاديمية... إن مقال هنتغتون هو صريح غير كاف على الإطلاق،

(١) استاذ مشارك للعلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا –المرجع ذكر سابقاً –ص ١١٦.
(٢) رئيس قسم العلوم في جامعة تافت، وزميل مركز ودور ويلسون الدولية للباحثين –المرجع ذكر سابقاً –ص ١١٩.

فهو لا يوفر صورة دقيقة للحدود السياسية المتطور للعالم أو تكنهاً موثوقاً لما يحمله المستقبل من تهديدات حقيقة للأمن».

٣- يقول دافيد هاول[١]:

«إن هنتغتون يتخلف عن الزمن... إن إستعمارية الكولا قصة قديمة، أما اليوم فالقضية على الأقل في أوروبا –ليست غربنة الشرق، و إنما شرقنة الغرب».

٤- يقول بروس نسباوم[٢]:

«بالرغم من الشهرة الفائقة التي حازها هنتغتون، فإن اطروحة تتسم بقوة تفسيرية واهنة بقدر كبير... إن حجته واهنة، في المقام الأول، بسبب أنها مبنية على مفهوم الثقافات، والذي لا يزيد تعريفه على تعريف حبة ثلج في يونيو. إن كل الثقافات تتضمن كل القيم بصورة عالمية، ولكن التشكيل المحدد للصفوة وللنظم الإجتماعية والتكنولوجية داخل نظام إقتصادي معين، هو ما يحدد القيم المهيمنة في فترة معينة.... إن أفضل ما يقال عن إطروحة هنتغتون هو انها تثير الغضب، وأسوأ ما يمكن أن يقال عنها، انها توفر ذخيرة فكرية زائفة والأفعال الأكثر قبحاً».

٥- يقول كيشوري محبوباني[٣]:

«لقد تقاعس هنتغتون عن طرح سؤال واضح: إذا كانت الحضارات الأخرى تحيط بنا منا قرون كثيرة، فلماذا تشكل تحدياً الآن فحسب؟

إن المحاولة المخلصة للإجابة عن هذا السؤال تكشف عن عيب

(١) هضو البرلمان البريطاني، رئيس اللجنة العامة للعلاقات الخارجية... »المرجع نفسه« – ص ١٢٠.
(٢) محرر الصفحة الإفتتاحية في دورية.
(٣) أنظر المرجع نفسه – ص ١٢٩ – ١٣٠.

مميت تطور أخيراً في العقل الغربي: العجز عن تصور أن الغرب ربما كان قد طور أوجه ضعف هيكلي في نظم القيم والمؤسسات الأساسية الخاصة به. ويفسر هذا العيب جزئياً الإندفاع الأخير لتبني الإفتراض القائل إن التاريخ قد أنتهى بإنتصار النموذج المثالي الغربي: إن الحرية الفردية والديمقراطية ستضمنان دوماً بقاء الحضارة الغربية في مقدمة الجميع.

ويقول محبوباني متحدثاً عن الفشل في وضع إستراتيجية صالحة وقادرة على البقاء للتعامل مع الإسلام أو الصين، وبذلك يشكف عن عيب مميت في الغرب: العجز عن التكيف مع التحولات في الأوزان النسبية للحضارات التي يوثقها هنتغتون جيداً.

عباراتان أساسيتان في مقال هنتغتون يوضحان، إذا ما وضعنا جنباً إلى جنب، طبيعة المشكلة، الأولى «في سياسات الحضارات تعد شعوب الحضارات غير الغربية وحكوماتها موضوعات للتاريخ يمارس فعله عليها باعتبارها أهدافاً للإستعمار الغربي، بل إنضمت إلى الغرب كمحرك ومشكل للتاريخ».

والثانية «الواقع إن الغرب يستخدم المؤسسات الدولية القوة العسكرية والموارد الإقتصادية لإدارة العالم بطرق تبقي على الهيمنة الغربية، وتحمي المصالح الغربية، وتروج القيم السياسية والإقتصادية الغربية».

وتلك التوليفة وصفة لكارثة.

ويضيف محبوباني:

«لا يزال الغرب مستودع أكبر أصول الحضارة الإنساني و إنجازاتها وكثير من القيم الغربية يفسر التقدم المدهش للجنس البشري:

الإيمان بالبحث العلمي، والبحث عن حلول رشيدة. والرغبة في تحدي الإفتراضات لكن الإيمان بأن مجتمعاً ما يمارس هذه القيم قد يؤدي إلى

عمى فريد: العجزعن إدراك أن بعض القيم التي تجيء مع هذه الحزمة قد تكون ضارة. إن قيم الغرب لا تشكل نسيجاً لا تنفصم عراه، فبعضها جيد وبعضها الآخرسيء. ولكن على المرء أن يقف خارج الغرب ليرى هذا بوضوح، وليرى كيف أن الغرب يتسبب في إنهياره النسبي بيديه، وهنتغتون، أيضاً، يعمى عن هذا».

٦- فؤاد عجمي وهنتغتون:

كتب عجمي مقالة بعنوان: «الأستدعاء» وقد وجه نقداً لهنتغتون، حول مقالته «صدام الحضارات»، وتوقف عند عملية يقوم بها الغرب، وهي «إنه يشكل ويعيد تشكيل حتى اكثرالحضارات نايا، وهو الذي يعلم الطرق الجديدة».

ويبدو -كما قال عجمي -أن صموئيل ب. هنتغتون لا يعرف ذلك... لأنه في مقالته المشهورة عن «صدام الحضارات»، «وجد أن حضارته كاملة متماسكة تحت سماء خالدة».

وهذه الحضارات التي دفنت حية، كما حدث خلال سنوات الحرب الباردة (وهي الحضارات الإسلامية والأرثوذكسية والغربية والكونفوشيوسية واليابانية والهندوسية، الخ..»نهضت فور إزالة الحجر عنها، ونفضت الغبار عن نفسها. وشرعت تطالب أتباعها بالولاء لها. وقد بدت الحضارات، على الدوام، لدراس التاريخ و الثقافة، مخلوقات تتسم بالفوضى، فالأخاديد الفاصلة تمتد عبر الحضارات بأكملها، عبر الأفراد أنفسهم -ذلك هو الحكم الذي قضت به الحداثة.

لكن هنتغتون يتغافل عن كل ذلك، ويقوم بتوقيم أزمة العالم الملتوية والمتعرجة، وبقلم رصاص حاد، ويد ثابتة يحدد هنتغتون أين تنتهي حضارة ما وأين تبدأ «براري» حضارة أخرى.

والأكثر مدعاة للدهشة هو موقف هنتغتون تجاه الدول، ومكانها في نظام الأشياء الذي وضعه، إذ تصدر حالياً عن واحد من ألمع دراسي الدولة، وأكثرهم تأثيراً، مقالة تغفل حكمة الدول، والطبيعة الباردة غير العاطفية للكثير مما تفعله، وهي تشق طريقها من خلال الفوضى والتشوش وعلى الرغم من المفطع الإضطراري عن أن الدول ستظل هي «أقوى القوى الفاعلة في الشؤون الدولية» فإن الدول، كما كتب قائلاً، تخلي مكانها للحضارات المتصادمة، وعلى حد تعبير هنتغتون، فإن «الحرب العالمية القادمة، إن حديث ستكون حرباً بين الحضارات»[١].

لا ريب في أننا أسلمنا أنفسنا لعالم جديد لكنه ليس عالماً تسوده مقتضيات الحضارات إن الحضارات والولاءات الحضارية باقية وهناك قدر مدهش من الدوام فيهما، لكن لنتوخ الوضوح إن الحضارات لا تسيطر على الدول بل الدول تسيطر على الحضارات و إن الدول لتشيح بنظرها عن روابط الدم عندما يقتضي الأمر ذلك، وهي ترى الأخوة والعقيدة والغرابة عندما يكون من مصلحتها أن تفعل ذلك[٢].

٧- يقول ستيفن والت[٣]:

«يؤكد هنتغتون قائلاً للمرة الأولى في التاريخ تصبح الحياة السياسية العالمية متعددة الأقطاب والحضارات، ونتيجة لذلك، فإن الصراعات بين الحضارات أكثر تكراراً من الصراعات في داخلها، وستكون الصراعات الأكثر إنتشاراً وأهمية وخطورة بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة.

إن التفسيرات الثقافية رائجة جداً هذه الأيام، لدرجة أنه تكاد تصبح

(١) صدام الحضارات – ص١٦٢ – المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق.
(٢) نفسه – ص ١٧٤.
(٣) أستاذ علم السياسة في جامعة شيكاغو.

موضة، سواء كان الموضوع يتعلق بالسياسة الخارجية أو الأداء التربوي، أو أدوار الجنس، من حيث الذكر والأنثى، أو القيم العائلية.

ولذلك فإن مناقشات هنتغتون، تتماشى مع الأزياء الفكرية الراهنة، حتى ولو أن كثيراً من المفكرين ربما ينقلبون على بعض من إستنتاجاته.

نحن جميعاً نعرف أن الفروقات الثقافية يمكن أن تعزز سوء الفهم والشك، حتى وقراءة سطحية للتاريخ تكشف أن جماعات من خلفيات ثقافية مختلفة تقاتلت في مناسبات لا حصرلها...

مع ذلك، ورغم هذه الاسانيد كلها، فإن فرضية الكتاب الأساسية لا تواجه التدقيق المحكم، إذ أن الكاتب، هنتغتون –لا يوضح السبب في أن الولاءات تتحول فجأة من مستوى الدول «الأمة» إلى مستوى «الحضارات» كما لا يوضح السبب في أن هذا التحول المزعوم سيؤدي إلى صراع كبير بين الحضارات، وعلاوة على ذلك، فإن بعضاً من إدعاءاته الأساسية تناقضها الادلة التاريخية والمعاصرة.

وأخيراً، فإن تركيز هنتغتون على المفهوم الواسع للحضارة أدى به إلى أن يغفل أمراً يحجب الدور الفعال للقومية، ونتيجة لذلك فإن صدام الحضارات، دليل لا يعتمد عليه للنظام العالمي الناشء وبرنامج عمل خطير للسياسة»[1].

٨- عبد الوهاب المسيري[2] يناقش مقولة الصدام بين الحضارات:

يقول المسيري:

«أشار بعض المحللين السياسيين إلى أن أطروحة هنتغتون هي عكس

(١) ذكر المرجع سابقاً – ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٢) مؤرخ مصري – المرجع ذكر سابقاً ص ٢٩٥ وما بعدها – نقلاً عن مجلة القاهرة يوليو / أغسطس ١٩٩٧.

أطروحة فوكوياما، فبينما يعلن الأول تصاعد الصراع بين الحضارات يعلن الثاني إنتهاء الجدل والتداول والتاريخ.... والأمر بالفعل كذلك لو قنعنا بالمستوى التحليلي السياسي وينقل الأفكار، أما لو تعمقنا وحاولنا الوصول إلى المستوى المعرفي فإننا سنجد أن الأمر مختلف تماماً.

يبدأ هنتغتون بتاكيد أن دور الدولة القومية كفاعل أساسي في الصاراعات الدولية قد تراجع (ولم يختف كلية)، وظهر بدلاً من ذلك الصراعات بين الحضارات والثوابت الحضارية...

وقد نشب هذا الصراع نتيجة دخول الحضارات غير الغربية كعناصر فاعلة في صياغة التاريخ، فالغرب لم يعد هو القوة الوحيدة في هذه العلمية، فالصراع ليس حتمياً و إنما هو نتيجة دخول لاعبين جدداً.

و إستخدام هنتغتون لكلمة «حضارة» يعادل تقريباً إستخدام كلمة «معرفي» عندنا، فلكل حضارة –حسب رؤية هنتغتون –رؤية للكون تدور حول العلاقة بين الإنسان والإله (الفرد والمجتمع –الجزء الكل)، وتؤسس هذه الرؤية للكون منظومات معرفية وأخلاقية تحدد تراتب المستويات والحقوق (المساواة و السلطة –الفرد والأسرة –المواطن والدولة –الصراع والأتساق).

هذه الرؤية للكون أمر متجذر في البشر عبر قرون طويلة، ولا يمكن أن يمحى أثرها في سنوات قليلة، وما يراه أهل حضارة معينة أمراً سياسياً قد يراه آخرون هامشياً.

ويؤكد هنتغتون أن أساس أختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والحضارة والتقاليد، ولكن أهم العناصر طراً هو الدين (نلاحظ بشكل جانبي أن طريقة هنتغتون في التصنيف ليست جديدة. فهو يورد عناصر

متداخلة مثل التقليد والإستقلال، كما انه يذكر العناصر بشكل رأسي، وكأنها جميعاً متساوية، ولكن يجب أن نذكر أنه يعطي مركزية سببية للدين)... فكان هناك صراعاً حضارياً في العالم هو في واقع الامر صراع ديني... وبعد أن يبلور هنتغتون أطروحته بهذا الشكل (الحضارة الغربية في مقابل الحضارات غير الغربية) يعطي إنطباعاً بأن ثمة تنوعاً حضارياً هائلاً في العالم (ومن هنا حديثه عن الحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية اللتين يرى أنهما يمارسان نوعاً من التعاون في إكتساب القوة والثروة).

ولكن لو دققنا النظر لوجدنا أن التعددية التي يطرحها هنتغتون واهية زائفة، إذ تطل الثنائية الصلبة بوجهها، فالعالم ينقسم إلى قسمين إثنين: العرب من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى.... ولوجدنا أن العالم باسره يتحرك بأسره يتحرك في واقع الأمر نحو الغرب... وسنكتشف أن كلمة «الغرب» تعني في واقع الأمر «الحداثة» فثمة ترادف بين هاتين الكلمتين عند هنتغتون (وهناك كلمات أخرى مثل «السوق الحرة»، و «الديمقراطية» و «الفردية» تؤكد هذا الترادف) أو كما يقول هنتغتون «إن الحضارة الغربية حديثة وغربية» أي أن التحديث هو التغريب، ومن ثم فإن «من يود أن يحدث فليغرب» وهو يقتبس باستحسان بالغ كلمات نايبول (الكاتب الجامايكي الذي تخصص في تأليه الغرب، وتجريح العالم الثالث، ومنه وطنه الأم، الهند، كما تخصص في الهجوم على الإسلام)، وهو يرى «أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية التي تناسب كل الناس»، ويعني ذلك ان الحضارة الغربية حالة طبيعية، صفة لصيقة بطبيعة الإنسان، ومن ينحرف عنها فهو إنسان غير طبيعي، وشاذ!.

وهذا يعني أن التاريخ يتبع مساراً واحداً، وأن هنتغتون يؤمن بالنموذج

أحادي الخط، رغم كل حديثه عن التعددية والصراع.

أبطال هنتغتون، رجال يؤمنون بأن الحضارة الغربية حضارة عالمية تناسب كل الناس في كل زمان ومكان، ولذا فبطله الأساسي هو اتاتورك الذي قام بأشمل وأسرع عملية تحديث وتغريب (إنطلاقاً من إيمانه بضرورة التخلص من الهوية والخصوصية والماضي) حتى يصل بمجتمعه إلى الحالة التي سيصل إليها المجتمع في نهاية الأمر، شاء أم أبى –من خلال قوانين التقدم التاريخية، والطبيعية، العلمية الحتمية.

ولكن، كل حضارة، كما يؤكد هنتغتون، تستند إلى رؤية دينية، فما هو البعد الديني للحضارة الغربية؟

يعلن هنتغتون أن قيم الحضارة الغربية هي الديمقراطية والاقتصاد الحروفصل الدين عن الدولة... ولابد أن إعجابه بأتاتورك ينبع من هذا الإيمان الحار بالعلمانية، وليس من قبيل الصدفة أن يقتبس كلمات المستشرق الأمريكي اليهودي العنصري برنارد لويس حين تحدث عن نشوب ثورة من جانب الحضارة غيرالغربية «ضد التراث اليهودي / المسيحي، وضد حاضرنا العلماني، وضد الإنتشار العالمي لكليهما، فالعنصراليهودي / المسيحي ينتمي للماضي (مجرد تراث)، أم الحاضرفهو العلمانية، أما الوعد فهو الإنتشار، أي أن ثمة ترادفاً بين الغربي والعلماني والإمبريالي التوسعي....

ثمة ثنائية وحادة وأستقطاب متطرف في عالم هنتغتون بين الأنا الغربي (الحديث العلماني) من جهة، والآخر (غيرالحديث، وغيرالعربي، وغيرالعلماني) من جهة أخرى وهي ثنائية لابد أن تحمى، وهذا هو في واقع الأمرصراع الحضارات، أي صراع الحضارة الغربية الحديثة العلمانية ضد الحضارات الأخرى....

ويحاول المسيري أني يدخل إلى عمق ما يريده هنتغتون فيقول: أن الصراع «ليس صراعاً بين حضارات (لكل قيمتها وقيمها) و إنما هو صراع بين منظومة قيمية غربية علمانية تدور في إطار المرجعية المادية وتستند إلى فكرة القانون الطبيعي (المادي) بكل ما يتضمنه ذلك من إنهاء للتاريخ والإنسان ليس مجرد مادة (وهذه هي الصلة الحقيقة بين الإسلام والكونفوشيوسية) ولكن هنتغتون موقن تماماً أن ذلك صراع مؤقت، فثمة أساسية واحدة يتجه نحوها العالم فيتحقق فيها القانون الطبيعي (والعقل الكلي الغربي، الطبيعي / المادي، الحديث)، نقطة إنتصار الحضارة الغربية الحديثة الطبيعية/ المادية العلمانية، نقطة وصلت إليها بعض البلاد بالفعل.

ويقين هنتغتون بشأن الحضارة الغربية بإعتبارها حالة الطبيعة أمر يثير الخوف، فمن يقاوم حالة الطبيعة لابد من تقويمه بطبيعة الحال، ووضعه على المسار الطبيعي، فهو المسار الطبيعي الوحيد والصحيح، الأمر الذي يتطلب –طبعاً– اتخاذ بعض الإجراءات الطبيعية غير السارة، وطرح بعض الحلول الطبيعية الجذرية النهائية مثل إسقاط الحكومات القومية (التي تدافع عن قيم لا جدوى لها مثل الكرامة والعزة الوطنية) و إستباحة المدن والقرى العاصية التي تقاوم قانون الطبيعة والتطور الغربي[1]».

٩- ويقول محمد سيد أحمد[1] في نقده لنظرية صدام الحضارات:

«نظرية صدام الحضارات تفترض أن الحضارات تتصادم بالضرورة، الأمر الذي يتعارض مع توجهها نحو «حضارة عالمية واحدة» إلا إذا قضت حضارة بعينها على كل الحضارات الأخرى، وأصبحت هي وحدها القائمة

(١) كاتب وحلل سياسي (مصر) – أنظر مجلة العربي – ص ١٥٤، عدد ممتاز (٥١٨) – يناير ٢٠٠٢م.

على سطح كوكبنا... أي نجحت، دون منازع، في فرض هيمنتها عالمياً، وهذا يتعذر تصوره دون وقوع كوارث لا يمكن أن تمت إلى الحضارة بصلة!....

والحقيقة أن النظرية تنطوي على أوجه تناقض وعدم إتساق متعددة، جديربنا تأملها بشيء من الأمعان:

إنها تقوم أولاً على إحلال فكرة «الحضارة» محل فكرة «الدولة» كمرجعية أساسية، وهذا معناه إحلال مرجع هلامي، غيرمحدد المعالم، لا يمكن قياسه بدقة، وليس من السهل تفكيكه إلى مكوناته الأصلية، محل مرجع الدولة، المحدد المعالم، والمتسم بخواص تقبل القياس بدقة.

ثم إنها تعني، ثانياً، إضفاء صفتي الثبات والدوام على ظواهرهي أقرب إلى الظواهرالإنتقالية، ذلك انه لو كانت فكرة صدام الحضارات هي الأصل، كان ينبغي لها أن تسود في كل العصور، وليس في عصرغير عصرآخر، وثمة عيب منهجي في افتراض أننا بصدد «صدام الحضارات»، واعتبار أن الظاهرة مستقرة في مرحلة تاريخية معينة دون مراحل تاريخية أخرى، إننا بصدد خلل بنيوي يمس النظرية ذاتها. ثم هناك، ثالثاً، تناقض في أفتراض رفض التفاعل بين الحضارات في عصريوصف بعصر «العولمة» ذلك أن عصر«العولمة» هو في الأساس عصرالتفاعلات على نطاق الكوكب كله، بل عصرالتخلي عن فكرة «السيادة المطلقة»، لكل دولة على حدة، عصرالحديث عن «حق» - وربما أيضاً عن «واجب» - التدخل الإنساني في حالات إرتكاب «جرائم حرب» أو «جرائم ضد الإنسانية» تمس «حقوق الإنسان / المواطن» في الصميم، كيف الجمع بين ذلك وبين رفض التفاعلات بين المجتمعات بدعوى صدام الحضارات.

إنها –باختصار– نظرية تعني محاولة التعلق بثوابت لصعوبة ملاحقة لتغيير السريع الذي بات يتجاوز القدرة –نفسياً وسيكولوجياً– على الملاحقة، ثم تقوم النظرية، رابعاً، على إهمال الاقتصاد بصفته «المحرك الرئيس للتاريخ»[1]، (هل من الممكن إغفال التوابل عند الحديث عن الحروب الصليبية، والنفط عند الحديث عن حرب أفغانستان المجاورة لنفط بحر قزوين؟).

إن نظرية تغلب العوامل «العلوية» الثقافة والفكر والقانون والدين والحالة النفسية) على العوامل التحتية (الاقتصاد، الواقع الأجتماعي، والسياسي المعيش) في تقرير مجريات الأحداث.

ثم إنها، خامساً، نظرية تقوم على قدرة لا يستهان به من اللاعقلانية، واللاشفافية، واللاديمقراطية، ذلك أن الحضارات تقوم على عناصر كلية، المفترض فيها أنها منفصلة، ولو بصفة نسبية، بعضها عن البعض الآخر، وأن التفاعلات بينها أقل بكثير من التفاعلات داخلها، أنها بالتالي نظرية تقوم على تمييز قطاعات البشر حسب أختلافاتهم الحضارية، الأمر الذي قد يسفر في بعض الأحوال عن نوع من التمييز العنصري.

أنها، سادساً، وبهذه الصفة، نظرية رجعية، تفترض العودة بنا إلى حتمية المواجهة العدائية، إلى الهمجية، إلى زوال القوانين التاريخية، إلى الفوضى، إنها نظرية تقوم على التمادي في أتجاه عكسي لاتجاه «الجبرية

(١) لقد ناقشنا هذا الموضوع سابقاً، وبينا وجهة نظرنا المبدئية، القائمة على تعدد العوامل، وليس على أن الأقتصاد هو العامل الوحيد المحرك للتاريخ، هذا مع أن الكاتب، يتواضع، معتبراً أنه العامل الرئيس، وهذا أيضاً، أمر فيه نقاش طويل، وخلاصة الرأي المتبنى من قبلنا، والمستفاد من النصوص القرآنية والحديثة، فضلاً عن الاستقراء لوقائع التاريخ، وحركته العامة، هو انه ليس هناك من عامل رئيس باستمرار، بل أن الأمر يختلف باختلاف الظروف.

التاريخية»[١]، وربما كرد فعل لشيوعها في مرحلة القطبية الثنائية السابقة.

إنها، في النهاية، على حد قول البعض، نتاج تغيرات سياسية وبنيوية في النظام الدولي القائم بذاته، وجدت تعبيرها الأبرز في اتفاقات دايتون والبوسنة، وبشأن كوسوفو ومقدونيا، أي من خلال تعميم التجارب التي كانت البلقان مسرحاً لها في السنوات الأخيرة، أنها ترسيخ لنهوض أمريكا بدور الدولة المقررة لمجريات الأمور، عالمياً بدور الشرطي العالمي، بل إنها نظرية محبطة تعني أستحالة حل الصراع العربي الإسرائيلي، نظرية تبرر أستمرار الحرب إلى غيرأجل، (وملاحظتنا على كلام كاتب المقالة – محمد سيد أحمد –أنه أيضاً يحاول أن يبرر المفاوضات والمساومات والتنازلات لحل الصراع نع العدو الصهيوني... عندنا يصف نظرية صدام الحضارات بأنها محبطة.... ولاأدري ماذا يريد الكاتب؟ وكيف يتصور الحل لهذا الصراع؟ وعلى أية أسس.... هذا بالإضافة إلى أن الصراع بيننا وبين الكيان الصهيوني، ليس صراعاً حضارياً بحتاً، بل الصراع، هو على قضية واضحة كل الوضوح إنها قضية احتلال قائم على الغصب والظلم، وادعاء الأحقية بالأرض، وتبريرعملية طرد شعب فلسطين من أرضه تحت شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» فهل يوافق كاتب المقالة على هذه الأدعاءات والشعارات والأقوال والممارسات.... حتى ينعى على هتنغتون ما يمكن أن توحيه نظرية صدام الحضارات، من أستحالة حل الصراع بين الأمة وعدوها الصهيوني؟).

(١) إننا نوافق الكاتب على وجود سنن تاريخية تفعل فعلها، ولكن نظريتنا القرآنية في تفسير التاريخ تقول بعدة أشكال لهذه السنن، مما يخرجها عن فكرة »الجبرية التاريخية«، كما يعبر الكاتب، ولك أن تراجع حول هذا الموضوع الفصل الثاني من هذا الكتاب« تحت عنوان: »الإنسان هو محور حركة التاريخ.

ويضيف «محمد سيد أحمد» إن النظرية أيضاً تبرر «ضرورة أن تسلم الأطراف العربية باستحالة مناهضة إسرائيل في النهاية...» [١].

ويقول: «بل جاز لنا القول بأن نظرية صدام الحضارات وثيقة الأرتباط بمرحلة تصاعد الإرهاب، وهيمنته على الوضع الدولي، والقول باستمرارية القطبية الثنائية في صورة مستحدثة، لا في صورة مواجهة بين الشيوعية والرأسمالية، بين الشرق والغرب، بل بمواجهة بين قطبين أحدهما في إطار «شرعية» النظام تتزعمه أمريكا، وقطب «إرهابي» خارج «شرعية» النظام تتهم أمريكا بن لادن بتزعمه...».

(١) هناك تضاد بين ما قاله قبل قليل وما يوحي به كلامه من أن النظرية تبرر «إستحالة مناهضة إسرائيل في النهاية».

حوار الحضارات أم (صراع) الحضارات

إن من يدرس الحركة التاريخية، والمراحل التي مرت بها البشرية، يستنتج –إن كان منصفاً– أن الأرادة الإنسانية، هي محور هذه الحركة، حتى أن الدين يعتقدون بتأثير العامل الواحد على حركة التاريخ، سواء اكان عاملاً إقتصادياً أم جغرافياً أم غير ذلك، يغفلون أن وراء هذه العوامل مجتمعة أم غير مجتمعة، إرادة الإنسان التي صنعت كل ذلك، لذلك فإن القول بالقدرية التاريخية، غير صحيح، لأن السنن التاريخية المؤثرة في المجتمعات وتبدلاتها، والتحولات التاريخية ترتبط بالإرادة الإنسانية إما في الأصل أو في النتيجة أو التكوين والتشكل أو في التكامل أو التلاشي، وعليه فالسنن التاريخية تتوقف عن العمل، وتبطل بدون الإنسان، وهذا لا يعني أن «التاريخ لا ينطوي أحياناً على ما يمكن أن نسميه بالعوامل غير المحسوبة أو العوامل غير القابلة أن تحسب مسبقاً أو سلفاً، إما لطبيعة تكوينها و إما لطريقة حدوثها، وهي بالتأكيد غير ما يعنيه الباحثون الإستراتيجيون بإصطلاح «المتغيرات» لأنها تدخل في نطاق المجهول المطلق، الذي لا يمكن أن يقارن في هذا الصدد بالمعلوم النسبي من البدائل والإحتمالات، وتستطيع ان تطلق عليها أو تلصق بها ما تريد من الأسماء «إرادة الله»، «مشيئة القدر»، «لعنة التاريخ» الخ....

والواضح من معناها أن أحداً لا يمكن له أن يقود حركة التاريخ إلى المجرى الذي يريد... هذه الملاحظة وردت على لسان الكثير ممن عملوا

في تحليل حركة التاريخ وفلسفته...»[١].

صحيح أن أحداً لا يستطيع أن يقود حركة التاريخ وفق ما يريد، ولكن هذا لا يعني –بحال أن هناك عوامل تدخل في نطاق المجهول المطلق، وهو ما يطلقون عليه «مشيئة القدر، و إرادة الله» و إنما الصحيح، بالعودة إلى النصوص من السنة الشريفة، أن كل أمور الحياة والكون والتاريخ والحضارة، يفعل فيها قانون السببية كما في الحديث: «أبى الله إن يجري الأشياء الا بأسبابها، فجعل لكل شيء سبباً...» إذن، المشكلة تكمن في جهل الإنسان لهذه الأسباب، وليس لأن هذه العوامل المؤثرة في حركة التاريخ غير قابلة لأن تحسب مسبقاً، أو تعرف لاحقاً.

ولهذا فإننا نؤيد، من يعارض كلام صاحب مقالة: «سيناريو صراع الحضارات»، لنقول معهم: «إن التاريخ لا ينتظر تبلور الفكرة لينطلق، ولكنه هو الذي يتحرك ويحرك الفكر معه» وفقاً لقانون السببية، وعلى هذا، وكما كتب صاحب المقالة الآنفة الذكر، فإن «نظرية» «صراع الحضارات»[٢] لا تخلو من قراءات صائبة لحركة التاريخ، وتأشيرات دقيقة لمعطيات موجودة في عالم اليوم، وهذه هي «مصداقية الفلسفة»... وهذا بالتحديد ما سيدفع إستراتيجي وسياسي الولايات المتحدة وممثلي مصالحها في العالم للعمل باتجاه تعميق الخطوط الرئيسة للصراعات التي تفترض هذه النظرية في صراعات عالم اليوم، وهذا ما أسميناه «منفعية السياسة»، فالسياسة الصائبة هي التي تستفيد من كل المعطيات المطروحة أمامها وتوظفها باتجاه الهدف المنشود..

---

(١) انظر: صدام الحضارات (المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق) – ص٤٢٩ نقلاً عن: دراسات عربية – شهر أيار ١٩٩٧ – مقالة لصبري مصطفى البياتي (أستاذ مساعد في كلية الآداب – جامعة بغداد) – بعنوان: »سيناريو صراع الحضارات«.

(٢) أنظر الهامش رقم (١).

«إن للولايات المتحدة الأمريكية الكثير من المصالح الكونية التي يحققها وضع هذا السيناريو موضع التنفيذ، وهي كذلك تمتلك عدداً من الأدوات التي تسمح لها بتحقيق ذلك، ولو على نحو جزئي...» [١].

إنطلاقاً من هذه النظرة التي تقوم على أساس «منفعية السياسة»، كما عبر الكاتب في مقالته، يمكن أن نؤسس نظرة جديدة، ونطرح النظرة الإنسانية –الحضارية القائمة على (حوار الحضارات) وليس على صراعها أو صدامها، ما دام هذا الصراع أو الصدام حتمياً، و إنما هو خاضع لرغبة القوى، أو القوة الأقوى في العالم، (الولايات المتحدة الأمريكية) التي تريد أن تفرض هيمنتها على الساحة الدولية، وتستضعفهم، وتنهب ثرواتهم، وتتحكم بمصائرهم، إستناداً لرغبة تسليطة –فرعونية –مستغلة لمعطيات العلم والتقدم العلمي والتقني، ومخترعات التطور، عسكرياً ومدنياً، و إذا كانت مسيرة الحضارات التاريخية تحوي الجانبين، جانب التابين، وجانب التألف، فلما يغلبون الجانب الصدامي والصراعي، ولما لا تنتصر إرادة الخير على إرادة الشر، ومصلحة الإنسانية، على شهوات التسلط عند القوى.

إن نظرية «حق القوة» لابد أن نواجه «بقوة الحق»، ولا تستطيع «قوة الحق» أن تحق الحق إلا إذا إمتلكت القوة لاحقاقه في مقابل حق القوة، الذي يفرض قوة الباطل بباطل القوة باعتبار أنه حق مصداقاً لنظرية القوة القائلة بأن «حجة القوي هي الأقوى».

ومرة أخرى، فإننا نعارض صاحب مقالة «سيناريو صراع الحضارات» في إستنتاجاته، مع إتفاقنا معه، على ان ما تمتلكه الولايات المتحدة الأمريكية من قدرات إقتصادية، و إن كانت قد فقدت قيادتها للمنظومة الرأسمالية، وأشركت معها أوروبا واليابان في إدارة حركة النشاط

(١) نفسه – ص ٤٣٠.

الأقتصادي البشري، وكذلك قدراتها العسكرية والعلمية الأمريكية، ومنتجاتها التكنولوجية «العسكرية والمدنية» تسمح لها بإتخاذ الإجراءات التي تساعدها على توسيع أسواق التصريف أمام منتجاتها، ودفع العالم إلى أن يقدم إليها ما يحتاجه إقتصادها من فوائض، وتدعم هذه القوة الإقتصادية قوة عسكرية هائلة، استخدمتها الولايات المتحدة في إعطاء دروس للعالم بوجوب الطاعة للنظام الذي تفرضه، و إلا فإن التدمير والحصار والعدوان ستكون مصير كل من يقف في طريق هذه الهيمنة، وتدعم كل ذلك منظمات دولية، أفرغت من كل قدراتها وتوجهاتها العالمية، وأصبحت إذاعات تصدر منها الولايات المتحدة الأمريكية قراراتها الخاصة بمصائر الشعوب[1].

إن هذه القوة التي تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي نعمل لوضع «سيناريو صراع الحضارات» قيد التنفيذ، قد لا تستطيع إستغلالها حتى النهاية، والقول بأن الحقيقة، كانت على مر العصور، عزلاء، بمعنى، أنها لا تمتلك القوة على القسر، ولا حتى الدفاع عن النفس، و إن أمتلكت القوة على الاقناع، كما يعبر صاحب المقالة الآنفة الذكر، و إن من إمتلك القوة لم يمتلك الحقيقة، والمعركة المزمنة –برأيه –لا تزال دائرة حتى الآن بين الحقيقة والقوة، تنتهي دائماً بانتصار الحقيقة في عالم الفكر المجرد وسيادتها في العقول والقلوب والضمائر، وانتصر القوة في عالم الواقع الحي، وسيطرتها على المصائر والأقدار والقرارات.

ولكن هل أن هذا الكلام صحيح دائماً؟ وهل أن الحقيقة عزلاء دائماً... دائماً؟ وهل صحيح أن معظم صفحات التاريخ قدي كتبتها القوى الغاشمة العمياء، ولم تكتبها الحقيقة المجردة العزلاء؟

(١) نفسه – ص ٤٣٢.

ويبقى السؤال الذي يحتاج إلى جواب حاسم هو: لماذا كانت الحقيقة دائماً عزلاء، كما يؤكد صاحب المقالة؟

ألا يمكن لهذه الحقيقة أن تمتلك القوة، في زمن من الأزمان؟

و إذا أمتلكت هذه القوة، الا تقدر هذه الحقيقة أن تكتب تاريخ الحقيقة، بقوة الحقيقة، ولا بالقوة الغاشمة العمياء؟

ولماذا كتب على الحقيقة أن تكون دائماً عزلاء؟

أليس معنى هذا الأبتعاد عن الحقيقة نظراً إلى أن قوة الحقيقة في ذاتها قد تنقلب لتصبح قوة حقيقية ذات قدرة تنفيذية واقعية؟

ثم إذا كان صراع الحضارات هوالقاعدة، مع ان هذا عليه ألف إشكال وأشكال، ويعبرعن وجه واحد لمسيرة الحضارات، وليس كل وجوه التعامل بين الحضارات قائماً على الصراع، بل إن للحضارات وجوهاً أخرى قائمة على الحوار بينها، و إن كان هذا الوجه «صراع الحضارات» موجوداً، فهو إستثناء، وليس القاعدة.

و إذا كانت القوة هي التي تفرض وجهة النظر، كما تحاول ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، فتعمل على وضع «سيناريو صراع الحضارات» موضع التنفيذ، مستندة إلى حقيقة معروفة في التاريخ، حقيقة أن الفائز بأخذ كل شيء[1]، فإن قوة الحضارات قد تفرض منطقاً آخريقوم مبدأ حوار الحضارات لا صدامها، وتستخدم شعور هذه الحضارات قوتها، لتفرض هذه الحقيقة بقوة الحق، لا بحق القوة.

ثم إن الولايات المتحدة الأمريكية، إن أستغلت هذا «السيناريو لصالحها، فعليها أن تدرك، إن التاريخ لم ينته، و إن نظرلذلك فوكوياما،

(١) نفسه – ص ٤٣٢.

وأن «نهاية التاريخ ليست نهاية في أتجاه بقاء نموذج الليبرالية أو الديمقراطية الحرة على حساب كافة الأشكال التاريخية فحسب، بل هي –زعمهم– إنتصار للغرب –بالمعنى الأيديولوجي– بوصفه مركزاً للكون، وأن كان مقصودهم بالغرب في الولايات المتحدة الأمريكية، الحداثة فإن هذه الحداثة عرض طارئ.

ولقد مرت على الغرب قرون، كان فيها مغلوباً على أمره، مستقيلاً عن التاريخ الحضاري للعالم[١].

فكما أن الإتحاد السوفياتي السابق، سقط، وسور برلين قد أنهار، فإن الحضارة الغالبة، ينبغي أن يعلم دعاتها، أن التاريخ لن يتوقف عند الديمقراطية الليبرالية، لا بل أن سقوط المنظومة الإشتراكية، و إن كان بمثابة إعلان موت الأيديولوجيا الإشتراكية (الشيوعية) فإنه يؤذن بسقوط أكثر ترويعاً ودراماتيكية من سقوط الإشتراكية، كون النظامين ينتميان إلى حضارة واحدة، هي الحضارة الغربية، «ولقد فعل فوكوياما المستحيل كي يقنعنا بأن المعركة بين حضارتين أو لنقل بين الغرب وغيره. الأمر الذي يؤكد على قرائته السيئة للتاريخ الحديث هذا إن لم نتهمه بتزييفه والحال، أن الحرب الباردة، هي أشبه ما تكون بحرب أهلية عظمى تفجرت داخل المنظومة الغربية وانتشرت شظاياها لتهز العالم هزاً على إيقاع جنون الحداثة بوجهيها التقليدي والثوروي لم تكن الشيوعية إلا رؤية حداثية مختلفة حاولت تخليص الحداثة من فظاعتها وأوهامها»[٢].

ويؤكد صاحب مقالة «نهاية التاريخ أم نهاية الغرب السياسي»، «إن الشيوعية لم تنشأ خارج الغرب ولا خارج شروطه، وكما عبر عن ذلك لينين،

(١) أنظر المنطلق الجديد – العدد الرابع – مقالة بعنوان: نهاية التاريخ أم نهاية الغرب السياسي – ص ٦٢ للكاتب المغربي إدريس هاني.
(٢) نفسه – ص ٦٤.

إنها الوريث الشرعي لأفضل ما أنتجه الغرب في الإقتصاد السياسي الإنكليزي والفلسفة الألمانية وعلم الإجتماع الفرنسي. ألم يعتبر ماركس الإستعمار ضرورة لتحديث البلا المحتلة، إذ دخول الآلة يوشك أن يفكك الأنماط والهياكل الأجتماعية القائمة. إنه القائل: «أمام إنكلترا مهمة مزودجة تنجيزها في الهند الأولى تدميرية والثانية توليدية، إزالة المجتمع الآسيوي القديم ووضع الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا»[1].

إن نهاية المعسكر الشرقي هي في الواقع نهاية لإحدى الطرائق الممكنة للحداثة التي من المفترض أن تشكل عبرة للغرب لا موضوع شماته»[2].

الإمام الخميني ﷺ يتنبأ بسقوط الشيوعية... ونفيها إلى متاحف التاريخ:

إن هذه النهاية المحتومة للمعسكر الشرقي قد تنبأ بها الإمام الخميني+، في تلك الفترة التي مرت، من عمر الإتحاد السوفياتي السابق، مما حدا بالإمام الخميني ﷺ أن يكتب رسالته التاريخية ليرسلها إلى آخر الزعماء السوفييت «ميخائيل غورباتشوف»، «وقد جاء توقيت الرسالة – على صعيد المعسكر الإشتراكي – متزامناً مع سلسلة من المتغييرات المتلاحقة في قطبه المحوري «الإلحاد السوفياتي السابق» وهي تغييرات أمتازت بعنصر المفاجأة بحيث جعلت المراقبين السياسيين مترددين تجاه إحتمالات مسارات الأحداث في هذا المعسكر، عاجزين عن اتخاذ موقف تحليلي حاسم تجاهها، انعكس على الموقف الغربي الذي أثبتت الأحداث

(١) أنظر: »مجتمعات ما قبل الرأسمالية« – عن د. غويغوار مرشو: إيديولوجيا الحداثة بين المثاقفة والإنفصام الحضاري – ص ٤٥، الأهالي – ط ٢٠٠٠ – دمشق.

(٢) المنطلق الجديد – من مقالة ذكرت سابقاً – ص ٦٤.

اللاحقة، أنه كان جل إهتمامه منصباً على تمزيق هذا المعسكر، و إستغلال أزمانه لفرض نظامه الدولي الجديد المرسوم بزعامة الدكتاتورية السلطوية الغربية دون أن يدخل في حساباته تأثيرات تمزق المعسكر الشرقي على صعيد تمهيد الأرضية لتفجير التناقضات داخل المعسكر الغربي نفسه، وهو ما يشهد العالم بوادر حصوله في الظهور الأوروبي وتطوات ألمانيا الموحدة والقوة اليابانية وغير ذلك على حساب المحورية الأمريكية»[1].

ولقد توجه الإمام الخميني ﷺ إلى الزعيم السوفياتي «غورباتشوف» ليقول له:

«من الممكن أن يبدو العالم الغربي –أمامكم –وكأنه جنان خضر، فهذا نتيجة للأساليب الخاطئة والسياسات المنحرفة لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الإقتصادي، ولكن الحقيقة هي في مكان آخر.

إنكم إذا أردتم أن تحصروا جهودكم لحل العقد المستعصية في الإقتصاد الإشتراكي والشيوعية –في هذه المرحلة –باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فاعملوا أن نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبكم فحسب، بل ستتجاوز ذلك إلى إيجاد حالة تستلزم مجيء من يعالج آثار أخطائكم، لأن العالم الغربي مبتلى أيضاً بنفس ما ابتليت به الماركسية اليوم من وصول مناهج تعاملها مع القضايا الإقتصادية والإجتماعية إلى طريق مسدود، بل هو مصاب بمشاكل أخرى، والفرق هو الصور والظواهر.

حضرة السيد غورباتشوف....

(١) نداء التوحيد – شرح رسالة الإمام الخميني ﷺ لغورباتشوف – الشيخ جوادي آملي – ص ٨ (المقدمة).

الواجب هي التوجه نحو الحقيقة.

إن مشكلة بلدكم الأساسية لا تكمن في مشكلة الملكية والإقتصاد والحرية، بل إن مشكلتكم الأساسية هي فقدان الإيمان الحقيقي بالله، وهي نفس مشكلة العالم الغربي التي قادته إلى الإنحطاط والطريق المسدود أو ستجره إلى ذلك، إن أزمتكم الحقيقية تكمن في محاربتكم الطويلة العقيمة لله، مبديء الوجود والخلق.

لقد أتضح للجميع أن البحث عن الشيوعية يجب أن يتوجه من الآن فصاعداً –إلى من متاحف التاريخ السياسي العالمي، أما لماذا؟ فلأن الماركسية لا تلبي شيئاً من أحتياجات الإنسان الحقيقية، ولماذا؟ لأنها مذهب مادي، ومحال إنقاذ البشرية بالمادية من الأزمة التي خلقها فقدان الإيمان بالمعنويات، وهذا هو الذي يمثل العلة الأساسية لم تعانيه المجتمعات الإنسانية، شرقية أم غربية...»[1].

القائد السيد الخامنائي يتنبأ للرأسمالية الغربية بذات مصير الماركسية في الشرق:

وهكذا فإن سقوط المعسكر الإشتراكي، والنظرية الماركسية يقدك «صورة محتملة ومستقبلية عن الكيفية التي يتوقع أن ينهار على صورتها المشروع الغربي ويختفي تماماً، ليصبح كسلفه موسوعة صفراء متقادمة في متاحف ما بعد السيادة الغربية، وواحدة من أبشع التراجيديات التي شهدها التاريخ البشري.

إن سقوط الإتحاد السوفياتي، هو تأرخة درامية لبداية النهاية لأكذوبة عمرت طويلاً، إسمها الليبرالية.

ولعل واحدة من الدلالات التي تفسر أقدام الزعيم الإيراني الراحل

(١) نفسه – ص ١٢ – ١٣.

الإمام الخميني ﷺ على تحرير رسالته الشهيرة إلى غورباتشوف، لهي هذه الحقيقة التي تؤكد على ذكاء بالغ لقائد ثورة أعلنت إستقلالها التام عن الكيفيتين معاً للحداثة الغربية، لصالح خيار ثالث، الحداثة المصنعة محلياً.

«لقد أدرك ﷺ، بأن روسيا التي ثارت على الوجه المتوحش للحداثة، لا يمكنها القبول به مرة أخرى بعد ان جربت وجهها الآخر الذي بدا متبرجاً بواجهة أكثر إنسانية من ناحية العدالة الإجتماعية. لقد أدرك بأن روسيا قد شهدت بالفعل نهاية التاريخ، بخروجها على مرحلة ما بعد الحداثة الغربية بنمطيها. وبعد أن تنبأ لها بسكنى متاحف التاريخ، ظل يتوقع المصير نفسه لوجهها الآخر، وأمام هذا الفراغ، كان قد عرض خياره الثالث على روسيا، ففي أوج الصراع ضد الغرب، وعنفوان الحساسية المفرطة، كان القائد الإيراني (الخميني «ﷺ») يمارس ضرباً جاداً من ضروب –حوار الحضارات»[1].

ولطالما أكد القائد السيد الخامنائي على هذا المصير الذي ستلافيه الرأسمالية الديمقراطية، فقد قال، في أكثر من مناسبة:

إن «الديمقراطية الليبرالية والغرب سيشهدان المصير الذي شهدته الماركسية في الشرق».

وقال السيد الخامنئي خلال لقاء مع عسكريين، إن «الماركسية شهدت الإنحدار والتدمير لأنها أرادت أن تفرض نفسها بمثابة الفكر الوحيد.

ويبدو أن الغرب لم يعرف كيف يستخلص العبر، ولهذا السبب ستشهد الديمقراطية الليبرالية والغرب المصير نفسه.

ومن حديث للسيد القائد الخامنئي أما كتائب حراس الثورة

(١) المنطلق الجديد – من مقالة ذكرت سابقاً – ص ٦٦.

الإسلامية (الباسدران) أن «الثورة الإسلامية التي أحدثت زلزالاً في العام ١٩٧٩م تسعى إلى محاربة تسلط القوى الكبرى، وخصوصاً تسلط الولايات المتحدة الأمريكية».

وأوضح أن «رسالة ثورتنا هي محاربة الإستكبار والهيمنة والتسلط».

وقال «إن الولايات المتحدة تقود الشرق الأوسط إلى الدمار والفوضى».

وقال في رسالة إلى المؤتمر (٣٧) للطلاب الإسلاميين في لندن إن «ما تريده (الولايات المتحدة) هو السيطرة على الأنظمة المستقلة والإستيلاء على ثروات المنتطقة».

وأكد السيد القائد الخامنئي أن «القوة الوحيدة التي يمكنها التغلب على قوة الإستكبار هذه هي قوة الشعوب»[١].

إن هذه الحقيقة التي اكد عليها السيد القائد الخامنئي، لم تغب عن بال كثيرين من الباحثين، حتى من الغربيين، يقول تاكيش أو ميهار: «إن الفشل الكامل للماركسية»، والتفكك المثير للإتحاد السوفياتي ليسا إلا نذرين لإنهيار الليبرالية الغربية، وهي التيار الرئيس للحداثة، فالليبرالية ليست هي البديل للماركسية، وليست هي الإيديولوجيا السائدة في نهاية التاريخ، و إنما ستكون قطعة الدومينو التالية التي تقسط»[٢].

ويقول جون جواي: «لم يكن إنهيار الإتحاد السوفياتي إنتصاراً أحرزه «الغرب» على أحد أعدائه، و إنما كان الدمار للنظام الاكثر طموحاً بين أنظمة هذا القرن ذات التوجه الغربي. ولم يكن القبول العالمي بالمؤسسات

(١) جريدة السفير (اللبنانية) – ١٦ / ٩ / ٢٠٠٢م.

(٢) أنظر: المنطلق الجديد – ص ٦٦ نقلاً عن جون جراي – الفجر الكاذب – ص٢٣٣ – أيضاً ٢٤١ – ترجمة أحمد فؤاد بلبع – ص ١٧٠ – ط١ – ٢٠٠١ – مكتبة الشروق – القاهرة – كوالامبور – جاكرتا.

والقيم الغربية، و إنما كان، بدلاً من ذلك، عودة روسيا إلى كل الأشكال التاريخية التي ميزت علاقتها باوروبا والعالم»[1].

(١) نفسه.

الثورة الإسلامية في إيران.. وحوار الحضارات:

يقول رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية[1]، السيد محمد خاتمي في خطاب حول حوار الحضارات وصعوباته:

«إن ثورتنا كانت ثورة الكلمة، فقد كانت الكلمة والنداء والحديث أدوات هذه الثورة وليس السلاح والقوة...

وعلى الصعيد الخارجي والإنساني، فإن ثورتنا قادرة بل جديرة بزيادة مسيرة الحوار مع اتباع المذاهب المختلفة، وهو الحوار الذي سيدور في البيت الإسلامي إلى جانب الحوار مع الاديان المختلفة، وكذلك مع الثقافات والحضارات الدينية وغير الدينية.

ونحن نستبدل الفكرة الخطيرة، والخاطئة القائلة بالمواجهة بين الحضارات بالدعوة إلى الحوار بين الثقافات والحضارات».

ويتحدث عن المعوق العصري، بعد ذكر المعوق التاريخي فيقول إنه «يتمثل بنفس «الإستعمار» فبعد أستقرار الحضارة الغربية كان ظهورها على المصالح الإقتصادية والسياسية، وحتى العسكرية تجاوزوا حدودهم الوطنية بقصد السيطرة على العالم، ولتحقيق هذا الهدف أباحوا لأنفسهم إستخدام كل الوسائل والأدوات، ومنها إثارة مساوي، التاريخ في الأذهان، ليس فقط للإبقاء على الخلافات بين المسيحين والمسلمين، وكذلك بين

---

(١) من خطاب ألقاه في طهران في إفتتاح المؤتمر الدولي لإحياء الفكر الديني للإمام الخميني قدس سره أنظر: جريدة الحياة ١١ / ٧ / ١٩٩٧ – أنظر أيضاً »صدام الحضارات« المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق – ص ٢٦٩.

المذاهب الإسلامية نفسها، بل أيضاً لإثارة هذه الخلافات من زوايا عديدة، وعلى نطاق واسع ليتمكن المستعمرون في ظل هذه الخلافات والنزاعات من الوصول إلى مصالحهم غير المشروعة.

واليوم، في إستطاعة المفكرين في العالمين الإسلامين والمسيحي، بل جميع مفكري العالم، فتح جسور الحوار في ما بينهم بعد إزاحة الحجب وحواجز التعصب من الأذهان، وباعتماد الفكر والمنطق لتحقيق عالم يعمه السلم، تحترم فيه حقوق الإنسان تحت أقدام أصحاب المصالح والقدرات الإقتصادية والسياسية».

العام الأول للقرن الحادي والعشرين عام الحوار بين الحضارات:

ولقد خطت الجمهورية الإسلامية للأمم المتحدة بالإجماع على إقتراح إيران بتسمية العام ٢٠٠١م عاماً للحوار بين الحضارات. و إن المصادقة على هذا القرار في أكبر منظمة دولية تعتبر من أهم منجزات السياسة الخارجية الإيرانية خلال العقدين الماضيين من عمر الثورة الإسلامية.

ولا شك أن ما حمل مندوبي دول العالم على قبول جعل أول عام من أعوام القرن الحادي والعشرين عاماً للحوار بين الحضارات هو الشعور العالمي بالحاجة لذلك»[1].

نهاية «نهاية التاريخ» وبداية مرحلة تاريخية جديدة:

وأخيراً تقول: هل أن أطروحة نهاية التاريخ وانتصار النظام الليبرالي هو امر واقعي أم مجرد أوهام تسلطية، ورغبات أستكبارية دفينة؟

وهل أن الواقع الدولي، والصراعات العالمية ونهضة الشعوب المستضعفة سوف تؤكد «نهاية نهاية التاريخ» وتسقط صدام الحضارات

(١) إطلالة على إنجازات الثورة في ثلاثة وعشرين عاماً – المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان – ٢٠٠٢م – ص ٨٤.

والثقافات ليحل مكانها حوار الحضارات، وتنتصر إنسانية الإنسان على وحشية الإستكبار العالمي؟

وهل أن سقوط الليبرالية الأمريكية المتوقع يؤذن يطلوع فجر جديد، وبداية جديدة لمرحلة تاريخية جديدة «تملأ الأرض فيها قسطاً وعدلاً بعد أم ملئت ظلماً وجوراً؟

إن الجواب على كل هذه التساؤلات يأتي على لسان النبي الأعظم محمد| كما جاء في كتاب فرائد السمطين للحموييني:

«إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنا عشر، اولهم أخي وآخرهم ولدي. قيل يا رسول الله: ومن أخوك قال: علي بن أبي طالب، قيل: ومن ولدك قال ﷺ: «**المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي يعثني بالحق بشيراً لولم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، ينزل روح الله عيسى بن مريم، فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب**».

ويقول الشعراني في مبحث «أشراط الساعة» وظهور المهدي عجل الله فرجه وفي موراد أخرى: «وعبارة الشيخ محي الدين في الباب السادس والستين والثلاث مائة من الفتوحات: «وأعلموا أنه لابد من خروج المهدي عجل الله فرجه لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً ولولم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طول الله ذلك اليوم حتى يلي ذاك الخليفة، وهو من عثرة رسول الله من ولد فاطمة عليها السلام جده الحسين بن علي بن أبي طالب، والده حسن العسكري إبن الإمام موسى الكاظم إبن الإمام جعفر الصادق، إبن الإمام محمد الباقر، إبن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

(١) اليواقيت الطبعة القديمة – ص ٢٨٨ – و ص ١٤٥ من الجزء الثاني من طبعة الجامع الأزهر في مصر وسنة طبعه هي ١٣٠٧هـ . ق .

وقد كتب الشعراني هذا المطلب سنة (٩٥٨هـ. ق) وذكر في ذيل ذلك أن عمر الإمام المهدي في ذلك التاريخ هو ٧٠٦ هجري قمري.. في حين أن «الفتوحات» الموجودة حالياً خالية من أي أثر لهذه العبارات وما فيها سوى جملة... هي «جده الحسن بن علي»[١].

المرحلة التاريخية الجديدة.... والكتب القديمة:

عن شاكموني، وهو يعتبر عند الهنود نبياً ذا كتاب، انه قال: «سوف يختم الملك «الحكم» في الدنيا، بإبن سيد الخلائق (كشن) وهو إسم الرسول صلى الله عليه وآله بلغتهم –وهو الذي يحكم على جبال الشرق والغرب، يركب السحاب، تخدمه الملائكة، والإنس والجن... يحكم من سودان، تحت الأستواء إلى عرض تسعين تحت القطب الشمالي، و إلى ما وراء البحار، في دولته يوحد دين الله، ويحيا أسمه تعالى، وأسمه (أي أسم المهدي) القائم، يعرف الله كما يحب...».

في كتاب التوراة –المتداولة –(العهد القديم) –أشعيا النبي – الإصحاح ١١ قال:

«ويخرج قضيب من جذع ياسين وينبت فرع من أصوله، تحل عليه روح الفهم، وروح الحكمة، لا يحكم بحسب سمع أذنيه، ولا بحسب نظر عينيه، بل بإلهام رباني، وفي دولة ياسين القائم يعيش الذئب مع الخروف، والنمر مع الجدي، والبقر مع الأسد، والأسد كالبقر يأكل نبتاً ويضع الفطيم يده في فم الأفعون، و إن أصل ياسين القائم راية للشعوب بكون محله مجداً، والأرض تمتلئ بالمحبة، ومخافة الله له، وتظهر له جميه كنوز العالم، سواء كانت في سهل، أم في جبل، أم في بر، أم في بحر، وهو الذي تبدو أموره، ويظهر في البيت الله» (أي مكة).

---

(١) أنظر نداء التوحيد (شرح رسالة الإمام الخميني لغورباتشوف) – الشيخ جوادي آملي – ص ٩٨ – ٩٩ دار الهادي – بيروت – لبنان.

وحدة الأديان... ودين التوحيد.. وتوحد الحضارات... في المرحلة الجديدة للتاريخ:

يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

جاء في تفسير مجمع البيان أن المقصود به هو عيسى المسيح عليه السلام ينزل في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أخل الكتاب إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام، ويهلك في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، ويلبث (المسيح عليه السلام) في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه».

وفي الكشاف (للزمخشري) قال: المراد من أهل الكتاب، في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.... (الآية الآنفة الذكر)، هم اليهود والنصارى، الذين هم في زمان نزوله من السماء، ولا ريب أن زمان نزوله عند قيام القائم عليه السلام.

وقال الزمخشري: روي أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام...

وقال أيضاً وهو ينقل جواب شهربن حوشب للحجاج، الذي قال له إن هذه الآية (الآنفة الذكر) قد أعيته فقال له شهر: أصلح الله الأمير... إن عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة، يهودي ولا غيره، إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك، أنى لك هذا، ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال: والله جئت بها من عين صافية..».

نهاية التاريخ... وحضارة الهدى والأمان والرخاء والسلام:

حول هذه الفكرة نورد باقة من الأحاديث، لا تحتاج إلى تعليق:

١- جاء في الخبر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لو قام قائمنا لأنزلت السماء مطرها... وأخرجت الأرض نباتها حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام، لا تضع قدمها إلا على البنات وعلى رأسها زنبيلها، تمر به خالياً، فلا تصل غايتها إلا وقد امتلأ من الخضر والثمار**».

٢- وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً: «**لو قام قائمنا أذهبت الشحناء من قلوب العباد، وأصطلحت الأمور (السباع) والبهائم، حتى أن المرأة تمشي من العراق إلى الشام لا يهيجها سبع ولا تخافه**».

٣- عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**وتنعم فيه امتي نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرض فيه اكلها، ولا تدخر منه شيئاً، والمال يومئذ «كدوس» (أي كثير مكدس بعضه فوق بعض) يأتيه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول له: خذ، ويحثي له من الذهب في ثوبه ما أستطاع أن يحمله**».

٤- عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**لا تدع السماء شيئاً من قطرها إلا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء حضور الأموات**».

٥- عن الباقر عليه السلام: «**يسوى بين الناس حتى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة**».

٦- عن الصادق عليه السلام: «**إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى الناس، ويبنى في ظهر الكوفة مسجد له ألف باب، وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء والحيرة**»، (المسافة بينهما حوالى ١٠٠ كلم).

أحاديث أخرى حول التطور العلمي والحياتي (والحضاري) في المرحلة

الجديدة للتاريخ:

٧- روى أحمد بن حنبل في مسنده: «ولا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله» إشارة إلى المخترعات الحديثة ابتداء من الراديو «الصغير» وكافة آلات الالتقاط والإرسال «الهاتف الخلوي النقال»... الخ.

٨- عن علي عليه السلام: «**ستخرج الأرض بركاتها، وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء وبالعكس، وتحمل الشجرة في كل سنة مرتين، ويزرع الرجل الحنطة والشعير فينتج الصاع مئة، وتكون السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، واليوم كالساعة**».

٩- جاء في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي، من نسخة مطبوعة عام ١٢٣٣هـ، المجلد ٢٣، ص ١٣٥ – ١٦٣ – ١٦٨ نقلاً عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ، وعن كتاب الإرشاد للمفيد المتوفى عام ٤١٣هـ- وعن كتاب معاني الأخبار للصدوق، المتوفى عام ٣٨١هـ، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

«**يأتي على الناس زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب، وكل قوم يسمعون الصوت بلغتهم و إن العرب تخرج من سلطان الأجانب، وتملك نفسها بنفسها وحينئذ تخلع أعنتها، وأنه لا يبقى صنف من الناس إلا ويحكم الناس**».

١٠- روى أحمد بن حنبل في مسنده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**سيرى الناس أموراً يتفاقم شأنها في نفوسهم يتساءلون بينهم: هل كان النبي ذكر ذلك**».

١١- قال صلى الله عليه وآله: «**يخرج قوم ياكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة ولعل**

المقصود بهذا الحديث المأجورون من الإعلاميين وبعض أرباب الصحف الذين أمتهنوا الكذب لصالح جهات تدفع ثمن هذه الاكاذيب والأفتراءات، وما أكثرهؤلاء في هذا الزمان.

١٢- وفي مسند أحمد، ورد عنه صلى الله عليه وآله:

«**ستكون معادن يحضرها أراذل الناس» (أي أن مستثمري البترول من الأجانب المستكبري، والشركات الاستعمارية»**.

١٣- جاء في صحيح البخاري، ج٩، ص ٧٣، طبعه محمد علي صبيح، عن النبي صلى الله عليه وآله:

قال: «**يوشك أن ينحسر الفرات عن كنزمن ذهب**» (إشارة إلى البترول).

وفي نفس الكتاب، ص ٦٣، قوله صلى الله عليه وآله:

«**سيتقارب الزمان وينقص العمل**» (إشارة إلى سرعة التواصل عبر الآلات الفنية وما أخترعه الإنسان، وعصر الإنترنت، والاستغناء عن اليد العاملة بالآلة الميكانيكية وغيرذلك).

١٤- وفي مسند أحمد، ج١٢، ص ١٧٣، طبعة ١٩٥٣، يقول صلى الله عليه وآله:

«**تتقارب الأسواق، وتتقارب الأزمان**».

١٥- وعن النبي صلى الله عليه وآله: «**تتقارب الأسواق، ويظهر الربا، وتتعامل الناس بالغيبة والرشا، ويتفقه أقوام لغيرالله، ويكثرأولاد الزنا... ويتغنون بالقرآن**» (فقوله صلى الله عليه وآله: يتعامل الناس بالغيبة، إشارة إلى ما يجري بين التجار فيبرق تاجرأحدهما الآخر، وقد يشاهد أحدهما الآخر، وقد يشاهد أحدهما الآخر عبرالهاتف الخلوي الناقل للصورة... الخ).

١٦- وفي كتاب المحمولاتي في الملاحم والفتن، قال علي عليه السلام: «**إن**

من علامات آخر الزمان إنسان يتكلم من القمر».

١٧- وفي كتاب بحار الأنوار، م١٤، ص ١١٣، ط١٣٠٥هـ جاء ما يلي:

سئل الإمام الصادق عليه السلام: «**هل في السماء خلق؟ قال: أجل، وفي الفضاء الذي بين سماء وسماء خلق**».

١٨- وفي رواية أخرى يقول الصادق عليه السلام: «**إن الله عزوجل إثني عشر ألف عالم (لعل هذا الرقم كناية عن الكثرة، لا الحصر)، كل منها أكثر من سبع سماوات وسبع أرضين، ما يرى عالم منهم أن الله عزوجل عالماً غيره...**».

الفصل الثاني:
الإنسان هو محور حركة التاريخ

يعتبر القرآن العظيم المصدر الرئيس في عملية تحديد قوانين التطور التاريخي، والسنن الأجتماعية للحركة التاريخية، وقبل البدء في تفصيل الكلام حول التفسير القرآني للتاريخ، تقف عند النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن القرآن الكريم يحوي منهجاً متكاملاً يبين الطريقة الفضلى لدراسة التاريخ، ويعرض القوانين العامة الحاكمة للظواهر التاريخية، ويوجه الأنظار لاستخلاص هذه السنن من مصاديق يقدمها في ثنايا آيات كريمات، تتحدث عن الوقائع التاريخية.

النقطة الثانية: المنهج القرآني في تفسير التاريخ يتميز بالمرونة والواقعية والربانية والشمول والموضوعية.

النقطة الثالثة: تتخذ السنن التاريخية المعروضة في القرآن الكريم ثلاثة أشكال[1]:

الشكل الأول: شكل القضية الشرطية، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء، وهذه الصياغة موجودة في كثير من القوانين والسنن الطبيعية والكونية.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

ويقول أيضاً: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[3].

---

(١) الصدر: السيد محمد باقر – مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن – ص ٨٤ وما بعدها – دار التوجيه الإسلامي – بيروت.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) الإسراء: ١٦.

الشكل الثاني: شكل القضية الناجزة، المحققة، التي لا يملك الإنسان أن يغير من ظروفها، أو يعدل من شروطها، ومثاله في القوانين الطبيعية والكونية، أن يقرر علماء الفلك، مثلاً أن الشمس سوف تكسف في ١١ آب عام ١٩٩٩م، ويرى ذلك كاملاً في كورنفال الجنوب الغربي الإنكلترا[١]، ويكون من قبل مدة طويلة من وقوع الكسوف، او أن القمر سوف يخسف في اليوم الفلاني.

يقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٢].

الشكل الثالث: «هو الشكل المصاغ على صورة إتجاه طبيعي في حركة التاريخ، لا على صورة قانون جدي صارم، إذ أن بعض الأتجاهات الموضوعية في حركة التاريخ تقبل التحدي، ولو على شوط قصير، أي أنها مرنة، ولكنها في حال تحديها في حال تحديها يتحطم المتحدي على سنن التاريخ نفسها، فمثلاً لو تحدي مجتمع ما سنة «الزواج» لتحطيم بأعتبار أنها أتجاه ركب في طبيعة الإنسان. و «الدين» مثلاً يعتبره القرآن الكريم سنة من سنن التاريخ من جهة، وتشريعاً ربانياً من جهة أخرى، ولكن يمكن لشخص من الأشخاص تحدي هذه السنة، وعدم الإلتزام بها، ولكنه سينال عقابه وفق سنن التاريخ نفسه».

يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

---

(١) لقد حدث ذلك في حينه، وكان لهذا الكسوف الصدى العالمي والإهتمام الإعلامي الكبير.

(٢) القمر: ١.

(٣) النور: ٣٠.

الإنسان هو محور الحركة التاريخية:

إن النظرة القرآنية إلى الإنسان تقرر أن محرك التطور التاريخي هو الإنسان نفسه، إرادة الإنسان وعقله وعواطفه ودوافعه وحبه لذاته، أي أن المحتوى الداخلي للإنسان هو الذي يشكل الأساس في عملية التحويل الأجتماعي، والتطور التاريخي، وفي حال حصول التغير في داخل الإنسان، فإن ذلك جديداً ضمن أطر جديدة، ومقومات، وأهداف ونتائج تختلف أختلافاً جذرياً عن حالتها السابقة.

ولا ننكر، أن للبناء الخارجي أثره على البناء الداخلي للإنسان، إذ أن هناك علاقة تجاذب بين الواقع الموضوعي والمحتوى النفسي للإنسان، إلا أن الإنسان بفكره و إرادته هو المحور الأساس للتطور التاريخي.

قال تعالى، موضحاً سنة التغير الإجتماعي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، ونستطيع أن نقول إن «التغير الأساس هو تغيير ما بنفس القوم، والتغيير النابع المترتب على ذلك، هو تغيير حالة القوم النوعية والتاريخية والإجتماعية، ومن والواضح أن المقصود من تغيير ما بالانفس، تغيير ما بانفس القوم بحيث يكون المحتوى الداخلي للقوم، كقوم وكأمة وكشجرة مباركة تؤتي أكلها كل حين، متغيراً. فالمحتوى النفسي والداخلي للأمة، كأمة، لا لهذا الفرد أو لذلك الفرد، هو الذي يعتبر أساساً وقاعدة للتغييرات في البناء العلوي للحركة التاريخية كلها[2].

وهكذا فإن التغيير الإجتماعي من وضع غلى وضع إنما يخضع، في الدرجة الأولى، إلى الإرادة الإنسانية والتفكير البشري، فالإنسان هو الذي يطور وسائل الإنتاج وليست وسائل الإنتاج –كما تزعم الماركسية– هي

(١) الرعد: ١١.

(٢) الصدر: محمد باقر – ذكر المرجع سابقاً – ص ١١٧.

السبب في تبدل الأحوال الإجتماعية والإقتصادية والدينية والحقوقية.. ولهذا فإن محرك التطور الأجتماعي يعود لعوامل شتى قد يبرز تأثير بعضها في حالات، إلا أنها تشترك جميعها او أكثرها في عملية التطور ودفعه، ومن هذه العوامل العامل الإقتصادي، والعامل السياسي، والعامل العسكري، والعامل الأخلاقي... و إذا قيل إن كل هذه العوامل تتحدد بالعامل الإقتصادي، فإنه في هذه الحال، لابد من معرفة السبب الذي يرتكز عليه هذا التطور، فإذا كان السبب وراء كل ذلك هو الفكر الإنساني، والتجارب البشرية، في مجالات العمل المختلفة... فإننا نعود لنسأل عن السبب الكامن وراء تطور الأفكار الإنسانية، هل هو تطور وسائل الإنتاج؟ ألا يبدو أننا ندور في حلقة مفرغة، بحيث لا نهتدي إلى السبب الأصيل، ولذلك تحتم علينا الإيمان بتعدد العوامل المتحركة للتطور التاريخي، وعدم حصرها في عامل واحد فريد، وقبل هذا يأتي دور المحتوى الداخلي للإنسان ليكون السبب الأساس في عملية التحويل الأجتماعي.

«و إذا كان من الضروري أن نربط بين الثورة من ناحية، وحركة التصنيع والقوى المنتجة من ناحية أخرى، فالشيء المعقول أن نعكس العلاقة الماركسية المفترضة بين الثورة والتصنيع، فنعتبر أن أنخفاض المستوى الصناعي والإنتاج من العوامل المهمة التي ادت إلى دق أجراس الثورة في بلد كروسيا، على العكس تماماً من أفتراض النظرية الماركسية، القائل: إن الثورة الإشتراكية، بموجب القوانين المادية للتاريخ لا تكون إلا نتاجاً لنمو الرأسمالية الصناعية وبلوغها الذروة»[1].

والآن، ما هي العلاقة –حسب النظرية الماركسية– بين الإنسان وتطور وسائل الأنتاج؟

(١) الصدر: العلامة الشهيد محمد باقر – اقتصادنا – ص ٦٩ – ٧٠.

يقول لينين: «ومن حقيقة أنكم تعيشون، وتديرون شؤونكم المعيشية، وتلدون الاطفال، وتنتجون المنتوجات، وتبادلونها، تتكون سلسلة ضرورية موضوعياً للحوادث وهي سلسلة التطور مستقلة عن وعيكم الأجتماعي الذي لا يشملها كلها أبداً»[١].

ويقول ماركس وأنجلز: «ليس التاريخ شخصية خاصة تستخدم الإنسان كوسيلة للوصول إلى أهدافها، ليس التاريخ إلا نشاط الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق أهدافه»[٢].

نستنتج أن العامل الإقتصادي يعبرعن نفسه في أشكال مختلفة، فهو الذي يختبئ وراء كل الدوافع والأهداف. وهنا لا نرى بدأ من إغفال شأن آراء... تبتعد عن الأسس العامة للنظرية الماركسية، كأعتبار ستالين – مثلاً –أن المجتمع قادر على ترويض القوانين الاقتصادية أو الحد من فعلها وتوجيهها»[٣].

دور العقيدة في التحويل الأجتماعي:

إن النظرة القرآنية للتحويل الإجتماعي، ترتكزعلى صياغة المحتوى النفسي للإنسان المؤمن، بحيث تقولب تطلعاته، وأهدافه وآماله، وآلامه، وعواطفه وأفكاره، ضمن إطار الفهم الواقعي الإلهي للحياة، والقائم على أساس توجيه الأنظار إلى التغييرالدائم نحو الأفضل، إذ أن الحديث يقول: «من تساوي يوماه فهو مغبون (خسران)، ومن كان آخريوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم يرالزيادة في نفسه فهوإلى النقصان، ومن كان النقصان فالموت خيرله من الحياة».

(١) المؤلفات – المجلد ١٢٤ ص ٣١٢.

(٢) ماركس: انجلز – المجلد٢ ص ١٠٢.

(٣) دور الأفكار التقدمية في تطوير المجتمع ص ٢٢.

إن العقيدة الإلهية، والأفكار التي تبتني عليها، والمشاعر التي تنبثق منها، وانعكاسات الإيمان بمنطلقاتها وأسسها... هي العامل الرئيس في التطوير الأجتماعي، مع إدراج العوامل الأخرى ضمن خطوط المحرك العام على أساس أن العوامل الخارجية لا تتحكم في الفعل والتأثير بل إن العقيدة الواعية الصلبة هي التي تؤثر على الخارج، وتجيره لمصلحة الإيمان والإنسان.

الإمام السيد موسى الصدر.. والتغيير الأجتماعي:

تحدث الإمام الصدر عن هذه الموضوعة فقال: يختصر رسول الله ﷺ «الفكرة التحويلية للتاريخ بالكلمة التالية: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» أي تصبحوا مفلحين يعني –هذا– أن تحول المجتمع من الوضع الذي كان موجوداً، إلى وضع آخر يسعد فيه الفرد، وتسعد فيه الجماعة، يحتاج إلى الإلتزام بالله الواحد (ومعنى كلامه ﷺ يحتاج إلى بحث طويل حول نفي الآلهة الأرضية... تحطيم أصنام المال، أصنام الجاه أو ما نسميه بالأقطاع) والدعوة إلى وحدة الناس معتمدة على أساس الإيمان بالله الواحد.

ولاشك أن الوضع الأقتصادي يلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان، أما أن نقول أن الوضع الإقتصادي هو كل شيء في حياة الإنسان فقيه مبالغة في الأمر.

وهناك مؤثرات أخرى في حياة الإنسان، ولذلك ترى إنساناً في طبقة اقتصادية واحدة مع إنسان آخر ولكن يختلف معه في التفكير.

ونحن شاهدنا في الأنظمة الاقتصادية الحديثة أمثلة كثيرة، فوجدنا في أبناء الثورة (الشيوعية) تفاوتاً كبيراً، لا في قادة الثورة فحسب، باعتبارهم أبناء ما قبل الثورة، لكن حتى في أبناء الثورة، وجدنا خلافات عقائدية ضخمة أدت إلى التصنيفات والقتل والسجن والإبعاد، كما حصل مع الثورة الفرنسية أو أية ثورة أخرى. فلو كانت وحدة الطبقة هي التي

تكون الفكر الموحد، وبالتالي تنفي الصراع الطبقي في التاريخ لما حصل ذلك. ولقد كان ستالين، وفريام، وماريكوف، وكانت مؤثرات أخرى وشخصيات أخرى، والعكس أيضاً صحيح، فالإنسان يجد في الطبقات الإقتصادية المتفاوتة تشابها في التفكير... روبرت أوين البريطاني الي يسمى بأبي الإشتراكية في العالم كان رأسمالياً يملك الكثير من أسهم المصانع، وهو الذي وضع قوانين لتحديد ساعات العمل، ولمنع الأطفال من العمل، ولإعطاء بعض الحقوق للعمال، وهو رجل ليس من أبناء الطبقة البروليتارية.

وهناك عوامل عديدة –غير العامل الإقتصادي –إذ أن الإنسان وليد بيئته، والذي يتأثر بالعامل الإقتصادي بتأثير بعوامل اخرى، ومن جملة العوامل الأخرى، درجة الحرارة والرطوبة، والقرب من البحر والبعد عنه والعوامل العائلية... ولا يمكننا تجاهل عوامل الوراثة والدعوات الروحية، ونحن لا يمكننا أن نقول ان محمداً ﷺ لم يؤثر في تاريخ العالم. ومهما حاولنا أن نعطي تفسيراً لمحمد ﷺ ولحركته نكون قد بالغنا وجانبنا الواقع... وذلك أن حركته لم تكن حركة أقتصادية محضة و إنما كانت حركة روحية تؤثر في خلق الوضع الأقتصادي المعين، وهناك عوامل أخرى ترجع إلى طموح الإنسان، والأهداف وللرغبات السامية لديه أثرت في تكوين المجتمع»[1].

إن ما طرحه الإمام الصدر –في النص الذي بين أيدينا –يدل دلالة واضحة على أن الوضع الإقصادي ليس هو كل شيء في عملية التغيير، إنما الإرادة الإنسانية والعامل الروحي –الإيماني يلعب دوراً بارزاً في عملية صناعة التاريخ، في كافة مراحل تطوره... وهذا ما سنعمد إلى تفصيله، وتوضيحه فيما سيأتي...

(١) من محاضرة للإمام السيد موسى الصدر.

القرآن والسنن التاريخية

إن القرآن الكريم يطرح قضية السنن التاريخية، بطريقة موضوعية، قائمة على معرفة شاملة بجوانب الشخصية الإنسانية، وإحاطة كاملة بالعالم والكون والروابط والعلاقات، فهو يدرس:

١- السنن المتعلقة بتركيب النفس البشرية، والمحتوى الداخلي للإنسان.

٢- السنن المنبثقة عن العلاقات بين الإنسان، والحياة والبيئة، والطبيعة، وعلاقة الإنسان بالإنسان.

وهذه السنن التي يكشفها القرآن العظيم، ثابتة لا تتغير، وليست أسيرة التفاصيل والجزئيات.

كما أن المجتمعات البشرية وفق الطرح القرآني، تتحمل كامل المسؤولية في حركتها التاريخية، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1].

والقرآن يدفع بالناس، والجماعات البشرية لتأدية أدوارهم التاريخية ضمن إطارين:

الأول: القفز فوق الصعوبات والأخطاء لتلافي النتائج السلبية، وتخطيها.

الثاني: التعامل الواعي، والمنتج مع الموجودات بغية التقدم بالحياة

---

(١) الأحزاب: ٦٢.

والإنسان، قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾[1].

ويؤكد القرآن الكريم أن هذه السنن، حاكمة لتصرفات الشعوب، في كل العصور، وأنها لا تخطئ في نتائجها. وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

عدا عن ذلك فإن القرآن يوجه الانتباه إلى بداية خلق الإنسان والكون والحياة.

يقول جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

ويمكن القول إن التفسير القرآني للتاريخ، يرجع في بلورة السنن التاريخية، إلى معطيات تاريخية بدأت مع خلق الإنسان، وتحمليه المسؤولية في سبيل تأدية دوره الحضاري، مبيناً التركيب البشري المتكامل:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم

(١) محمد: ١٠.

(٢) غافر: ٨٢ – ٨٣.

(٣) العنكبوت: ١٩ – ٢٠.

بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

ومن الملاحظ، ان «العروض» التاريخية القرآنية، تجاوزت الأفراد لتتوجه إلى الأمم، ولقد تحديث عن أدوار المؤمنين لتقابلها بأدوار الكافرين، وعن الأنبياء والرسل بمواجهة أئمة الضلال والإنحراف، وعن الشعوب المتحضرة، التي أبطرتها النعمة، وعن الجماعات الفقيرة التي سحقها الفقر، وعن الملوك والزعماء والطواغيت، وعن الحكام العادلين المنصفين.. فبينما أنت مع التجارب السلبية لأفراد عاديين (أصحاب الجنتين –أصحاب الحجر–قوم لوط) و إذ بك أمام الأدوار الإيمانية البناءة مع (أهل الكهف –وأصحاب الأخدود).

ثم لا تلبث أن تشاهد الظالمين من الفراعنة والطواغيت والكبراء أمثال: فرعون وهامان وقارون وأصحاب الفيل، كما ينقلك القرآن إلى عالم الظهروالإيمان والإعمار والصلاح فترى مسلسل الثورة، والتثوير الإيماني يعرض أمام ناظريك في شريط النبوة والرسالة، مع نوح، و إبراهيم، وصالح ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله).

(١) البقرة: ٣٠ – ٣٩.

التنبؤات المستقبلية:

إن الإحاطة التاريخية، المبنية على أساس الرؤية القرآنية للتاريخ وتطوراته وأحداثه، تقرب بين الماضي والحاضر والمستقبل، فتحدثك عن المستقبل، وكأنه حاضر، وعن الحاضر وكأنه ماض مع كونها لا تسرف في التنبؤات التاريخية، ومن هذه التنبؤات ما حصل ومنها ما لم يحصل بعد:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[1].

هذا الحدث التاريخي قد تحقق، ولنضرب مثالاً على حدث سيحصل في المستقبل بمشيئة الله، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[2].

ولابد من الإشارة إلى ان القرآن الكريم، ليس كتاب تاريخ بل هو كتاب هداية وتشريع، يرسم للبشرية منهج السعادة، ويقدم الخطوط العامة للحركة التاريخية، لذا يقول عزوجل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾[3][4].

دور الفعل الإلهي والفعل البشري في حركة التاريخ:

إن الإنسان الذي منح القدرة على الفعل لصياغة الحدث التاريخي

---

(١) الروم: ١- ٧.

(٢) النمل: ٨٢

(٣) غافر: ٧٨.

(٤) لمزيد من التوسع أنظر: (خليل) د. عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٩٧ وما بعدها.

يعمل وينفذ ضمن إطار المشيئة الإلهية التي وهبته حرية الأختيار.

ولهذا فإن الحركة التاريخية ماهي إلا التعبير الكامل عن الإرادة الإلهية في الخلق والتكوين، و إحداث التغيرات والتطورات في العالم، وفي المجتمعات والحضارات، وفق خطين من خطوط الفعل الإلهي:

الخط المباشر: وهو يعتمد على ما أوجد الله من سنن كونية وأجتماعية أو سنن ربانية تتجاوز السنن الطبيعية والنسبيات، (كالمعجزات).

الخط غير المباشر: وهو القائم على أساس الفعل البشري المرتكز على حرية الأختيار الممنوحة للإنسان من قبل الإرادة الإلهية.

«أما فيما يعود للفعل المباشر فإننا نلاحظ أن القرآن الكريم يلمح إلى البعد التزمني في الكون الذي تحدث عنه أنشتاين في نسبيته يقول عز وجل: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[1]، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[3].

ونستنتج أن هناك فرقاً شاسعاً بين الوحدة الزمنية الأرضية ضعفاً الزمنية (عند ربك)، تبلغ في بعض الحالات (٣٦٥,٠٠٠) ضعفاً وتبلغ في حالات أخرى (١٨,٢٥٠,٠٠٠) ضعفاً وذلك بحساب القرآن الكريم نفسه»[4].

وهكذا نستطيع أن نعرف السبب في تأخير العذاب الإلهي (حسب مقاييسنا) عن الأمم الظالمة والزعامات المنحرفة، والقيادات الفاسدة.

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) الحجج: ٤٧.

(٤) انظر: (خليل): د. عماد الدين – (المرجع ذكر سابقاً) – ص ١١٨ وما بعدها.

قال سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

الإيمان... والفعل الإلهي:

إن الإيمان (الحق) هو مسؤولية، والمسؤولية هي اخطر وأهم أمر من الأمور التي تتعلق بالإنسان كفرد، وبالمجتمع، وبالأمة كلها... والمسؤولية الإيمانية هي الدور الذي ينبغي للإنسان أن يقوم به في الحياة، منسجماً مع تعاليم القرآن، عاملاً من اجلها، ساعياً لتحقيق أهداف دين الله، وبلوغ رضا الله تعالى في كل قول وعمل.

وفي إطار المسؤولية يحصل الأتصال والتناغم والتمازج وبالتالي التوحد بين القول الإلهي، والفعل البشري، أو بين القرار الرباني والتنفيذ الإنساني، وبذلك تتسامى الإرادة البشرية لتعلو معانقة المشيئة الإلهية... و إذا كانت نظرية آنشتين تقول بتحول المادة إلى طاقة، والطاقة إلى مادة، فإن كلمة «كن» الإلهية، ضمن أطار التكوين، تتحول إلى كون الكائنات، وكذلك «كن» المولوية تتحول ضمن إطار التكليف والمسؤولية إلى كون، وكينونات، وكائنات، منفذة للإرادة الإلهية... والأمر التكويني، وأما في الأمر التشريعي، فإن حرية الأختيار هي الحاكم في هذا المجال.

وهكذا –على مستوى الأمر التكويني– تتلبس الإرادة الإلهية الإرادة البشرية، والقول المريد، او الإرادة القائلة للقدرة المبدعة.. القول البشري فيتحول إلى فعل خلاق مكون... قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2][3].

---

(١) الحجج: ٤٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠.

(٣) معالم الكفر والإيمان من السنة والقرآن–المؤلف–ص ٣١ –الدار الإسلامية–لبنان–بيروت.

الإيمان.. والفعل الإلهي:

إن الإيمان (الحق) هو مسؤولية، والمسؤولية هي أخطر واهم أمر من الأمور التي تتعلق بالإنسان كفرد، وبالمجتمع، وبالأمة كلها... والمسؤولية الإيمانية هي الدور الذي ينبغي للإنسان أن يقوم به في الحياة، منسجماً مع تعاليم القرآن، عاملاً من أجلها، ساعياً لتحقيق أهداف دين الله، وبلوغ رضا الله تعالى في كل قول وعمل.

وفي إطار المسؤولية يحصل الإتصال والتناغم والتمازج وبالتالي التوحد بين القول الإلهي، والفعل البشري، أو بين القرار الرباني والتنفيذ الإنساني، وبذلك تتسامى الإرادة البشرية لتعلو معانقة المشيئة الإلهية... و إذا كانت نظرية آنشتين تقول بتحول المادة إلى طاقة، والطاقة إلى مادة، فإن كلمة «كن» الإلهية، ضمن أطار التكوين، تتحول إلى كون للكائنات، وكذلك «كن» المولوية تتحول ضمن أطار التكليف والمسؤولية إلى كون، وكينونات، وكائنات، منفذة للإرادة الإلهية... والأمر التكويني، وأما في الأمر التشريعي، فإن حرية الأختيار هي الحاكم في هذا المجال.

وهكذا –على مستوى الأمر التكويني– تتلبس الإرادة الإلهية الإرادة البشرية، والقول الموبد، أو الإرادة القائلة للقدرة المبدعة... القول البشري فيتحول إلى فعل خلاق مكون... قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1][2].

السنن الطبيعية حاكمة للتطور التاريخي:

يقول تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ

(١) سورة الأنسان: ٣٠.

(٢) معالم الكفر والإيمان من السنة والقرآن – المؤلف – ص ٣١ – الدار الإسلامية – لبنان – بيروت.

مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

وهكذا فإن النواميس الطبيعية، نواميس انحلال الأمم وأنحرافها، تواجه بسنن العقاب الصارم من أجل تقدم البشرية لصالح الإيمان والإنسان.

تجاوز السنن النسبية في خدمة الحركة التاريخية التقدمية:

يقول عزمن قائل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[2].

ويقول جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾[3].

من هذه الآيات وما يماثلها نستوحى الملامح التالية:

١- في الحالات التي تكون قوة المؤمنين المادية أضعف من قوة الأعداء بحيث بخشى من تحطيم وتدميرقوة أهل الإيمان، خصوصاً إذا كان يؤدي ذلك إلى تعطيل فاعلية القوى المؤمنة كلياً...، فإن القوى الكونية (الملائكة) تتدخل بإذن الله تعالى، لتدعيم موقف المؤمنين من

(١) القصص: ٥٨ – ٥٩.

(٢) الأنفال: ٥ – ١٤.

(٣) الأحزاب: ٩.

أجل نصر رسالة الله، لتنفيذ أحكامه في الحياة الأجتماعية[١].

٢- وفي كثير من الأحيان تجعل القدرة الإلهية القوى الطبيعية الحسية، اداة حسم المعركة لصالح الحركة الصاعدة نحو التكامل، والمتقدمة باتجاه الأفضل، مع العلم أن فعل هذه القوى يكون نتيجة طبيعية لانحرافات الأمم والجماعات:

(تشتيت المجتمعات البشرية –الأوبئة، والأمراض –الموت الجماعي – الخوف، والدمار والجوع...).

وقد يكون هذا العقاب نتيجة لعدم انسجام الإنسان مع قوانين الكون وسننه، باعتباره جزء من الكون، ومؤتمناً على ثروات ونعم الحياة، فتنقلب على المجتمع هذه القوى، وتصبح ضده لانحرافه عن الخط السوي: (السيول –الجفاف –الصيحة –الزالزال –الرجفة –الصاعقة –الطوفان –الحشرات) إلخ...

سنة الموت قيمة إيجابية في حركة التطور التاريخي:

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[٢]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[٣].

(١) يمكن أن يقدم أمثلة عديدة على هذا التدخل الإلهي المباشر، ومثال ذلك ما حصل في معركة بدر والخندق وحنين وأصحاب الفيل، وأخيراً تدمير الطائرات الأميركية التي هاجمت جمهورية إيران الإسلامية في صحراء طبس إبان بزوغ الثورة المباركة، وفشل محاولة الغزو الأميركي للدولة الإسلامية الفنية، مع تطور التكنولوجيا، وكذلك يمكن الإتيان بشواهد كثيرة، على العون واللطف الإلهي، من خلال ما حصل مع المقاومة الإسلامية في لبنان خلال ٢٠ عاماً من الصراع مع العدو الصهيوني، ولاشك أن عمليات أبطال الإنتفاضة المباركة في فلسطين تحظى بالكثير من الرعاية الربانية والتوفيق الإلهي.

(٢) العنكبوت: ٥٧.

(٣) الملك: ٢.

إن من حكم الموت انه يشكل عاملاً من عوامل الأختبار للفعل الحضاري البشري في مسيرة الإنسان، على مستوى الفرد والجماعة، وهو في المفهوم القرآني الجسر الذي يعبر عليه الإنسان إلى عالن آخر للمجازاة على عمله في عالم الدنيا.

المجتمعات تتحمل مسؤولية ممارساتها الحضارية:

قال عزوجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

وعلى هذا الأساس، فإن كل أمة ستحاسب على ما كسبت وما قدمت من اعمال إيجابية أو سلبية، وأن الأمم الأخرى غير مسؤولة بالطبع – وفق مقاييس العدالة الإلهية – عن اعمال تلك الأمة...

النعمة والعقاب نتيجة للإلتزام بالسنن الطبيعية الإلهية، او عدمه:

قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[2].

ونستنتج مما ذكرته هذه الآية الكريمة أن فتح أبواب النعم المختلفة على قوم أو أمة لا يعني أن ممارساتهم وأعمالهم تستحق الرضا الإلهي عنها، بل قد تكون هذه النعم جزء من عملية الأختبار الإلهي لهؤلاء... يعقبها العذاب الحتمي بسبب ظلمهم وطغيانهم و إساءتهم للإنسانية والإنسان...

الترف سبب لهلاك الأمم:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم

(١) البقرة: ١٣٤.

(٢) الأنعام: ٤٤ – ٤٥.

بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[2].

إن ما ذكر في هاتين الآيتين الكريمتين يؤكد على حقيقة في حركة التاريخ، وهي أن المترفين، عبر الزمن، وخلال عملية التطور الأجتماعي، كانوا العامل السلبي الفعال في مواجهة حركة التقدم الإنساني باتجاه الحضارة الإيمانية، التي تؤمن السعادة في الحياة، والمجتمعات لكافة بني البشر، لولا أنانية أهل الترف، وحبهم لذواتهم، في حين أن الله تعالى أمرهم من خلال رسالات الأنبياء بالإلتزام بأمور، وهي قوله تعالى: {أمرنا مترفيها} بالعدل والإحسان و إقامة الحق، ففسقوا في البلاد، وأنحرفوا عن جادة الصواب، وطغوا وبغوا على العباد... فحق على أهل تلك القرى (المدن) أن ينالوا جزاء فسادهم و إفسادهم.. وهكذا كان الدمار سنة كونية، أجتماعية «للحضارات الطاغية» خلال التاريخ.

أما العامل الأساس في البناء الحضاري –حسب ما يشير القرآن الكريم –هو عامل الإيمان والإستقامة العملية في الحياة، به تفتح على البشر بركات من السماء والأرض، علماً وعملاً، ونبياناً، وأمناً، وأستقراراً، وتطوراً مادياً، ومعنوياً، كما يؤكد الآية الكريمة، رقم ٩٦ من سورة الأعراف، والتي تبين أن:

الإيمان والتقوى سبب رئيس لسعادة البشرية:

يقول عزوجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ

(١) سبأ: ٣٤ – ٣٥.

(٢) الإسراء: ١٦ – ١٧.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

الأفراد يتحملون مسؤولية أعمالهم:

قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾[2]، ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾[3].

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) الزمر: ٧٠.

الحضارة والتفسير القرآني للتاريخ

يقول د. عماد الدين خليل: «إن كلمة (حضارة) و (تحضر) لم تكن شائعة في استعمالات العربي اللغوية أول مرة، وطيلة القرون التي أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية، ويكاد ابن خلدون أن يكون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، إلا أن اصطلاحه الأخير الذي كان يستغني به، معظم الأحيان، عن هذه الكلمة هو (العمران البشري) الذي يقابل (الحضارة البشرية) ومهما يكن من أمر، فإن المصطلح الحضاري، بتصريفاته المختلفة، قد فرض نفسه في القرن الأخير، بعد الاحتكاك الثقافي الشامل بين الشرق والغرب، وتقدم الأخير في حقول التفسير التاريخي والدراسات الحضارية... وبدلاً من هذا فإننا سنلتقي من خلال القرآن الكريم بصيغ ومفردات عديدة أخرى تعتمد للتعبير عن المسألة الحضارية»[1].

إن التفسير القرآني للتاريخ البشري، يبدأ بالإنسان الأول (آدم) وبالعودة إلى الآيات التي ذكرت سابقاً من سورة البقرة (٣٠ –٣١) تلحظ الأمور التالية:

١- الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو مكرم من قبل الله تعالى، وهذا مركزه في الكون.

٢- الإهباط إلى الأرض كان بعد تجربة الإعداد التي مربها الإنسان (آدم) في معسكر التدريب الأول (الجنة) حيث لا تكليف ولا مسؤولية، بل

---

(١) ذكر المرجع سابقاً – ص ١٧٤.

تهيئة لممارسة الدور الإنساني على أكمل وجه في عالم الحياة الإجتماعية الأرضية، وما صراع الإنسان مع رمز الشر (إبليس) إلا جزء من سنن الحياة البشرية والإجتماعية، القائمة على أساس التنافر بين الحق والباطل.

٣- إن تدرب الإنسان (الأول) على الأوامر والنواهي الإرشادية الإلهية، كان خطوة أولى تمهد لتلقي الإنسان للهدى الإلهي، فمن تبع هذا الهدى نال السعادة في الدنيا والآخرة، وإلا فهو في الشقاء أولاً وآخراً. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

هدف إستخلاف الإنسان في الأرض بناء الحضارة البشرية:

قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾[2].

لقد طرح الشهيد السعيد الإمام السيد محمد باقر الصدر موضوعة الخلافة، بالشكل الذي يظهر كافة أطرافها، كصيغة أجتماعية كتعلقة -بشكل أكيد- بالتصور العقيدي للحياة والكون والإنسان، وعلى هذا فإن «الاستخلاف هو العلاقة الأجتماعية من زاوية نظر القرآن الكريم، وعند تحليل الاستخلاف نجد آنه ذو أربعة أطراف لأنه يفترض مستخلفاً (بكسر اللام)... (لأنه) لابد من مستخلف ومستخلف عليه، ومستخلف. فهناك إضافة إلى الإنسان وأخيه الإنسان والطبيعة يوجد طرف رابع في طبيعة وتكوين علاقة الإستخلاف وهو المستخلف، إذ لا إستخلاف بدون مستخلف، فالمستخلف هو الله سبحانه وتعالى، والسمتخلف هو الإنسان وأخوه الإنسان وأخوه الإنسان أي الإنسانية ككل، (الجماعة البشرية)،

(١) البقرة: ٣٨ - ٣٩.

(٢) البقرة: ٣٠.

والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها ومن عليها، فالعلاقة الإجتماعية هنا، ضمن صيغة الإستخلاف تكون ذات أطراف أربعة، وهذه الصيغة تنطق بوجهة نظر معينة نحو الحياة والكون، نقول بأنه لا سيد ولا إله للكون وللحياة إلا الله سبحانه وتعالى، و إن دور الإنسان في ممارسة حياته إنما هو دور الإستخلاف والإستثمام وأي علاقة تنشأ بين الإنسان وأخيه الإنسان، مهما كان المركز الإجتماعي لهذا أو لذاك فهي علاقة استخلاف وتفعل بقدر ما يكون هذا الإنسان مؤدياً لواجبه بهذه الخلافة، وليس علاقة سيادة أو ألوهية أو مالكية، وهذه الصيغة الإجتماعية الرباعية الأطراف التي صاغها القرآن الكريم تحت أسم الاستخلاف ترتبط بوجهة النظر المعينة للحياة والكون»[1].

إن قضية الإستخلاف وردت في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾[2].

وكما قلنا فإن الغاية من الإستخلاف الإلهي للإنسان هو إعمار الأرض، وعدم الأفساد فيها، يقول عزوجل: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3].

وقد أكد القرآن الكريم هذه المقولة إلى درجة أنها وردت بتصريفاتها المختلفة في أكثر من (٣٥٠) موضعاً... كما أحصاها بعض الدراسين.

إن الإعمار هو قضية ترتبط بمختلف جوانب النشاط الإنساني، والإمكانيات البشرية، والاخلال به يعني إيقاع الضرر والفساد بالمجتمع من

(١) مقدمات في الفسير الموضوعي للقرآن ص ١٠٦ وما قبلها.

(٢) فاطر: ٣٩.

(٣) هود: ٦١.

جهة معينة، وهذا يؤدي بالتالي إلى الإضرار بالجهات الأخرى.

قال عز من قائل:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

الحفاظ على المكاسب الحضارية من مهمات المجتمع المؤمن:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[4].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[5].

إن خلافة الإنسان في الأرض تستدعي تسخير الطبيعة له، ليؤدي وظيفته في الإعمار والإصلاح.

ولقد بين الله تعالى بقوله:

---

(١) الأعراف: ٥٦.

(٢) الأعراف: ٨٥.

(٣) الروم: ٤١.

(٤) هود: ١١٦ – ١١٧.

(٥) الأنفال: ٢٥.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

(١) إبراهيم: ٣٢ – ٣٤.

الفصل الثالث:
حركوا المستضعفين
هي جوهر حركة التغيير الاجتماعي

إن حركة المستضعفين (المحرومين)، ليست ظاهرة آنية مؤقتة، إفرزتها ظروف اجتماعية وتعقيدات سياسية، كما يتوهم البعض، وحققت لها الإنسجام مع تطلعاتها سياسية، كما يتوهم البعض، وحققت لها الإنسجام مع تطلعاتها، وأهدافها، التي تسعى لتحقيقها.

لقد إستطاعت هذه الحركة أن تتلاءم مع طبيعة الإنسان، ودوافعه الذاتية، لأنها نابعة من صلب حاجاته الحياتية والنفسية والأجتماعية، وقد كونت له الدافع الأقوى لتقدمه ونشاطه في الحياة، مستجيبة لإنطلاقته التكاملية في جانبيها الأساسيين[1].... كما أشار إلى ذلك بعض المتهمين بهذا النوع من الدراسات:

الجانب الأول: هو الجانب الثابت، الجامع لقوانين الحياة، وأصول حفظها مع مراعاة الضرورات النفسية والروحية، للإنسان بالإضافة إلى الضرورات المعيشية.

الجانب الثاني: وهو الجانب المتطور، الحاوي لكل المتغيرات في الحياة، والذي يتعلق بنوعية الوسائل المستخدمة لتحقيق الضرورات الحياتية من جهة علاقة الإنسان مع اخيه الإنسان وعلاقته مع الكون والطبيعة.

ويؤدي ذلك إلى توزيع الأدوار والمهمات على أفراد المجتمع واستحداث أسس تنظيمية تتوافق مع تطور المجتمعات.

---

(١) أنظر: أضواء على ميثاق حركة المحرومين (أمل) – المقدمة – دراسة موجزة كتبها المؤلف عام ١٩٧٩م، لكن لم تنشر بأسمه، وإنما أصدرها مكتب العقيدة والثقافة في الحركة فيما بعد..

إن حركة المستضعفين (المحرومين) –في واقعها– تنطلق من إحساس الإنسان بجوعه الفطري للتكامل وبحرمانه منه، لذلك فهي تشكل المون للإنسان –أي إنسان بالطاقة الثورية الفاعلة، المحققة لطموحاته الحياتية والإنسانية ليتصدى لمعرقات تقدمه، بإفساح المجال أمام الكفاءات والمواهب، وبالتخطيط للمستقبل الأفضل، مستندة إلى الدافع الذاتي الذي تبلوره المفاهيم الإيمانية، والذي يتغذى بالشحن الداخلي، المنبثق من حكم العقل وهدى الشرع، وانطلاقة الروح، ومشاعر القلوب... وتوضيحاً للفكرة، لا غنى لنا من أن نحدد أهم الأهداف التي يسعى إليها الإنسان من خلال تحقيقه لذاته في الحياة.

إذ أن كل إنسان يفتش عن السعادة، وغاية الأنظمة الاجتماعية تأمين سعادته، إلا أن أتحاد الغاية عند هذه الأنظمة، لا يعني التوافق في الأساليب والتشريعات والقيم والأهداف القريبة، والبعيدة كافة، بل إن تحصيل سعادة الإنسان يتوقف في الأساس على هذا الأمر. ولعل العائق الأول أمام الإنسان في مسيرته التاريخية هو الإستضعاف الذي مورس على البشرية من قبل الأقوياء والمستكبرين، لذلك فقد انقسمت المجتمعات في الأعم الأغلب إلى فئتين: فئة المستكبرين، وفئة المستضعفين ولقد عمد المستكبرون لاستخدام قوتهم الفكرية والمادية، ونفوذهم الإجتماعي، من أجل استضعاف جماهير الناس واستغلالها. ومن هنا فإن النظرة القرآنية تختلف عن النظرية الماركسية، وذلك لاعتمادها «التقسيم الطبقي للمجتمع». أما المستضعفون فهم الأغلبية الساحقة من أبناء المجتمع، الذين يلاقون جميع صنوف القهر والعذاب من قبل المستكبرين من الحكام، وأذناب السلطات الكافرة بالقيم الإلهية. وهذا ما ادى إلى حرمانهم من حقوقهم الإنسانية، والأجتماعية، والإقتصادية، وجعلهم مستغلين (لفتح الغين) محرومين.

الإستضعاف والحرمان ودورهما في الحياة الأجتماعية:

ليس المقصود بالحرمان، الذي ينبغي محاربته بشتى الوسائل، الحرمان المادي فقط، بل إن الحرمان يتعدى إلى مختلف الجوانب الفكرية والتشريعية والتنظيمية والحياتية والأجتماعية والاقتصادية، كما سبق القول... فالذي يمنع من ممارسة حقه في إعتناق المبدأ الصحيح مثلاً، نتيجة فرض أيديولوجية وضعية من قبل الأنظمة الظالمة هو محروم ومستضعف.

والذي يمنع من المشاركة في الحكم وتوجيه سير الأمور في المجتمع، نتيجة تسلط فئة أو طبقة أو إقطاع أو جهاز معين... وكذلك الذي يمنع من الوصول إلى حقه في الحياة الكريمة، عن طريق استئثار فئة بأموال الشعب هو محروم ومستضعف.

والذي يحاط بالعيون والجواسيس الذين يحبسون عليه أنفاسه، والذي توضع في وجهه العراقيل لمنعه من العمل الشريف، وتعليم أطفاله هو محروم ومستعضف أيضاً، لذلك فإنه من الخطأ الفادح حصر معنى الإستضعاف والحرمان في الشؤون المادية. من هنا، فإننا نعتبر أن جميع الحركات ذات الصبغة الشعبية هي حركات مستضعفين، تعمل بشكل من الأشكال، من أجل رفع الاستضعاف عن المستضعفين، ولكن الأمر الذي يجب التركيز عليه هو الأسلوب والطريقة والقيم والأهداف، لأن أشتراك هذه الحركات في الهدف العام لا يعني –بحال– أنها ستتمكن جميعها من تحقيق هذا الهدف، كما أشرنا سابقاً، وذلك نظراً لمصدر الخط الفكري، والسياسي والنضالي المتبنى، الذي له مدخلية أساسية في هذا المجال.

و إذا كان لابد من التخصيص، فلنقل إن حركات المستضعفين النموذجية تمثلت بشكل فعلي، في حركات الأنبياء خلال التاريخ... وهذا ما سنفصله فيما سيأتي من كلام...

الحرمان دافع اساس من دوافع التغيير:

بعد أن بينا معنى الحرمان و إتساع مساحته، صار من الضروري التحدث عن الحرمان كدافع للتغيير نحو الحياة الكريمة، والمستقبل الأفضل، فمن حرم من شيء، فإنه سيسعى للحصول عليه، فالمحروم من المبدأ الحق، يشعر بعطشه للحق والكمال فيعمد –إن توفر عنده عنصر الوعي –لمحاكمة الإفكار التي تلقاها من غيره ومن مجتمعه... فيناقش ما يقرأ، وما يسمع، وما يرى، محاولاً البحث عن القاعدة الفكرية والمبادئ، والمفاهيم التي ترضي عقله بحيث تتحول إلى قناعات.... والمحروم حرماناً مادياً يعمل لرفع هذا الحرمان وتتحسين أوضاعه المعيشية.. والناس يتبعون في ذلك أحد أسلوبين:

١- تحسين الأوضاع المادية بالطرق المشروعة والشريفة.

٢- استخدام الأساليب غير المشروعة، في تكديس الثروات والسرقة والرشوة والربا.... وكافة الأساليب المنحرفة.

والذي يعيش في مجتمع يهيمن عليه تسلط فئة ظالمة أو جهة مستكبرة يشعر بضرورة الثورة على هذا النظام الفاسد ليقوم بدوره الأجتماعي والسياسي. لذا فهو يعمل (متعاوناً) مع غيره من أبناء الشعب للوصول إلى هذه الحقوق، إما بالطرق السلمية، والتأثير على الجمهور بالخطابة أو الكتابة أو العمل السياسي... أو يجمع إلى كل ذلك، الوسائل العنفية لبلوغ هذا الهدف، كما تؤمن بعض الحركات السياسية، لهذا نستطيع القول: إن الحرمان بمعناه الواسع يشكل الدافع الأقوى للتصدي لجميع أنواع القهر والتسلط والاستئثار والتضليل والاستضعاف.

ولقد قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾[1].

ولنا أن نطرح التساؤلات التالية:

كيف تكون حركة الإيمان بالله الواحد، بانعكاساته الاجتماعية والتربوية والسياسية والحياتية، (كشكل رئيس من أشكال حركات المستضعفين) تعبيراً عن طموح الإنسان نحو حياة أفضل؟

وكيف يكون هذا الطموح هو الدافع لتصدي الإنسان لكل ما يفسد عليه حياته، ويشيل قدراته أو يهدد آماله في العيش الكريم، ومستقبله وما يصبر إليه[2]؟

إن هذه الحركة ذات الإمتداد التاريخي الذي يعود إلى فجر الحياة البشرية، والتي اتخذت أشكالاً متعددة، خلال عملية التطور الإنساني، وخاضت صراعات متنوعة، مع قوى الباطل، الذي تمثل بالأنظمة الظالمة، قد عبرت عن ضمير الشعوب المقهورة في انتفاضات الثائرين، وثورات الأنبياء الهداة، ونشاطات المبلغين الميامين، وأولياء الله المكرمين.

والدارس لسير الحركة التاريخية للشعوب المستضعفة، والفئات المسحوقة من العبيد والفقراء والمؤمنين والرساليين، يرى بوضوح، إن حركات المستضعفين والمحرومين كانت سفينة نجاتهم من بحر الجهل والمرض والشقاء، الذي فرض عليهم، إلى شاطئ الأمان حيث العلم والنور والسعادة.

---

(١) الحج: ٣٩ – ٤٠.

(٢) انظر مقدمة ميثاق حركة المحرومين (الوثيقة الأساسية) – الإمام السيد موسى الصدر والوثيقة مثبتة في كتيب: أضواء على الميثاق – للمؤلف.

وبعبارة أخرى يمكن القول إن هذه الحركة التاريخية هي ترجمة عملية للطموح الإنساني العام، فهي بصورة مباشرة تنثير طريق المستضعفين، وبطريقة غير مباشرة، تساعد وتخدم كافة فئات الناس، حتى المستكبرين منهم، إذ تنقذهم من استكبارهم، عند توفر الأسباب، وتلغي سيطرتهم وامتيازهم على غيرهم، بدون حق، وتعيد هؤلاء الذين مسخت إنسانيتهم إلى حقيقتهم، على مركزهم الواقعي في الحياة... وتدلهم على الغاية من وجودهم.

إن الإنسان المستكبر –بصورة عامة– يشعر في أعماقه بقلق عظيم، بقض مضجعه، لأنه غير مقتنع بسيرته و«قناعاته» و إن لم يظهر هذا الأمر، ولا يخرج عن هذه الحقيقة إلا من خرج على إنسانيته، لذلك، فإن الإنسان –مطلق إنسان –يجد، إن أعمل عقله واحتكم للمنطق، أن أهداف حركة المستضعفين، هي العمل من أجله لإسعاده ما أمكن. من هذا المنطلق كانت عملية التصدي للحرمان والاستضعاف نتاجاً لمفاهيم العدالة والمساواة التي تشيعها في النفوس هذه الحركة التاريخية للإنسان.

والتصدي على نوعين:

الأول: التصدي الإيجابي: ويتمثل في الثورة التي يقودها جمهور الناس لتحقيق أهداف رسالة المستضعفين في الأرض.

الثاني: التصدي السلبي: ويكون بعدم الركون إلى الظالمين وعدم إعانتهم على ظلمهم واستكبارهم، كمقدمة للوقوف في وجه مخططاتهم ضد الناس المستضعفين.

إن هذا التصدي يهدف إلى إزالة العوائق أمام التطور البشري، ويخلق المناخ المناسب للتقدم، إذ يمنع تجميد المواهب بالوقوف بوجه العوامل المؤدية إلى تجميدها، كالأنظمة الفاسدة، والحكام المستكبرين،

والعادات السيئة، والثقافات المريضة، والقوى الضالة أو الكافرة، الخارجية (الإستعمار المستكبر) والداخلية (عملاء الإستكبار على صعيدي الفكر والسياسة).

كما أنه بواسطة التصدي الواعي، نمنع إمكانية تهديد القوى الشريرة لمستقبل الإنسانية في كافة المجالات والحالات..

وهذا التصدي، في واقعه، هو جزء من الحركة التغييرية العامة للإنسان في التاريخ، ومعلوم أن هذه الحركة قد لحظت من منظورين، المنظور المادي، والمنظور الإيماني، إذ إن المنظور المادي يعتقد بأن الإنسان محكوم في حركته التاريخية للحاجات المادية، كما ذكرنا سابقاً – ويخوض من أجلها مختلف أشكال الصراع، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الأعتقاد بأشكال مختلفة، وأطلق عليه صفة «الشيطانية»، وهي ترى أن قيمة الإنسان، ومركزه في الحياة والوجود ينبع من المادة والعنصر، وهذا المبدأ هو الذي حرك ويحرك زعيم العنصرية في الوجود، المخلوق الشرير «إبليس»، وقد صور القرآن الكريم هذا الأمر في هذا الحوار.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1].

وأكبر دليل على فشل وخطأ هذه النظرية، هو عدم قدرة المادية التي كانت متمثلة في الإتحاد السوفياتي السابق، وأوروبا الشرقية، وكذلك في علمانية الغرب ورأسمالية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، من أن تصنع شيئاً مهماً للإنسانية، على مستوى بناء الإنسان، والحضارة الإنسانية التي تحفظ وجوده وحريته وكرامته الإنسانية، مع ما توفرلها، من قدرات و إمكانيات وسلطة... وقد كان السقوط الأكبر للمادية، بسقوط

(١) الأعراف: ١٢.

الأكبر للمادية، بسقوط الأتحاد السوفياتي وتفككه، وأنهيار ركائز الشيوعية والإشتراكية (كمذهب مادي) في العالم، بحيث وضعت في متحف التاريخ، كما تنبأ لها الإمام الخميني+.

حركات الأنبياء والتغيير:

إن التطور الإنساني التاريخي، قد أعتمد على الفطرة الإنسانية، منطلقاً من حركة النبوات التي كانت تهدف إلى إخراج الإنسانية من الظلمات، المادية والمعنوية، والحياتية، والأجتماعية، إلى النور، نور العدل والحرية والمحبة والمساواة، والوعي، والعيش الكريم، في ظل مبادئ الرسالات السماوية، والقيم الإلهية، كما قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1].

ومن الأهداف الرئيسة لحركات الأنبياء هو عدم تغليب أي من الجانبين المادي أو الروحي على الآ خر، و إنما كانت حركات الأنبياء هي اول من قال –بما أطلق عليه –مصطلح «المدرحية» (المادة والروح معاً)، وهذا واضح في التعاليم الإلهية وفي سير الأنبياء، يقول تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[2].

والأنبياء لم يعمدوا إلى هدم المادية المتطورة، حيث وجدت ولم يأمروا الناس بالإبتعاد عنها، بل سعوا إلى إقامة حالة توازن بين الجوانب المادية من جهة والجوانب المعنوية والإيمانية من جهة أخرى.

والملاحظ أن هذه القاعدة تبدو مطردة بالنسبة للمجتمعات التي مرت خلال التاريخ، والأمثلة من خلال القرآن الكريم كثيرة نذكر منها:

---

(١) إبراهيم: ١.

(٢) القصص: ٧٧.

١- قوم عاد وثمود، الذين كانوا متقدمين مادياً، فشيدوا مدينة إرم ذات العماد، وقطعوا الصخور بالواد، وقد قال سبحانه عنهم:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾[1].

٢- وبخصوص المجتمعات المتخلفة مادياً (البدوية كمجتمع النبي شعيب عليه السلام، فقد كانت المهمة هي النهوض بهذا المجتمع مادياً ومعنوياً...).

٣- أما مجتمع السيد المسيح عليه السلام، فهو المجتمع الراقي مادياً (الحضارة الرومانية) لذلك فإن المسيح عليه السلام عمل على أن يروح هذه الحضارة، ويكملها بالجانب المعنوي -الإيماني.

٤- أما بالنسبة لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فإنه جاء ليصنع مجتمعاً إنسانياً متحضراً، قائماً على أساس القيم الإنسانية الراقية، والمتقدمة مادياً وروحياً....

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

ومن الواضح إن حركات الأنبياء، أتصفت بالاستمرارية والشمول، لذلك فإن أنصار هذه الرسالات، كانوا يقومون بواجب العمل المستمر الدائب لتحقيق أهداف هذه الرسالات من خلال الأقتداء بالرسل والأنبياء، وهؤلاء هم الذين يسميهم القرآن، التابعين بإيمان (و إحسان) يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3].

إن اتباع سبيل الأنبياء، والعمل المخلص بتعاليمهم، من شأنه أن يرفع

(١) الفجر: ٦- ٩.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) الطور: ٢١.

من شأن هؤلاء، ويجعلهم في الدرجة الأعلى التي هي درجة الأصطفاء من قبل الله سبحانه:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، واذا كانت درجة الشهادة، هي من الدرجات الرفيعة، فإن هذه الدرجة لا تمنح إلا لمن يستحقها ممن صفت نفوسهم، من سليمي القلوب الذين جاهدوا أنفسهم، الجهاد الأكبر، حتى غدوا من المستحقين لوسام الشهادة الإلهي:

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾[٢]، فمن سعى لبلوغ الدرجات العالية، وعلم الله سبحانه أنه أصبح لائقاً بأن يختار لدرجة الشهادة، أتخذه الله تعالى شهيداً، وجعله سعيداً... يقول تعالى:

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، وهذا كله يعني أنه لابد من تحمل المسؤولية الاستثنائية، للسير قدماً في تحقيق مناهج الأنبياء، وأتباعهم بإحسان، و إلا فقدت الميزة والخصوصية الرسالية، من الحركة التغييرية للمجتمعات والتاريخ، التي قادها الرسل والأنبياء... وذلك لبلوغ الهدف المتوخى وهو تحقيق السعادتين، السعادة الدنيوية، والسعادة الآخروية[٤].

---

(١) آل عمران: ٣٢.

(٢) الحديد: ١٩.

(٣) آل عمران: ١٤٠.

(٤) لمزيد من التوسع تراجع محاضرات سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين& حول هذا الموضوع.

القرآن والنبي ﷺ والمستضعفون:

في رواية عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة القلوب (وهم ضعاف الإيمان الذين كان النبي ﷺ يتألف قلوبهم) إلى رسول الله ﷺ، عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذوووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس، ونحيت عنا هؤلاء، وأرواح جبابهم، يعنون سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف، لم يكن عليهم غيرها، جلسنا إليك وحاجتناك، وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

تقول الرواية: حتى بلغ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾... «ويهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله تعالى قال: «الحمد الله الذي لم يمتني حتى امرني أن أصبر نفسي مع رجال من امتي، معكم المحيا ومعكم الممات».

وعن أبي عباس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾.

---

(١) الكهف: ٢٧ – ٢٩.

قال أبن عباس: نزلت في أمية بن خلف الجحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تحرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فإنزل الله تعالى: {وأتبع هونه}، يعني الشرك[1]» والمقصود بهؤلاء أهل الاستكبار الذين لا يقبلون، بسبب استكبارهم –إلا بطرد المستضعفين من مجالسهم وعدم أحترامهم، و إبعادهم عن مجالس الكبراء... وهذا يناقض تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ.

الشهيد المطهري... والتفسير المادي «للنظرة القرآنية الأجتماعية - التاريخية»

يعرض الشهيد مرتضى المطهري رأي الماديين الذين يعطون تفسيراً قائماً على أساس نظرية المادية التاريخية للتقسيمات القرآنية للفئات الأجتماعية، فيزعمون أن المستضعفين والمستكبرين طبقتان كانتا بسبب العامل الأقتصادي، وحول هذا القول: «هناك من يدعي أن موقف القرآن من المجتمع يبتني على أساس أنقسامه إلى طبقتين، وأن المجتمع حسب النظرة القرآنية ينقسم في المرتبة الأولى إلى طبقة حاكمة، مسيطرة، مستثمرة، وطبقة محكومة (تحت السلطة والاستثمار)، وأن القرآن يعبر عن الطبقة الحاكمة بالمستكبرين، وعن الطبقة المحكومة بالمستضعفين، وأن سائر الانقسامات، كالإنقسام إلى المؤمن والكافر، و إلى الموحد والمشرك، و إلى الصالح والفاسد إنقسامات فرعية. فالإستكبار والاستثمار ينتهيان إلى الكفر والشرك والنفاق ونظائرها. والاستضعاف ينتهي إلى الإيمان والهجرة والجهاد والصلاح والإصلاح ونظائرها.

(١) الواحد (النيسابوري): أبو الحسن علي بن أحمد – أسباب النزول – ص ٢٠٩، ٢١٠، دار مكتبة الهلال – بيروت، ط ١ ١٩٨٣.

وبعبارة أخرى: إن منشأ ما يعده القرآن إنحرافاً عقائدياً أو خلفياً أو عملياً هو الوضع الخاص الإقتصادي أي الاستثمار، ومنشأ ما يؤيده القرآن من عقيدة أو خلق أو عمل هو الكون تحت الإستثمار والظلم، والوجدان البشري يتبع بالطبع والضرورة حياته المادية الاقتصادية، ولا يمكن تغيير الوضع الروحي والنفسي والخلقي من دون تغيير في الحياة المادية، ومن هنا يعد القرآن يرى –برأي هؤلاء– أن الكفار والمنافقين والمشركين والفاسدين والظالمين يبعثون من بين الطوائف التي يعبر عنها القرآن بالمترفين والمسرفين والملأ والملوك والمستكبرين ونظائرهم، ولا يمكن أن ينبعثوا من الطبقة المقابلة. كما أن الأنبياء والرسل والأئمة، والصديقين، والشهداء، والمجاهدين، والمهاجرين، والمؤمنين، يخرجون من بين الطبقة المستضعفة، ولا يمكن أن ينبعثوا من الطبقة المقابلة بالإستكبار والاستضعاف هما يصنعان الوجدان الاجتماعي، ويبعثان على الاتجاهات المختلفة، وكل الشؤون الأخرى مظاهر وتجليات استضعاف الآخرين، أو الوقوع تحت استضعاف الآخرين.

ويضيف الشهيد مطهري قائلاً:

فالاستكبار والإستضعاف ليسا أساس الإنقسام إلى الطوائف المختلفة، والمتناقضة فحسب، بل هما أيضاً أساس الصفات والملكات الخلقية المتضادة، وهما الأساس في جميع الاتجاهات والعقائد والمسالك، لا بل جميع الآثار الثقافية والحضارية. فكل من الأخلاق والفلسفة والفن والادب والدين، إذا كان ناشئاً من الطبقة المستكبرة، كان حاكياً عن اتجاهها الاجتماعي وممثلاً له... ولذلك نراها كلها بصدد توجيه الوضع الموجود وعاملاً للتوقف والركود والجمود، خلافاً للأخلاق أو الفلسفة أو الأداب أو الفن أو الدين المنبعث من الطبقة المستضعفة، حيث يكون موجهاً وباعثاً للحركة والثورة.

فالطبقة المستكبرة حيث أنها تستضعف الآخرين، وتستولي على حقوقهم الأجتماعية، تكون بالطبع متأخرة الفكر، رجعية، طالبة للعافية والسلم، خلافاً للطبقة المستضعفة، حيث تكون بصير مطلعة، مخالفة للتقاليد، ثورية، تقدمية، متحركة»[١].

ويوجه الشهيد مطهري نقداً لهذه الإدعاءات والمزاعم فيقول:

«إن هذه النظرية –في الواقع– تبتني على التفسير المادي المحض للإنسان والمجتمع، ومما لا شك فيه أن القرآن يهتم كثيراً بالقاعدة الأجتماعية للإنسان (يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**من لا معاش له لا معاد له**»)، إلا أن هذا لا يعني، انه يجعل ذلك مقياساً لجميع التقسيمات الطبقة، ونحن نعتقد أن هذا النوع من التفسير الاجتماعي لا يتطابق مع وجهة النظر الإسلامية حول الإنسان والعالم والمجتمع، و إن منشأ ذلك هو النظرة السطحية للمباحث القرآنية»[٢].

ويقول الشهيد مطهري في نقده:

«إن ما قيل من أن القرآن يقسم المجتمع إلى قطبين ماديين، وقطبين معنويين، وأنه يعتبرهما متطابقين، أي أن الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين والمفسدين، هم في القرآن الملأ، والمستكبرون والجبابرة، وبعكس ذلك المؤمنون والموحدون والصالحون والشهداء هم من الطبقة المستضعفة المحرومة، و إن مواجهة الكفار والمؤمنين إنعكاس للمواجهة الأساسية بين المستضعفين والمستكبرين».

إن ذلك كله يعتبره الشهيد مطهري غير صحيح إطلاقاً، ولا يستفاد

(١) المطهري: مرتضى – المجتمع والتاريخ – ص ٣٧ وما بعدها، تعريب مرتضى الحسيني، إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي، إيران.

(٢) نفسه، ص ٣٩.

هذا التطابق من القرآن الكريم، بل يستفاد عكسه، وهو عدم التطابق، وعلى هذا، فإن الشهيد مطهري يذكر أن القرآن الكريم «يعرفنا بمؤمنين من صلب «طبقة الملأ والمستكبرين»، وأنهم ثاروا ضد تلك الطبقة وقيمها، ومثال ذلك، مؤمن آل فرعون... وكذلك إمرأة فرعون التي كانت شريكة حياته، ولم يكن فرعون يتنعم بنعمة إلا وتشاركه فيها.... وقد أشير إلى قصتها في القرآن الكريم في سورة التحريم الآية رقم (١١).

وكذلك ثورة النبي موسى عليه السلام، تنقض المادية التاريخية، لانه و إن لم يكن قبطياً من آل فرعون، فإنه تربى في قصر فرعون، ونشأ كما نشأ أبناء الملوك، ومع ذلك ثار على النظام الفرعوني... وفضل أن يرعى غنم شيخ مدين على حياة أبناء الملوك... ثم قاد الصراع مع فرعون والفرعونية بصورة علنية».

وكذلك فإن الرسول محمداً صلى الله عليه وآله كان يتيماً في صغره ثم تزوج بخديجة صاحبة الثراء... ولم يتغير أو يتبدل موقفه كما تقتضي أصول المادية التاريخية، (لا بل كان العكس، إذ أن خديجة أنفقت كامل ثروتها في سبيل الرسالة، حتى باتت تنام والنبي صلى الله عليه وآله على جلد كبش)، وثار النبي صلى الله عليه وآله في هذه المرحلة بالذات ضد أصحاب رأس المال، والمرابين، وأصحاب العبيد والرقيق، وضد نظام عبادة الوثن، الذي كان مظهر تلك الحياة.

وكما أن المؤمنين والموحدين والقائمين بثورة التوحيد، لم يكونوا جميعاً من طبقة المستضعفين، بل كانوا (يختارون) من لم تخبث فطرته، أو قل خبثه من «الطبقة المستكبرة»، فيحملونهم على مجاهدة أنفسهم بالتوبة، أو مجاهدة المستكبرين (طبقتهم المزعومة) بالثورة، كذلك لم تكن الطبقة المستضعفة –بأجمعها– من المؤمنين، والقائمين بثورة

التوحيد. وقد ورد في القرآن الكريم موارد مختلفة أعتبرت فيها طوائف من المستضعفين في صنف الكافرين، وحكم عليها بالعذاب الإلهي (أنظر سورة النساء: ٩٧، إبراهيم: ٢١، سبأ: ٣١، ٣٧، غافر: ٤٧ —٥٠). إذن، ليس كل المؤمنين من المستضعفين، ولا كل المستضعفين من المؤمنين، ولكن الذي لا شك فيه ان أكثر المؤمنين بالأنبياء هم من المستضعفين، أو على الاقل من الذين لم تتدنس نفوسهم بجناية استضعاف الآخرين، كما ان أكثر خصوم الأنبياء هم من المستكبرين، وهذا يعود إلى تلوث فطرة المستكبرين، وهذا ما لم يصب به المستضعفون، وهؤلاء باتباعهم الأنبياء، يستجيبون لنداء الفطرة، ويعملون علة نيل حقوقهم الضائعة»[1].

ثورات الأنبياء... النموذج الأعلى لحركات المستضعفين:

وعلى هذا، فإن حركة المستضعفين القائمة على الإيمان والعمل الجهادي في سبيل الله، هي الوجه الثاني للحلقة الأخيرة من رسالات السماء، التي أنزلت من أجل رفع ظلم الحكام والأحكام الوضعية، هي كاهل الإنسانية المنكوبة بشرائع أرضية، وأنظمة انحرافية، لذلك فإن حركات الأنبياء، (نوح عليه السلام، و إبراهيم عليه السلام والمسيح عليه السلام، وحركة محمد صلى الله عليه وآله)، كانت كلها في جوهرها حركات مستضعفين، وقد نال قوادها بسبب جهادهم، عذابات وأذايا وابتلاءات، وقد عبر عن ذلك الرسول صلى الله عليه وآله عندما قال: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»، فعلى أكتاف أنصار الله، من المجاهدين، رفعت رايات المعذبين والمظلومين لتنشر الهدى والنور في بقاع الأرض، بعد أن صبغت بدماء الشهداء الأبرار، الذين اتخذهم الله

(١) نفسه، ص ١٣٨، بتصرف طفيف.

ملاحظة: من رغب بالاستزادة حول هذا الموضوع فلابد من العودة إلى المرجع المذكور، فقد يجد مطلوبه.

شهداء، والذين سبقوا جذور هذه الحركة المقدسة بدمائهم، فأثمرت شجرتها عدلاً وسلاماً ورحمة.

إن كل هذا، بشكل السند المتين لحركة الإيمان والجهاد، في كل مكان وزمان، لأنه ينير أمام هذه الحركة التغييرية، الطريق المظلم، الذي يغلف بظلامه، وضبابيته بعض الخطط النافعة، والتحركات التي تخدم عملية التغيير أو الإصلاح للواقع الفاسد، فيمدهم بأسباب الصمود والصبر والاستمرار، فالتاريخ يزودهم بالتجربة الرائدة، والمواكبة العالمية لمسيرة المستضعفين تؤكد على الشمولية، والتجارب المعيشة تكشف عن الديمومة والاستمرارية في الدافع.

وفي كل هذا، ضمانة أكيدة للنجاح في تحقيق الأهداف الإنسانية للرسالة الإلهية، إذ أنه لا شك ولا ريب أن نصرالله للمجاهدين والمؤمنين يتوقف على نصرهم وانتصارهم له، ولشريعته، وكتابه، وسنة نبيه، ورسالات أنبيائه.

قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1].

(١) محمد: ٧.

زبدة البحث

١- إن التاريخ البشري، وفق نظريتنا القرآنية، بدأ مع خلق الله للإنسان، وإن التاريخ البشري على الكرة الأرضية ينتهي بفناء كل من عليها، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

٢- إن التاريخ البشري لا ينتهي بشكل كامل، بل يتجدد في مرحلة ثانية لا تنتهي، كونها خالدة في (عالم الآخرة)، الذي هو نتاج للدور الذي قام به الإنسان في حياته الاولى، كما في الحديث الشريف: «**الدنيا مزرعة الآخرة**».

٣- والتاريخ في حركته العامة، هو تعبير عن الصراع بي نالحق والباطل، وبين انصار الله، وأنصار الطاغوت، ومنهج الإسلام الله، ومنهج الكفر بالله، الذي هو منهج الجاهلية، التي تعتبر حالاً، وليس مرحلة...

٤- ومن يستقرى، التاريخ بلحظ واحدية الملامح لهذه الحركة التاريخية، فعقيدة الإيمان بالله هي ذاتها في كل رسالات السماء، ودعوات الأنبياء تتسم بنفس الخصائص، وتنادي بذات المبادئ والمناهج.

يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[3].

---

(١) الرحمن: ٢٦ – ٢٧.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) الحج: ٣٤.

٥- ومن خصائص هذه الحركة التاريخية:

أ- الشمولية التي تنظر إلى تاريخ البشرية كله، والأتصال بين حلقات هذه السلسلة المحكومة بسنن تاريخية واحدة، وأن التاريخ في مختلف مراحلة وحلقاته، إنما يمثل حركة الصراع ضد الباطل، تحت راية الأنبياء والرسل، وتعاليم الله، وهذا الصراع التاريخي ياخذ منحى تصاعدياً، فينتصر بذلك الحق على الباطل، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[1].

ب- إن حوادث التاريخ هي للعبرة والتفكر... إذ أننا نتزود من عبر التاريخ، لنعالج مشاكل الحاضر، ولنستفيد من نتائج ذلك، فنبني حياتنا من أجل المستقبل.

(١) المجادلة: ٢١.

الفصل الرابع:
الصراع بين حزب المستضعفين والمستكبرين ... إلى أين؟

خصائص حزب الله المفلحين

قرآنيا: خياران للانتماء... لا ثالث لهما:

* إما حزب الله «الغالبون».

* وإما حزب الشيطان «الخاسرون»

الإمام الخميني قدس سره وحزب المستضعفين[1]

يقول الإمام الخميني قدس سره:

* «إننا وفي ظل قيادة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله نريد تحقيق هاتين الكلمتين: لا نظلم ولا نظلم..».

* «كانت حربنا صراعاً بين الحق والباطل، وهي لا تنتهي... كانت حربنا صراعاً بين الفقر والغنى... كانت حربنا صراعاً بين الإيمان والرذيلة، وهذه الحرب مستمرة منذ آدم عليه السلام وحتى نهاية الحياة».

* «جاءت النبوة في الأساس، وبعث النبي صلى الله عليه وآله لتحطيم قواعد ظلم الأقوياء الذين يظلمون الناس، وتحطيم قواعد قصور الظلم هذه، التي أرتفعت أعمدتها من خلال تعب هؤلاء المحرومين والمستضعفين، واستثمار هؤلاء الضعفاء. وجاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لتحطيم هذه القصور، والقضاء على الظلم».

* «أوصى المجلس (مجلس نواب الأمة) والحكومة والقائمين على الأمور أن أعرفوا قدر هذا الشعب، ولا تتوانوا في خدمته، خاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين الذين هم نور عيوننا، وأولياء نعمنا جميعاً، وإن الجمهورية الإسلامية هديتهم لنا... وقد تحققت بفضل جهودهم وتضحياتهم، وبقاؤها رهين أيضاً بخدماتهم».

---

(١) منهجية الثورة الإسلامية (مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني قدس سره) ص ٤٦٥ – ٤٢١ – ٥٠٤ – ٣٠٠ – ٥٠٥.

* «إننا عندما قلنا بحزب يسمى «حزب المستضعفين» في جميع أنحاء العالم، فهذا يعني أن تبقى تلك الأحزاب –الصحيحة – في إيران، فأحزاب المناطق على حدة، وحزب جميع المناطق والأماكن هو حزب آخر. إذا توافق المسلمون –إن شاء الله –واسسوا مثل هذا الحزب، الذي هو حزب المستضعفين لجميع المناطق، إذا أسسوا مثل هذا الحزب، فإنه عمل في محله تماماً».

* « أوصي الجميع ببذل سعيهم من أجل رفاهية الطبقات المحرومة إذ ان خيردنياكم وآخرتكم هو في حل مشاكل المحرومين في المجتمع، الذين كانوا يعانون دوماً على طول التاريخ الملكي والإقطاعي».

حركة المستضعفين... والإنتماء المبدئي

١- المبدئية والإنتماء:

المبدئية في الحياة تعتبر البوصلة التي تحدد إتجاه الإنسان، وتخرجه من الضياع، واللاتوازن، لذلك فإن الإنسان المبدئي، المنتمي هو الإنسان المستقيم، كما امر الله تعالى رسوله بقوله: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾[1].

وهذه الاستقامة تتجلى في شخصية المؤمن، بأن تطبع شخصيته بطابع الإتزان، ووحدة التوجه، والسلوكية الأخلاقية، والغيرية في العلاقات، بدل القلق، والأنانية، والسلوك المنحرف.

والإنسان اللامبدئي -غير المنتمي- لا تتجاوز أهتماماته المصلحة الشخصية، وهو يعيش حالة من التأرجح في المواقف، والتفكير والسلوك.

٢- التغيير والانتماء:

من الواضح أن أي تغيير أجتماعي، لابد أن يؤسس على قاعدة الانتماء لفكر أو مبدأ تغييري، فالحياة المبدئية هي التي تدفع المؤمنين بالمبدأ للعمل الحثيث من أجل تغيير حياتهم الشخصية، وحياة المجتمع، وفق المبادئ، التي امنوا بها، بغض النظر عن طبيعة هذه المبادئ.

أما الإنسان اللامنتمي إلى مبدأ أو رسالة فإنه يبتلى بجملة أمور:

أ- لا يستطيع أن يتجاوز ذاته، بل تصبح هي المحور لكل تحركاته الخاصة والعامة.

---

(١) الشورى: ١٥.

ب- نضوب العاطفة والأحاسيس الإنسانية في شخصيته.... أو ذبول وتيبس هذه العاطفة.

ج- التقوقع على الذات والأنزواء عن المجتمع.

د- الاضطرابات النفسية والخواء الروحي.

٣- البيئة الصالحة لصناعة الشخصية المبدئية:

إن الإنسان بطبيعته ينزع إلى الأهتمام بالقيم والتسامي في السلوك، كما ينزع من جهة أخرى، إلى التسافل والاهتمامات القشرية أو المتدنية في مستواها، وهذان البعدان في شخصية الإنسان هما إنعكاس للجانب الروحي المتسامي، والجانب المادي الغرائزي، وهما قابلان للنمو بحسب البيئة والمناخ الاجتماعي الذي يهيأ لهما.

ولما كان كل إنسان يمتلك في داخله قوة دافعة نحو الخير، تسمى بالضمير، فإن العمل على تقوية هذا الضمير و إيقاظه مما يساعد على دفع الإنسان باتجاه الاهتمامات المتسامية.

وقد ورد في الخبر عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال:

«**إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، وأما الظاهرة فالرسل والأنبياء، والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول**» (والضمائر).

ويقول جان جاك روسو:

«الضمير غريزة إلهية خالدة، ونداء من السماء، ودليل ناصح لكل إنسان... ضعيف، شريطة أن يكون عاقلاً وحراً، وحاكماً لا يظلم في حكمه، ومقياساً للحق والباطل».

ولذلك فإن توفير المناخ الملائم، لإيقاظ هذه القوة الإلهية (الضمير والعقل) في الإنسان من الضرورات الملحة لتسامي شخصية الإنسان،

وتعديل مقياس المنفعة واللذة عنده، و إلا هبط من درجة إنسانيته العالية، لينهمك في حاجات جسده وغرائزه وأنانيته، وبذلك يفقد المجتمع قوته، وعناصره الواعية، المبدئية، العاملة للخير العام، فيضعف هذا المجتمع وتتبعثر قواه، ويبتلى بالانحطاط الخلقي والنفسي، ويتهدده السقوط.

٤- الانتماء الرسالي:

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

من الواضح أن الآيتين الكريمتين تطرحان موضوعة الإنتماء إلى الرسالة والمبدأ، كبديل للانتماءات الجاهلية، والقيم المادية، والمشاعر والعواطف، المنعكسة عن هذا الأنتماء، وهذا يجعلنا نقف عند النقاط التالية:

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

١- الإنتماء للقبلية والعشيرة والأسرة، ضمن إطار العلاقة الرحمية الفطرية –الإنسانية.

٢- استبدال القيم المادية بقيم الإيمان واليوم الآخروالجهاد، والعمل لنشرالرسالة، ومحاربة الظلم والظلمة، و إحلال قيم الحق والعدل.

٣- مواجهة الانتماء القبلي أو العشيري، إذا كان يشكل عائقاً أمام الرسالة، والانتماء الرسالي والإيماني، أما في الحالات التي تكون الرابطة العشيرية أو الاسرية فيها، في خدمة قيم الإيمان، بحيث تساعد على نشر المبدأ أو الرسالة، فإن القرآن الكريم يؤكد، على هذه الرابطة الأسرية – الإيمانية، وعلى صلة الأرحام، كما قدمنا، لأن المشكلة تكمن في العصبية العشيرية أو العائلية، وليس في العشيرة أو العائلة.

وعن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام أنه قال: «**العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه، خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية ان يعين الرجل قومه على الظلم**»[1].

وعن علي عليه السلام: «**الإنسان أخ الإنسان، أحب أم كره، فإن كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحاسن الأمور، والأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والآثار المحمودة، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإنصاف للخلق، واجتناب المفاسد في الأرض**».

٤- أن الانتماء إلى العشيرة، والعائلة، أعتبره القرآن تولياً للعشيرة والتزاماً بها وبالآباء... والولاية للأسرة والعشيرة يعني، فيما يعني الأرتباط الفكري والعاطفي والعملي، بقيم وطروحات وعادات وتقاليد هذه العشيرة، ومن هنا

(١) أنظر: وسائل الشيعة، ج٦، باب تحريم التعصب، ويوجد جزء من هذا الحديث في كتاب كنز العمال، ج٣، ص ٥٠٩.

كان الأمر الإلهي بعدم تولي الآباء والإخوان إلا إذا تخلوا عن مفاهيمهم الجاهلية، وقيمهم المادية اللاإيمانية، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.... الآية.

عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني جئتك أبايعك على الإسلام. فقال صلى الله عليه وآله: أبايعك على أن تقتل أباك. قال: فقال صلى الله عليه وآله: إنا، والله، لا نأمركم بقتل آبائكم، ولكن، الآن علمت منك حقيقة الإيمان، وأنك لن تتخذ من دون الله وليجة**»[1].

٥- والإيمان بالله واليوم الآخر، هو إنتماء وتول الله ولرسوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾.

وهذا الانتماء الإيماني، هو إنتماء إلى الله، كما قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ ﴾} والانتماء إلى الله، هو الإعتقاد بعقيدة والإلتزام بأحكام وتشريعات، والعمل لتحقيق أهداف، على أساس الالتزام بقيم ومبادئ وأخلاق عالية.

٦- التولي لله، والانتماء للمبدئية الإيمانية، ونبذ العصبية العشيرية والأسرية، يثمر على مستوى الحياة الإنسانية، في الحاضر والمستقبل ثمرات منها:

١- أن يكتب الله في قلوب أصحابه الإيمان.

٢- التأييد الإلهي لهم، بروح منه تعالى.

٣- نيلهم السعادة الأبدية، بدخولهم جنات الخلد.

---

(١) بحار الانوار، م ٧٤، ص ٢٣٣.

٤- منحهم الرضوان الإلهي عليهم.

٥- شعورهم بالطمأنينة والسلام برضاهم عن الله سبحانه.

٦- فلاحهم في الدنيا والآخرة، لانهم حزب الله، المنتمون إليه، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٧- أما الأسباب الموصلة إلى كل ما تقدم فتعود إلى:

أ- تخليهم عن تولي الأقربين، لمعاندتهم الله ولرسوله.

ب- ولتجاوزهم العصبية الأسرية والروابط العائلية، والمنافع المادية من أموال وتجارة، ولتفضيل الله ورسوله والجهاد في سبيله على كل ذلك.

الصراع بين حركتي
المستضعفين والمستكبرين... متى يحسم؟

يقول تعالى:

* ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1].

* ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2].

إن حركة المستضعفين، الملتزمة بالعقيدة الإلهية، والقيم والمبادئ الربانية، المتولية الله ولرسوله والذين آمنوا، يدعوها القرآن العظيم، كما هو معلوم: حزب الله.

والحركة المضادة هي حركة المستكبرين والظلمة، المتنكرين للعقيدة الحقة وللقيم والمبادئ، والمعاندة لله ولرسوله، ولأئمة الهدى الذين عناهم بقوله {الذين إمنوا}، وهذه الحكة يسميها القرآن الكريم: {حزب الشيطن}.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

إن الصراع بين الحركتين او الحزبين قائم على قدم وساق ولن ينتهي، حتى ينتصر الحق على الباطل، في نهاية المطاف، ذلك عندما يمن

---

(١) القصص: ٥.

(٢) المائدة: ٥٦.

(٣) المجادلة: ١٩.

الله على الذين استضعفوا في الأرض، فيجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين. ولما كانت الغلبة – في النهاية للمستضعفين المؤمنين، فإن نصر الله لهم كان وفق نواميس النصر والهزيمة، التي يذكر جملة منها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة عندما يقول: «واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، وأحذروا أن تكونوا أمثالهم.

فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم، فالزموا كل أمر لزمت العزة به شانهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الإجتناب للفرقة، واللزوم للإلفة والتحاض عليها والتواضي بها.

إجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي... وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء»[1].

إما حزب الله و إما حزب الشيطان:

من الواضح أن القرآن الكريم لا يعترف إلا بحزبين أثنين أو تيارين في الحياة الأجتماعية والسياسية، فيذكر في مقابل حزب الله، حزب الشيطان، فيقول تعالى:

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا

(١) نهج البلاغة، الإمام علي بن علي أبي طالب عليه السلام، من الخطبة القاصعة.
(٢) المجادلة: ١٩.

تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[2].

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾[3].

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[4].

«الحزب» في اللغة والأصطلاح:

يقول الطبرسي إن «الحزب هو الطائفة والجماعة وأصله من قولهم حزبه يحزبه إذا نابه، وكل قوم تشابهت قلوبهم وأعمالهم فهم حزب، وتحزب القوم إذا أجتمعوا»[5].

ويقول الفراهيدي في كتاب العين: «تحزب القوم: تجمعوا، وحزبت أحزاباً، جمعتهم والحزب: أصحاب الرجل على رأيه وأمره... والمؤمنون حزب الله والكافرون حزب الشيطان، وكل طائفة تكون أهواؤهم واحدة فهم حزب».

وحزب الشيطان، هم الذين استحوذ عليهم الشيطان، كما عبرت الآية، السابقة الذكر، و «استحوذ، من مادة (حوز)، وهي في الأَّل بمعنى

(١) هود: ١٧.

(٢) غافر: ٥.

(٣) ص: ١١، ١٣.

(٤) فاطر: ٦.

(٥) مجمع البيان – المجلد ٢ – ص ٢٠٩.

القسم الخلفي لفخذ البعير، ولأن أصحاب الإبل عندما يسوقون جمالهم يضربونها على أفخاذها، فقد جاء هذا المصطلح بمعنى التسلط أو السوق بسرعة.

«نعم إن المنافقين المغرورين بأموالهم ومقامهم، ليس لهم مصير سوى أن يكونوا تحت سيطرة الشيطان وأختياره ووساوسه بصورة تامة... بل إنهم في زمرة الشيطان وهم أنصاره وحزبه وجيشه في إضلال الآخرين»[١].

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى عملية التحزب للباطل، والتي تكون سبباً في بدء وقوع الفتن، فيقول عليه السلام:

«أيها الناس، إنما بدء وقوع الفتن، أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً، فلو ان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث فيمزجان، فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أولئك، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى»[٢].

وفي تفسير الأمثل، جاء تعليقاً على قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[٣]. إن الله سبحانه أكد على قطع (الود) مع أعداء الله، وبناء على هذا، فإن خط حزب الله هو نفس خط الولاية، والإنفصال عنه إنفصال عن خط الله ورسوله واوصيائه.

وفي المقابل، عندما يصف حزب الشيطان... فإن أهم ميزة له هي النفاق وعداء الحق والكذب والمكر، ونسيان ذكر الله.

(١) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، ص ١٨٦، دار إحياء التراث العربي.
(٢) الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، م١٨، ص ١٣٧، مؤسسة البعثة، بيروت.
(٣) أصول الكافي، ج٥، ص ٢٦٧.

إن مسألة الولاية بالمعنى الخاص، والحب في الله والبغض في الله بالمعنى العام، قد اكدت عليها كثير من الروايات الإسلامية، حتى أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قال لأمير المؤمنين عليه السلام:

«يا أبا الحسن، ما أطلعت على رسوله الله إلا ضرب بين كتفي، وقال يا سلمان: «هذا وحزبه هم المفلحون»[١].

وفي رواية، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: «هل عملت في عملا قط... قال: صليت لك، وصمت وتصدقت وذكرت الله. قال الله تبارك وتعالى: وأما الصلاة فلك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأي عمل عملت لي؟ قال موسى عليه السلام: دلني على العمل الذي هو لك. قال: يا موسى... هل واليت لي ولياً؟ وهل عاديت لي عدواً قط، فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»[٢].

ويقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله عزوجل ويبغض أهل معصيته، ففيك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب»[٣].

ويقول الأمام الصادق عليه السلام أيضاً:

«لا يحض رجل الإيمان في الله، حتى يكون أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلهم»[٤].

---

(١) تفسير البرهان، ج٤، ص ٣١٢، نقلاً عن كتب الصحاح.
(٢) سفينة البحار، ج١، ص ٢٠١.
(٣) سفينة البحار، ج١، ص ٢٠١، انظر: الشيرازي، تفسير الأمثل، م١٩، ص ١٤٥، ١٤٦.
(٤) نفس المصدر السابق.

هذه الإثنينية في الولاء، تحصر عملية الإنتماء في حزبين لا ثالث لهما، كما هو واضح، و إن تعددت الأسماء والشعارات والأشكال والأوضاع، وهما حزب الله وحزب الشيطان وليس هناك حزب آخر غيرهما، و إدعاء الحياد بينهما يعني الإنتماء الخفي لحزب الشيطان..

تقول الرواية أن النبي ﷺ كان جالساً مع بعض أصحابه، على الرمل، فخط على الأرض خطا، وقال: هذا سبيل الله، وخط عن يمينه خطوطاً، وعن يساره خطوطاً، وقال هذه سبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

ومما سبق نستنتج أن سبل الشياطين و إن تعددت وتباينت، فإنها تلتقي تحت لواء شيطاني أشمل، يطلق عليه القرآن الكريم تسمية: حزب الشيطان، وكلمة شيطان، تعني في اللغة –كما في مجمع البيان - «كل متمرد من الجن والإنس والدواب، ولذلك جاء في القرآن: {شيطن الإنس والجن}، وعليه فالشيطان هو «البعيد من الخير–يقال شطنت الدار، أي بعدت، المفارق أخلاقه جميع جنسه، وقيل: المبعد من رحمه الله»[2].

كيف تكون واحداً في حزب الله «كما يريد الله ورسوله »؟

يقول الإمام الخميني ﷺ: «إن أي مسلم يقبل بالموازين والمبادئ الإسلامية، وله انضباط (التزام) ديني دقيق في العمل والسلوك، فإنه أحد أعضاء حزب الله، وقد بين القرآن والإسلام جميع قوانين هذا الحزب

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) الطبرسي: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، م١، ص ١٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ومنهجه. ويختلف هذا الحزب عن الأحزاب المتداولة اليوم في الدنيا»[١].

فإن كنت ترغب في ذلك أو تريد الإنتماء إلى حزب الله (بالمفهوم القرآني) والذي هو العنوان الإلزامي لكل مؤمن تقي ملتزم –فلا محيص من الإلتزام بأمور يذكرها الإمام العسكري عليه السلام... ففي رواية، أنه كتب إليه عليه السلام بعض مواليه، يسأله أن يعمله دعاء، فكتب إليه بهذا الدعاء:

«يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا عز الناظرين، ويا أسرح الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صل على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومد لي في عمري، وأمنن علي برحمتك، وأجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري».

فقال أبو هاشم (وهو السائل): فقلت في نفسي:

اللهم أجعلني في حزبك وفي زمرتك...

فأقبل علي أبو محمد عليه السلام (العسكري)، فقال:

أنت في حزبه وفي زمرته:

- إذا كنت بالله مؤمناً.
- ولرسوله مصدقاً.
- ولأوليائه عارفاً.
- وأنهم تابعاً.

فأبشر ثم أبشر[٢].

إن من يرغب الإنتماء إلى حزب الله المفلحين، عليه أن يكون مؤمناً بالله، حقاً، ومصدقاً برسوله، وتابعاً لأوليائه، وعارفاً بهم، ولا بد له من

(١) منهجية الثورة الإسلامية – مقتطفات من أفكار وآراء الأمام الخميني قدس سره ص ٣٩٩ – مؤسسة تنظيم ونشر تراث الأمام الخميني قدس سره – طهران.

(٢) كشف الغمة ج٢، ص ٤٢١.

الأنصاف بصفات منها: الحب لله، والخوف منه –أي من مخالفته– والثقة به و إطاعته، والعمل لتحقيق أهداف المشروع الإلهي في الأرض...[١] وزيادة في الإيضاح، نعمد إلى تفصيل النقاط التالية:

أولاً: حب الله سبحانه و تعالى: إن علاقة المؤمن مع ربه ينبغي أن تقوم على أساس الحب كانعكاس للولاء لله.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢]، والحب بين الله وعباده الصالحين هو حب متبادل، يقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٤].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وهل الدين إلا الحب**».

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[٥].

وفي الحديث القدسي، إن الله تعالى قال لموسى بن عمران:

«**يا أبن عمران كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب خلوة حبيبته؟**

ها أنذا يا ابن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلي من قلوبهم...

يا أبن عمران هل لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل، فإنك تجدني قريباً».

---

(١) أنظر: القبانجي: صدر الدين، محاضرات في حزب الله، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) البقرة: ١٦٥.

(٥) شبر: السيد عبد الله، الأخلاق، ص ٢٦٤.

* أن تحب الله، هذا يقتضي أن تحب الطرق والأشخاص الذين يقربونك إلى الله تعالى:

في الدعاء عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب من يقربني إلى حبك، وأجعل حبك أحب إلي من الماء البارد»

* الحب في الله أوثق عرى الإيمان:

يقول الصادق عليه السلام: **«من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله»**.

«من أحب الله، او أبغض الله، وأعطى الله فهو ممن كمل إيمانه».

«كل من لم يحب على الدين، ولم يبغض على الدين، فلا دين له»[1].

ثانياً: الخوف (الخشية) من الله، انعكاس آخر للولاء الله سبحانه:

يقول تعالى: «﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾»[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: **«من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»**.

«لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو».

ويقول الإمام علي عليه السلام: **«من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب»**.

---

(١) الأصول من الكافي، ج٢، باب الحب في الله والبغض في الله، ح١٦.

(٢) النازعات: ٤٠ – ٤١.

وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام: «**إن قوماً من مواليك يعملون بالمعاصي، ويقولون: نرجو**».

فقال عليه السلام: «**كذبوا ليسوا بموالي، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف شيئاً هرب منه**».

لا تخش إلا الله[١]:

أ- المتولون الله لا تخيفهم حشود الأعداء:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٢].

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣].

ب- المتولون لله لا تخيفهم المقاطعة أو الحصار السياسي أو الأقتصادي (والمعيشي) او غيره:

يقول تعالى في الحصار المعيشي للمؤمنين:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾[٤].

وهو ذا أمير المؤمنين علي عليه السلام، يودع أبا ذر بعدما صدر قرار إبعاده ونفيه إلى الربذة، وذلك، عندما وقف أبو ذر بوجه معاوية، وحاسبه على تلاعبه بثروات الأمة...فقال له، عندما شاهد قصره الخضراء:

«**يا معاوية... أنى لك هذا... فإن كان من مالك فهو الإسراف، وإن**

(١) أكثر النصوص الواردة هنا يمكن أن تجدها في: محاضرات في حزب الله (ذكر سابقاً).

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) آل عمران: ١٧٥.

(٤) المنافقون: ٧.

كان من أموال المسلمين فتلك هي الخيانة»... ولأنه لم يسكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواجهة الانحراف... نفي، وفوطع، وحوصر وأقبل علي عليه السلام يودعه قائلاً: «**يا أبا ذر، إنك غضبت لله فأرج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك... ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم أتقى الله، لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل**».

ج- المتولون الله لا يخافون السقوط من أعين الناس ويبتعدون عن مسبباته:

١- المتولون لله ولرسوله وللمؤمنين (أبناء حزب الله القرآني) لا تخيفهم الدعايات المغرضة، والحملات الإعلامية، والحرب النفسية ولا الشائعات، أو كافة أشكال الإستهانة، أو التحقير، أو الإتهام... بل يصمدون بوجه الظلمة والفسقة وأهل النفاق، متأسين برسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**» **ومع ذلك فقد صمد بوجه حملاتهم الظالمة، وقولهم إنه ساحر، ومجنون، وشاعر، وإنه يتعلم** «ما يوحى إليه» من أحد الأشخاص، وقد رد عليهم القرآن الكريم بقوله تعالى: {﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾[1].

وقد قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[2].

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾[3].

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الأحزاب: ٣٩.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيها الناس إعملوا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه»[١].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام، في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي:

«وأوصيك بخمس:

الأولى: إن ظلمت فلا تظلم.

الثانية: و إن خانوك فلا تخن.

الثالثة: و إن كذبت فلا تغضب.

الرابعة: و إن مدحت فلا تفرح.

الخامسة: و إذا ذممت فلا تجزع.

ثم قال عليه السلام: **وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك، فسقوطك من عين الله جل وعلا عند غضبك من الحق أعظم عليك مما خفت من سقوطك من أعين الناس.**

وقال عليه السلام: **و إن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك»**.

وقال عليه السلام: **«واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو أجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنك رجل سوء، لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك، ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر فإنه لا يضرك ما قيل فيك.**

و إن كنت مبايناً فما الذي يغرك من نفسك؟

وقال صلى الله عليه وآله: **«إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة**

---

(١) الحراني: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف المقول، ص ١٤٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

يقيم أودها، ويخالف هواها في محبة، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها.... فينعشه الله، فينتعش، ويقيل الله عقرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة، والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[1] ويقول عليه السلام لجابر:

«يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، أو إستقلل من نفسك كثير الطاعة الله:

- إزراء على النفس.

- وتعرضاً للعفو.

- وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم.

- واستعمل حاضر العلم بخالص العمل.

- وتحرز في خالص العمل عن عظيم الغفلة، بشدة التيقظ.

- واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف.

- واحذر خفي التزين بحاضر الحياة.

- وتوق مجازفة الهوى باسترشاد العلم.

- واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء.

- وانزل ساحة القناعة بإتقاء الحرص.

وقال عليه السلام: «**الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة**».

* كيف تكسب محبة الناس؟

أما كيف يكسب الإنسان محبة الناس، فهذا أمر قد وجه إليه

(١) الأعراف: ٢٠١.

الإسلام، وشجع عليه، بأن طرح الموضوع من زواية واقعية تركز على رؤية الإسلام إلى علاقة الإنسان بالحياة، والدنيا، وغيره من الناس، والأشياء...

فقد روى سهل بن سعد قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال ﷺ:

١- إزهد في الدنيا يحبك الله.

٢- وازهد في ما بأيدي الناس يحبك الناس.

٣- وانبذ إلى الناس ما في يديك من الحطام يحبوك.

٢- إن الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا لا تسقطهم دعايات حزب الشيطان، بأن المؤمنين -اتباع حزب الله القرآني -لا قيمة اجتماعية لهم، كونهم من المستضعفين:

وهذا نبي الله نوح يواجه بهذه التهمة!!

يقول تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾[2].

وجاء في تفسير «الدار المنشور» إنه مرت جماعة من قريش بمجلس رسول الله ﷺ حيث كان «صهيب الرومي»، و «عمار» و «بلال الحبشي» و «خباب»، وأمثالهم من الفقراء «والمستضعفين» فتعجبوا من ذلك وقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك، أفنحن نكون تبعالهم، أهؤلاء الذين من الله عليهم!! أطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم إتبعناك..

---

(١) هود: ٢٧.

(٢) الشعراء: ١١٢، ١١٤.

تعليقاً على هذه الحادثة[١]، جاء في تفسير «الأمثل»: «إن واحداً من دلائل عظمة الإسلام والقرآن، وعظمة مدرسة الأنبياء عموماً، هو إنها وقفت (وقفة) ثابتة لا تتزحزح في وجه أمثال هذه الطلبات، وراحت تحطم هذه الإمتيازات الموهومة في كل المجتمعات التي تعتبر التمايز الطبقي مسألة ثابتة، لتعلن أن الفقر (والاستضعاف)، ليس نقصاً في أشخاص مثل سلمان وأبي ذر الخباب وبلال، كما أن الثروة ليست إمتيازاً إجتماعياً أو معنوياً لهؤلاء الأُثرياء الفارغين، المتحجرين، المتكبرين».

وفي رواية، أنه دخل سلمان مجلس رسول الله ﷺ، فوجد وجهاء قريش فتخطاهم (وسلمان كان مستضعفاً، كما هو معلوم)، وجلس في صدر المجلس، فغلى الدم في عروق القوم، وقال له بعضهم: «من أنت حتى تتخطانا؟ وقال له آخر: «ما حسبك ونسبك؟» فقال لهم سلمان: «أنا ابن الإسلام... كنت عبداً فأعتقني الله بحمد، ووضيعاً فرفعني بحمد، وفقيراً فأغناني بحمد فهذا حسبي ونسبي، والمسلمون أخوة، ليس بينهم وجهاء وفقراء، وليس الخير بالجاه والمال، ولكن بالعلم والحلم والعمل الصالح».

فقال رسول الله ﷺ: «**صدق سلمان، صدق سلمان من أراد أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه بالإيمان فلينظر إلى سلمان**».

ولذلك أنزل الله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

(١) الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، م٤، ص ٢٨١.
(٢) الأنعام: ٥٢، ٥٣.

ثالثاً: من خصائص من كان في حزب الله القرآني، ومتولياً الله ولرسوله الثقة بالله و إطاعته سبحانه، والعمل لتحقيق أهداف المشروع الإلهي في الحياة[1].

ورد في رواية أنه قد «**جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية ولم يعطها أحد قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الزهد وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منه، قلت: وما هو يا جبرائيل؟ قال: إن مدرجة ذلك التوكل على الله عزوجل، فقلت: وما التوكل على الله عزوجل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك، لم يعمل لأحد سوى الله، فهذا هو التوكل.**

قال، قلت: يا جبرائيل، فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضراء، كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغناء، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو خالقه (حاله) عند المخلوق، بما يصيبه من البلاء. قلت: وما تفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيب في الدنيا يقنع بالقليل، ويشكر اليسير. قلت: فما تفسير الرضا؟ قال: الراضي لا يسخط ويشكر اليسير قلت: فما تفسير الرضا؟ قال: الراضي لا يسخط على سيده، أصاب من الدنيا أم لم يصب، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل قلت: يا جبرائيل فما تفسير الزهد؟ قال: الزاهد يحب من يحب خالقه، ويبغض من يبغض خالقه، ويتحرج (يتجنب) من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها، فإن حلالها حساب وحرامها عقاب (عذاب)، ويرحم جميع

(١) أنظر: القبانجي، المرجع ذكر سابقاً، ص ٦٨، وما بعدها.

المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرج من الكلام كما يتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها، ويتحرج عن حطام الدنيا وزينتها، كما يتجنب النار أن تغشاه، وأن يقصر أمله، وكان بين عينيه أجله، قلت: يا جبرائيل فما تفسير الاخلاص، قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شئ أعطاه في الله، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقر الله عزوجل بالعبودية، وإذا وجد فهو عن الله راض، والله تبارك وتعالى عنه راض. وإذا أعطى الله عزوجل فهو على حد الثقة بربه عزوجل.

قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل الله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله، فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه... وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد»[1].

ومن مفاهيم حزب الله –قرآنيا– أن المسؤولية هي على عاتق الجميع، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**».

حزب الله..... وأحزاب النخبة:

«إن واحداً من أهم المفارقات بين أطروحة حزب الله (بالمفهوم القرآني) وأطروحة (الحرب القائد) هي ان (حزب الله) يفترض ويؤمن بأن حق التصدي هو للجميع.... أما بعض الأحزاب السياسية التي تسمى بـ (أحزاب النخبة) فهي تحاول بأطروحتها أن تضع مقاليد الرأي، ومفاتيح الكلام، بيد الكوادر الحزبية التي عاشت الحلقات الحزبية لسنين طويلة... ولو أخذنا ما يرتبط بجانب الشخصية الإسلامية في منهج وتربية

(١) الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٦٠، ٢٦١، أنظر: المؤلف، في حقائق الإيمان من الكتاب والسنة، سلسلة اتدري ما هو الأيمان؟ ص ٧٦، ٨٠.

حزب الله، وفي ظل المفهوم القرآني لحزب الله، وجدنا أن شخصية الإنسان المؤمن، التي تحب الله، وتخافه وتثق به تبارك وتعالى، تجعل كل هذه الصفات تنعكس على عملها وسلوكها، فتدعو المؤمن للطاعة والتصدي لتحمل المسؤولية، وعدم الانعزال، وعدم أحتكار العمل الإسلامي بحجة أن الغير لا خبرة له ولا شأناً! والمفهوم الرائع عن (حزب الله) تقدمه لنا (قصة) من تاريخ أئمتنا تنتقد بالصميم كل محاولة لعزل الجماهير عن العمل والحركة، وتحمل المسؤولية، وتدعو إلى عدم الاستخفاف بجماهير حزب الله»[1]، (من كافة فئات المستضعفين).

درس بليغ في ضرورة الإنفتاح على كافة شرائح المجتمع:

إن جماعة من أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، من أهل الكوفة كتبوا إليه: «**إن المفضل –أحد أصحاب الإمام وتلامذته المبرزين– يجالس الشطار وأصحاب الحمام، وقوماً يشربون الشراب ينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم**».

وكتب الإمام الصادق عليه السلام إلى المفضل كتاباً وختمه ودفعه إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل فجاؤوا بالكتاب ودفعوه إلى المفضل ففكه وقرأه فإذا فيه:

«**إشتركذا، واشتركذا**» ولم يذكر قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه.

المفضل: ماذا تقولون قالوا: هذا مال عظيم، حتى ننظر، ونجمع، ونحمل إليك، ثم لم ندرك وأرادوا الأنصراف فاستبقاهم المفضل لتناول طعام الغداء.

وأرسل المفضل –حين أجلسهم عنده– سريعاً إلى أصحاب من أهل

(١) أنظر: القانبحي (ذكر المرجع سابقاً) ص ١١٧.

السوق، وعامة الناس، (من الذين وصفوا بأنهم من الشطار وأهل الحمام... وكانوا ينتقدون المفضل على علاقته بهؤلاء الناس).

فجاء أصحابه، وقرأ عليهم المفضل كتاب الإمام الصادق عليه السلام، وما يطلبه فيه من شراء بعض الحاجات التي تكلف المال العظيم، وخرجوا من عنده لتوفير ما يطلبه الإمام عليه السلام.

«وجلس هؤلاء –وزرارة، محمد بن مسلم، وغيرهم –ليتغدوا فرجع الفتيان –أصحاب المفضل –وحمل كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين، وأقل أكثر، فحضروا وأحضروا ألفي دينار، وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء».

«فالتفت المفضل إلى ضيوفه الذين حملوا إليه كتاب الأمام الصادق عليه السلام، وانتقدوه على علاقته مع عامة الناس قائلاً لهم:

تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي؟!

تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلواتكم وصومكم».

وهذا درس عظيم، علمه الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه، بصورة عملية، وبين لهم، أن عامة الناس لا يتركون، وأنهم سياج العمل الجاد في سبيل الله، والمنتج أيضاً.... ويظهر ذلك من جواب الأصحاب حين سألهم المفضل عن رأيهم في شراء تلك الحاجيات، قالوا:

«هذا مال عظيم، ننظر، ونجمع، ونحمل إليك، ثم لم ندرك»[1].

(١) نفسه، ص ١١٨.

الإمام الخميني ﷺ ومفهوم حزب الله

في خطاب ألقاه إمام الأمة الخميني ﷺ في ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٩٨هـ تحدث الإمام رضوان الله تعالى عليه، عن مفهوم حزب الله فقال:

«الآن وقد ثار الشعب الإيراني –وقفه الله– فيجب أن تكون هذه الثورة منظمة يجب أن لا تكون بدون تنظيم يجب أن تكون هناك علاقات منظمة بين حوزة قم وحوزة طهران، وكل المحافظات، ويجب أن يكونوا متفرقين. يجب تنظيم هذه الثورة بحيث إذا نهضت قم يوماً ينهض الشعب الإيراني بأسره.. يجب أن تتحد كل الأجنحة فيما بينها وتتضامن..

يجب أن يتكون تنظيم واحد من كل المنظمات يتكون حزب الله بوجه حزب رستاخيز (وهو حزب الشاه).

يجب أن يكون (يتشكل) حزب الله تحدثوا كلكم معاً، ثوروا كلكم معاً، تحركوا كلكم معاً.

ومن الخطأ أن تبقوا فئات متفرقة منفصلة اليوم يجب أن يكون علماء الذين مع أولئك، وأولئك مع علماء الدين الجامعي معكم وأنتم مع الجامعي، الكاتب والعامل معاً إتحدوا جميعاً في وحدة صلبة فالجميع مبتلون ببلاء واحد إن المصيبة مشتركة فليس هناك أمر يختص بفئة محددة، فإذا سرقوا البترول، فإنهم يسرقون بترول الجميع، و إذا أدخلوا في هذا البلد (قطع الحديد غير النافعة)، فإن المصيبة تعم الجميع، و إذا جلبوا المستشارين الأمريكان إلى إيران، و إذا نصبوا قاعدة للأمريكان، فإن

الخطر يمس مصالح كل الشعب إذا خانونا، يخونون كل الشعب إن الخيانة هي للجميع ولابد من تعاون الجميع ضدها وكل من يعمل لحسابه منفصلاً عن الآخرين هو مخطئ.

يجب أن يوضع تنظيم لهذه الثورة التي هي قائمة بالفعل.

يجب على العقلاء و (الكوادر المتقدمة) أن ينظموا هذه الثورة ويقيموا العلاقات التنظيمية.

يجب أن تكون هناك علاقات فيما بين كل الأجنحة وكل المحافظات.

ويجب أستخدام أية وسيلة تعطي الثورة تنظيماً، وترص من صفوف الشعب.

أيها السادة: يجب أن تكونوا واعين، فإن العدو لا زال قوياً إن العدو نزل إلى الميدان بكافة الأسلحة، بالدبابات والمدافع الرشاشة، وعليكم ألا تخافوا من أسلحته إن مدافعه الرشاشة ليست كل شيء، فأنتم على حق، والحق معكم إن الله تعالى معكم أقيموا التنظيم والعلاقات المتينة في هذه الثورة كل الشعب يجب أن يكون ضمن تنظيم واحد.

على المسؤولين أن يجتمعوا في وقت معين، و إذا ما صدرت كلمة يوماً من جهة، فيجب أن يكون للجميع كلمة واحدة، يجب ان يكون تحركهم واحداً.

وأنا أبشركم أيها الإيرانيون أبشر كل الأجنحة التي ثارت من أجل الإسلام، ومن أجل إحقاق الحق بأن الصبح لقريب النصر قريب إن شاء الله[1].

إن توجيهات الإمام ﷺ في خطابه هذا، تشكل خطة لتشكيل حزب

(١) نفسه، ص ١١٩ وما بعدها.

الله، ليس على مستوى دولة أو إقليم أو قطر، بل على مستوى اسلامي عام، ويمكن أن يدرس أصحاب الرأي والقرار، كيف يصلون بشكل تدريجي إلى هذا الهدف النبيل، و إن ظن في الأمر صعوبة بالغة، ولكن ليبدأ المعنيون بالخطوة الاولى، فإنها ضرورة لقطع رحلة الألف ميل ولا ينبغي أن تقيدنا الأطر الخاصة بل لابد من إيجاد الإطار العام الجامع، الذي يجسد المفهوم القرآني لحزب الله مع العلم أن صناعة الثورات لا تقاس بالزمن المعروف، بل للثورات زمن (ثوري – نوعي) لا علاقة لعقارب الساعة به، لا من قريب أو بعيد.

الإطار العام لحزب الله «القرآني» :

إن حزب الله (في المفهوم القرآني)، ليس حزباً أو تنظيماً، بالمعنى المعروف في العالم العربي، أو حتى في العالم الثالث، لا بل في العالم كله... فهو و إن حمل أسم الحزب فهو في الواقع لا ينتمي من ناحية الأسس والأطر وطرائق العمل إلى الأحزاب «الوضعية» في الساحة العالمية أو الأقليمية أو المحلية والطابع العبادي هو الأساس كون الممارسات العملية، تتسم بطابع الإمتثال والتقرب إلى الله تعالى.

ولقد لوحظ، ومن باب التأثر بالصيغ الحزبية الموجودة، واختصاراً، أن الكثيرين عمدوا إلى حذف أسم الحلالة، عند الحديث عن حزب الله، فإضافة أل التعريف لكلمة حزب، وفي هذا تقليص من حيث لا يدرون، للمفهوم الواسع، والطبيعة العقدية الخاصة، وللشمولية التي يستبطنها حزب الله بالمعنى القرآني.

كما أن التعبير عن حزب الله بهذه الطريقة، يضفي عليه معنى التنظيم العادي، ويشعر السامع بأن حزب الله هو على غرار الأحزاب الأخرى، سواء أكانت علمانية أم طائفية، دينية أم مادية حتى و إن كان

المتحدث لا يقصد ذلك وبهذا يضحون بخصوصيته القرآنية...

إن استخدام عبارة (حزب الله) بإضافة اسم الجلالة، أمر مطلوب، بدون حذف أو تعديل، وذلك من أجل المحافظة على مفهوم التيار الشمولي لعنوان حزب الله، وللإيحاء بأن وحزب الله –التيار الذي لا يتنكر للتنظيم، دون ان تحاصره الاطر التنظيمية، هو حال في المجتمع، تعمل بوعي، واستيعاب ووضوح، للتأثير في الواقع الاجتماعي والسياسي، والجهادي، من منطلق التعاون مع الجميع، لمصحلة الجميع ليتحول هذا التيار فيكون أمة كاملة أو قل الأمة بكاملها..

ومن هنا نعلم أن كلمة (حزب الله) بالمعنى القرآني، تنتمي إلى الإله الخالق، المدبر رب العالمين، وهذا يعني أن حزب الله، هو حزب المستضعفين من أجل المستضعفين وحركتهم المستمرة، وثورتهم الدائمة لتحقيق مصالح الفقراء والمساكين وأهل البؤس والزمنى، وكافة المحرومين والمستضعفين في المجتمع.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام لواليه على مصر، مالك الأشتر في عهده إليه: «**ثم الله الله، في الطبقة السفلي، من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزاً**[1]**، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، وأجعل لهما قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للادنى، وكل قد استرعيت حقه**»[2].

(١) انظر: دروس في الجهاد، ص ٣١٠.

(٢) يقول تعالى في سورى الحج / ٣٦: {فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز}، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «القانع هو الذي يرضى بما تعطيه ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً والمعتر هو الذي يمر بك فتعطيه أي يعترض لك».

وحزب الله، بالمفهوم القرآني، يعتصم بحبل الله، ويتمسك بأهداف القرآن الكبرى في الحياة، ويجاهد لتحقيقها في الواقع المعيش للأمة، ويواجه المستكبرين الذين يستضعفون الشعوب، ويستثمرون قدراتها.

الشكل «التنظيمي» لحزب الله «القرآني»

أما تنظيمات حزب الله، القرآني (كتيار، وحال في الواقع الإجتماعي السياسي، وأمة)، في الأطار العام، فإنها تختلف عن الأحزاب الأخرى، أيما اختلاف، باعتبار أن ما رسمه القرآن الكريم من نظم، هو المتبنى (فمكاتب) حزب الله، القرآني، هو بيوت الله (المساجد)... والإجتماعات الأسبوعية التثقيفية هي بالمشاركة بصلاة الجمعة في المسجد الجامع، للاستماع إلى الخطبتين، العبادية والسياسية (على قاعدة سياستنا عين ديانتنا عين سياستنا)، واجتماعات الخلايا الحزبية (ولا خلايا حزبية، بالمعنى الشائع)، هي في صلاة الجماعة في مساجد الأحياء والبلدات و إن كان هذا لا يمنع من اللقاءات الأخرى للأفراد في مراكزهم، ولكن ينبغي أن لا تكون هذه اللقاءات في المراكز على حساب المساجد هذا بالإضافة إلى مجالس العلم التي تعقد في المساجد والمعاهد ومراكز العلم والتعلم...

أما الملفات (الحقة) التي تضم أسماء المنتسبين «فعلاً» إلى حزب الله، القرآني، فهي ليست من ورق، ولا هي متضمنة في أقراص (الكومبيوتر)، بل هي في غاية السرية، وهي محفوظة عند من ينسب إليه هذا الحزب، وهو الله جل جلاله، الذي يعلم، من هم أعضاء حزبه المفلحين، ويطلع على النوايا وما تخفي الصدور.

وجهاز الأمن والرصد (الحقيقي) هم ملائكة الله، الموكلون بالبشر، والذين يسجلون أعمال الناس، ويكتبونها في سجلاتهم، وهي تحفظ عندهم، ولا تضيع، إلى يوم القيامة، عندما يمثل الناس أمام المحكمة

الإلهية العادلة، بالإضافة إلى أن كل مؤمن، في الحياة الاجتماعية، هي عين للإسلام، وللمستضعفين، على أعداء الحق والدين ولا يخفى أن التنظيم الذي يعتمد على كافة الصعد الإجتماعية والإعلامية والجهادية وغير ذلك، هو تنفيذ للتوجيهات العامة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وأصحابه النجباء، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام:

«أوصيكما بتقوى الله ونظم أمركما».

الأطر التنظيمية تتحول إلى اداة سلبية إن لم يكن جوهرها بناء العلاقات بين الأفراد والمجموعات والجماعات على أسس إيمانية و إنسانية:

لقد زخرت السنة النبوية الشريفة بتعليمات، أساسية وهامة، في مجال بناء العلاقات بين الناس على أسس واقعية، و إيجابية، وصفت في بعض الأحاديث بأنها من الأعمال «الخفيفة على البدن، والثقلية في الميزان يوم القيامة، ومنها ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر (رض):

١- **«ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان؟**

قال: بلى يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وآله هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك».

٢- وفي رواية أخرى عن الرسول صلى الله عليه وآله **أن الأخوة تحتاج فيما بين الأخوة إلى ثلاثة أشياء فإن استعملوها و إلا:**

*** تباينوا، وتباغضوا،**

*** وهي التناصف، والتراحم، ورفع الحسد».**

٣- ويقول صلى الله عليه وآله: **«والله الذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا:**

*** بحسن ظنه بالله.**

*** ورجاله له.**

*** وحسن خلقه.**

*** والكف عن اغتياب المؤمنين».**

٤- قال الحارثي: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«ما حق المؤمن على المؤمن؟

قال: «**من حق المؤمن على المؤمن:**

١- المودة له في صدره، ٢- والمواساة له في ماله، ٣- والخلف له في أهله، ٤- والنصرة له على من ظلمه، ٥- وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، ٦- وإذا مات الزيارة له إلى قبره، ٧- وأن لا يظلمه، ٨- وأن لا يغشه، ٩- وأن لا يخونه، ١٠- وأن لا يخذله، ١١- وأن لا يكذبه، ١٢- وأن لا يقول له أف، وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، ١٣- وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، ١٤- وإذا أتهمه إنماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء».

رأس الأمر في حزب الله، هو الولاية

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

إن التولي الله وللرسول وللذين آمنوا... والذي يقابله التبرؤ من أعدائهم هو العنصر الأساس، ليكون الإنسان، المؤمن، فرداً في حزب الله «المفلحين»، وفي عصرنا هذا، فإن الولاية هي للنائب العام للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، وهو الولي الفقيه، الذي يعتبر القيادة، التي تمنح الشرعية للأعمال المنفذة، في حال صدرت عن امره، أو أمر من وكلهم بذلك...

وهذا يقودنا للحديث عن الاختلاف الكبير بين طبيعة حزب الله (القرآني)، كحال ثورية في المجتمع، وبين ممارسات مجموعات صغيرة أو كبيرة من الناس، او من النخب، عمدت إلى الانفصال عن جسم الأمة، وهي تزعم انها تقود الأمة، وتدعي لنفسها الطليعية...

أما حزب الله، بالمفهوم القرآني، فهو بطبيعته، لا يستطيع أن ينفصل عن الأمة، لأنه منها وفيها ولها (وقد وصفهم القرآن العظيم بالفلاح والغلبة، في أكثر من موضع، كما هو واضح من النصوص القرآنية).

إن حزب الله، ينبغي أن يشكل روح الأمة، وهي تشكل الجسد لذلك لا يعقل ولا يجوز الفصل بينهما، كما لا يجوز الفصل بين الجسد والروح و إلا أذى ذلك إلى موت الجسد.

---

(١) المائدة: ٥٦.

المستضعفون... أحباء الله:

إن حزب الله (القرآني) هو الحزب الوحيد، الذي لا يعد حزباً، بالمعنى الشائع، لمعنى الحزب، بل هو فعل إيمان المؤمنين الساعين لتحقيق أهداف الإنسانية العليا، المتمثلة بتعليمات القرآن الكريم... من أجل تحرير الأمة من سيطرة الاستكبار، والشعوب المستضعفة من ظلم ظالميها ومستضعفيها... لأن المستضعفين والفقراء والمساكين هم أحباء الله....

ولقد ورد أن الله تعالى خاطب رسوله ﷺ، ليلة المعراج فقال له:

«يا أحمد، محبتي محبة الفقراء، فأدن الفقراء، وقرب مجلسهم منك أدنك... فإن الفقراء أحبائي».

والنبي ﷺ، وقف إلى جانب هؤلاء، وهدد من يستذلهم أو يحقرهم.

فقال ﷺ: **«من إستذل مؤمناً أو حقره لفقره، أو قلة ذات يده، شهره الله يوم القيامة»**.

وقال ﷺ: **«ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف»**[١].

«إيفوني في الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعائكم»[٢].

«إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها... بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»[٣].

وقل وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾[٤].

---

(١) كنز العمال: خ٥٩٤٣.

(٢) نفسه، خ٦٠١٩.

(٣)الدر المنثور، ج١، ص ٢٣٧.

(٤) المائدة: ٥٥، ٥٦.

رابعاً: توجيهات الإمام الصادق عليه السلام لحزب الله المفلحين

* لكي تكون في حزب الله القرآني لا تهتم بالتسميات والشعارات بل بالمضامين والصفات:

إن هذا المعنى يستفاد من توجيهات الإمام الصادق عليه السلام للعصابة الناجية والمرحومة والمفلحة والمفضلة، كما تعبر وصيته -الوثيقة عليه السلام لعموم أتباعه، من المؤمنين، حقاً وصدقاً، الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

فالوصية -الوثيقة، موجهة إلى المنتمين لحزب الصراط المستقيم، الذي قاده رسول الله صلى الله عليه وآله، والآئمة الأطهار من أهل بيته الكرام، نظراً إلى أن هذه الوثيقة ذات أبعاد جماعية -عامة، تهدف لبناء الجماعة المؤمنة، الصابرة، المجاهدة، الواعية، فإنها احتلت مكانة مهمة، في حياة أتباع الصادق عليه السلام، وينبغي أن تبقى لها هذه المكانة، وخصوصاً أن الصادق عليه السلام امر بمدارستها، والنظر فيها وتنفيذها، لذلك كان الأصحاب إذا فرغوا من الصلاة، نظروا فيها...

إن هذه الوثيقة الصادقية هي برنامج عمل، وتعليمات للمؤمنين العاملين، يرسم لهم خارطة لحسن التصرف، مع كافة فئات المجتمع، في عملية تفاعل مع الناس، بالطريقة الاستقطابية الجاذبة إلى الخط المستقيم من جهة، ومن جهة أخرى، محاولة إبعاد الأذى عن العاملين، والتعاطي الذكي الذي يداري المبطلين لمصلحة الحق والمحقين، إلى كثير من التعليمات والتوجيهات المهمة والمفيدة، المتضمنة في هذه الوصية لعموم المؤمنين، المطيعين الله

(١) المائدة: ٥٦.

ولرسوله صلى الله عليه وآله، المتولين لأولياء الله، من أبناء حزب الله الأنجبين، المرحومين، والمفلحين، والناجين.

وسنتوفر على تفصيل بعض هذه التعليمات، كما وردت في كلام الأمام الصادق عليه السلام وهي كالآتي:

الأفكار الرئيسة للوصية – الوثقية:

١- الدعوة إلى التزام الدعة والوقار والسكينة –بعد سؤال الله العافية– والحياء، والتنزه عما تنزه عنه الصالحون.

٢- ضرورة مجاملة أهل الباطل، على المستوى الأجتماعي، وتحمل الضيم منهم، فإنه لا بد للمؤمنين من مجالستهم ومخالطتهم، ولكن مع إلتزام مبدأ التقية، التي امر الله بها أهل الإيمان عند الضرورة، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾[1]، كما قال تعالى في كتابه الكريم.

- وبما أن مخالطة أهل الباطل نوع من الابتلاء، فإنه لابد من أن تنال أهل الإيمان الأذية، ولولا أن الله تعالى يدفع عن المؤمنين، للحقهم، منهم الشيء الكثير، فهم يضمرون في صدورهم العداوة والبغضاء، وما يبدونه أقل بكثير مما يخفون.

- وعلى المؤمنين أن يثبتوا على الحق، وأن يكونوا مبدئيين، فإن ضمهم وأهل الباطل مجلس واحد، فإن الأرواح غير مؤتلفة، و إن تقاربت الأجساد، فإن القلوب متنافرة، ولا يحب أهل الإيمان أهل الكفر، والعكس صحيح... إلا أن مجاملة المبطلين والصبر عليهم، أمر لابد منه، مع العلم أن اعداء الله، إن استطاعوا، فإنهم لن يقصروا في صد أهل الحق عن حقهم، والله يعصمهم من ذلك.

(١) آل عمران: ٢٨.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تعليماته الواردة في هذه الوصية[١].

مجاملة أهل الباطل:

«أما بعد فاسألوا الله ربكم العافية، وعليكم بالدعة[٢]، والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل[٣]، تحملوا الضيم[٤]، منهم، وإياكم ومماظتهم[٥]، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لابد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية التي امركم الله ان تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر ولو أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا[٦]، بكم وما في صدروهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم أبداً ولا

(١) أنظر: فوزي: محمد، نظام الإدارة الدينية عند الشيعة الإمامية، دار البيان العربي، بيروت، وراجع المصدر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص ٢١٠.

أنظر أيضاً: الفروع من الكافي – الكليني الرازي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق (المتوفى عام ٣٢٨ – ٣٢٩هـ) ج٨، ط٣، دار صعب ودار التعارف، ص ٢ – ١٤ (محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثني علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إبن فضال، عن حفص المؤذن، عن ابي عبد الله عليه السلام، أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها..

(٢) الدعة: الخفض والطمأنينة.

(٣) مجاملة أهل الباطل: المعاملة بالجميل.

(٤) الضيم: الظلم.

(٥) شدة المنازعة والمخاصمة مع طول اللزوم.

(٦) السطو: القهر أي وثبوا عليكم وقهروكم.

يحبونكم، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصركموه ولم يجعلهم من اهله فجاملونهم وتصبرون عليهم ولا مجاملة لهم ولا صبرلهم على شيء وحيلهم ووسواس بعضهم إلى بعض فإن أعداء الله إن استطاعوا صدوكم عن الحق، فيعصمكم الله من ذلك».

كف الألسنة إلا من خير:

وتعتبر الوصية أن ضبط اللسان، وحفظه من ضرورات العمل التبليغي، والسلوك الاجتماعي الصحيح، وخصوصاً في مجتمع تكون الغلبة فيه لأهل الباطل، وأصحاب الآراء المنحرفة، إذ أن مجاملة هؤلاء ضرورة، كما ذكرنا، وباعتبار أن التقية هي محور العلاقة مع أهل الباطل، فإن المطلوب كف اللسان إلا من خير، وعدم الإنزلاق في مستنقع الزور والبهتان والإثم والعدوان، لأن العاقبة ستكون وخيمة في الدينا والآخرة.

يقول الصادق عليه السلام:

«فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير وإياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان، فإنكم إن كففتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم، من أن تذلقوا ألسنتكم به فإن ذلق اللسان فيما يكرهه الله وفيما ينهي عنه مرادة[1]**، للعبد عند الله ومقت من الله وصمم وبكم وعمى يورثه الله إياه يوم القيامة كما قال الله:** ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[2]، يعني لا ينطلقون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[3].

الرب الكريم، والهدف هو النجاة من عذاب الله لأن من شرهت نفسه

(١) المرادة: من الردى بمعنى الهلاك.

(٢) البقرة: ١٨.

(٣) المرسلات: ٣٦.

إلى ما حرم الله عليه، حرم الله عليه الجنة بكرامتها الدائمة لاهل الجنة أبد الآبدين ودهر الداهرين.

يقول الصادق عليه السلام:

«و إياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار من مات عليها، ولم يتب إلى الله، ولم ينزع عنها، وعليكم بالدعاء فإن المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة له، فارغبوا فيما رغبكم الله فيه وأجيبوا الله ما دعاكم إليه لتفلحوا وتنجوا من عذاب الله، و إياكم أن تشره[1]، انفسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم فإن من انتهك ما حرم الله عليه هاهنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذاتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الآبدين».

٤- بئس الحظ، حظ من خاطر الله بترك الطاعة وركوب المعصية:

ويقدم الصادق عليه السلام، في وصيته، صورة عن الأنموذج البائس للشخصية المنحرفة، وهو «من خاطر الله بترك طاعة الله» فاستغرق في لذات الدنيا الفانية، واستخدم ما آناه الله من نعم، فيما لا يرضي الله، تاركاً لطاعته سبحانه، راكباً لمعاصيه، مؤثراً دنياه على آخرته، بما فيها من لذائذ وكرامات لأهلها، فضلاً عن الخلود في هذا النعيم إن هذه الشخصية، البائسة الحظ، الخاسرة الكرة هي الشخصية التي ينبغي على

(١) شره: غلبه حرصه.

المؤمن الحق، طالب النجاة والفلاح، أن يستجير بالله من أمثالها، خشية أن يبتلى بما أبتليت به.

يقول الصادق عليه السلام:

«وأعلموا أنه بئس الحظ الخطر لمن خاطر الله بترك طاعة الله وركوب معصيته، فاختار أن ينتهك محارم الله في لذات دنيا منقطعة زائلة عن أهلها على خلود نعيم في الجنة ولذاتها وكرامة أهلها، ويل لأولئك، ما اخيب حظهم وأخسر كرتهم، وأسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة، استجيروا الله أن يجيركم[1]، في مثالهم أبداً، وأن يبتليكم بما ابتلاهم به، ولا قوة لنا ولكم إلا به».

٥- العصابة الناجية، لا يتحقق لها ما تريد حتى تبتلى في الأموال والأنفس وتؤذى في الله ودواء ذلك الصبر إلتماساً لوجه الله الدار الآخرة:

ويخاطب الصادق عليه السلام، العصابة الناجية، من أهل الله، وحزبه المفلحين، ويأمرهم بتقوى الله **«إن أتم الله لكم ما أعطاكم به»**، ولا يكون ذلك حتى يخضعوا للإختبار، كما هو حال الصالحين من قبل، وحتى يبتلوا بشتى صنوف البلاء، التي منها:

- الإبتلاء في الأموال والأنفس.

- نيل الأذى الكثير، والبغض من قبل أعداء الله، حزب الشيطان، «والاستدلال»، وحمل الضيم عليكم، والتكذيب لكم بالحق، وبغضهم، ومعاداتهم لكم على ذلك.

ولا علاج لهذه الإبتلاءات إلا:

- بالصبر، وحمل الضيم منهم، تقربا إلى الله، و إلتماساً للدار الآخرة.

---

(١) لعل المراد: استجيروا بالله لان يجيركم من مثالهم أي من أن تكونوا مثلهم.

- ويكظم الغيظ الشديد في الأذى في الله عزوجل.

- ولابد من الأقتداء في هذا بالنبي صلى الله عليه وآله، والرسل الكرام، إذ صبروا «على ما كذبوا وأوذوا».

- ولابد من أن تسروا من «امر الله فيهم» كونهم – في علم الله السابق - «أئمة يدعون إلى النار»، ومن كان كذلك، فمصيره إلى جنهم، وبئس القرار ولا محيص من تدبر هذا، حتى لا يركب المؤمن معاصي الله ويستوجب سخطه فيكبه الله «على وجهه في النار».

يقول الصادق عليه السلام:

«فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن اتم الله لكم ما أعطاكم به فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم وحتى ثبتلوا في أنفسكم وأموالكم وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيراً فتصبروا وتعركوا[1]، بجنوبكم وحتى يستذلوكم ويبغضوكم، وحتى يحملوا عليكم الضيم فتحملوه منهم، تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة، وحتى تكظموا الغيظ الشديد في الأذى في الله عزوجل يجترمونه[2]، إليكم وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه، ويبغضوكم عليه، فتصبروا على ذلك منهم، ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرائيل عليه السلام على نبيكم، سمعتم قول الله عزوجل لنبيكم صلى الله عليه وآله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[3]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾[4]، فقد كذب

(١) تعركوا: يقال عرك الأذى يجبنه أي أحتمله.

(٢) يجترمونه: اجترم عليهم وإليهم جريمة: جنى جناية.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) الأنعام: ٣٤.

نبي الله والرسل من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق، فإن سركم امر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل -أصل الخلق- من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل، ومن الذين سماهم الله في كتابه في قوله ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[1]، فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه، فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله عليه في كتابه مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه، فاستوجب سخط الله فأكبه الله على وجهه في النار».

٦- ضرورة المحافظة على النهج القرآني، باتباع الطرق واستخدام الوسائل التي امر الله بها، واعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا وأجب العصابة المرحومة المفلحة (حزب الله المفلحين)، والابتعاد في فهم كتاب الله، عن الهوى، والرأي والقياس (لأن الدين إذا قيس محق) كما ورد في الخبر...

لقد خاطب الصادق عليه السلام «حزب الله المفلحين» بقوله:

«أيتها العصابة المرحومة المفلحة»....

وهنا يتوجه الخطاب -في الوصية- إلى «العصابة المرحومة المفلحة»، ليقول لها، ولجميع الناس: (إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير) فدين الله ليس بناقص، وقد أكمله الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، بخلاف اعتقاد الذين يعتمدون آراءهم الذاتية وأهواءهم الشخصية، والمقاييس (القياس)، لأنهم يظنون أن دين الله ناقص، فيقيسون على الأشباه النظائر مع ان الله سبحانه قال في كتابه الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، إلا أن المشكلة هي ان من اعتمد على آرائه وأهوائه ومقاييسه، تنكر لأهل القرآن الذين آتاهم الله علمه، فهم لا يأخذون بهوى ولا قياس، لأنه سبحانه قد خصهم بعمله واتاهم منه، فهم

(١) البقرة: ٢٢١.

أهل الذكر و إن إتباعهم وسؤالهم منجاة، بهم بهتدى إلى سبل الحق، وتارك علمهم، هو ممن «سبق عليه في علم الله الشقاء».

«إن الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم»، قد قبلوا الحقائق، لأنهم بمقاييسهم، جعلوا الحلال حراماً، في كثير من الأمر، والحرام حلالاً، «وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين»، وهذا نتيجة إتباع الأهواء...

ولما لم يكن من حق أحد – في حياة الرسول صلى الله عليه وآله – اللجوء إلى الأهواء والآراء والقياس، فإنه لا يحق لأحد أيضاً، بعد الرسول صلى الله عليه وآله اتخاذ هذا الطريق، طريق الهوى والمقاييس، و إلا كان من الذين عنتهم الآية التي تتحدث عن المنقلبين على أعقابهم ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾.

يقول الصادق عليه السلام:

«أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما أتاكم من الخير، وأعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن، وجعل فيه تبيان كل شيء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلا، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه، أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقاييس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه، وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله، أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم – وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم – أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه، و إلى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي

أكرمهم الله به، وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء، في أصل الخلق، تحت الأظلة[١]، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر، والذين آتاهم الله علم القرآن، ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم مقاييسهم حتى دخلهم الشيطان، لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرم الله في كثير من الأمر حلالاً، فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله ﷺ قبل موته فقالوا: نحن بعدما قبض الله عزوجل رسوله ﷺ، وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً الله ولرسوله ﷺ، فما أجد أجراً على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك، وزعم أن ذلك يسعه، والله إن الله على خلقه أن يطيعوه، ويتبعوا أمره في حاة محمد ﷺ وبعد موته، هل يستطيع أولئك، أعداء الله، أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد ﷺ أخذ بقوله ورأيه ومقاييسه، فإن قال: نعم فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً، وإن قال: لا لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه مقاييسه فقد أقر بالحجة على نفسه، وهو ممن يزعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله ﷺ وقد قال الله – وقوله الحق :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢].

٧- الله عزوجل ذاكر لمن ذكره، ودعاء المؤمنين يصيره الله لهم عملاً يثابون عليه:

---

(١) الأظلة: عالم الأرواح.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

إلا الإرتباط بالله سبحانه، هو قبل كل شيء إرتباط قائم على الوعي للكون والحياة وفهم الطبيعة الإنسانية، والشعور بالحضور أو القرب الإلهي من الإنسان، وهذا يتطلب ارتباطاً مباشراً بالخالق الرحيم بعباده، كما يتطلب توجهاً قلبياً وكيانياً إليه لا بل مخاطبته وذكره «في كل ساعة من ساعات الليل والنهار».

إن ذكرالله، والدعاء له، يعني فيما يعني أن الإنسان الداعي والذاكر، قد أرتبط بربه، ارتباطاً وثيقاً من خلال تحول قلبه إلى عرش للرحمن، كما في الخبر: «قلب المؤمن عرش الرحمن»، ولذلك فإن هذا المؤمن، الذي بلغ هذه الدرجة، لا يجد أمامه حجباً وفواصل تفصله عن أن ينادي ربه القريب المجيب، ويدعوه ويسأله، ويذكره ويرى إثرذلك بالاستجابة للنداء، والدعاء، و إن ذكرالمؤمن لربه، يقابله ذكرالله للعبد بالخير، وطوبى للذاكرين، لأن الله لهم ذاكر، والناسون للذكر، ينساهم ربهم، ومن نسيه ربه، فقد هوى، وقد قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[1].

والمهم جداً، أن يعرف الداعي لربه، أن ربه الرحيم الرحمن، والكريم المنان، يشمله بعطفه، وكرمه، وتطبق على دعائه سنة إلهية، في عالم الآخرة، تقضي بتحول الدعاء –الذي له معنى الترجي والطلب من الله لتلبية الحاجات –إلى فعل إيجابي مثمر يرضاه الله، أي إلى عمل يثاب عليه الداعي، وهذا من كرم الله وعطائه، وهل بعد هذا الكرم من كرم وهل هناك أعظم من أن يتحول الأخذ إلى عطاء، واللافعل إلى فعل، والنقص إلى فيض.

يقول الصادق عليه السلام:

«أكثروا من أن تدعوا الله، فإن الله يحب من عباده المؤمنين أن

(١) التوبة: ٦٧.

يدعوه، وقد وعد الله عباده المؤمنين بالاستجابة، والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة، فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، فإن الله أمر بكثرة الذكر له، والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين....

وأعملوا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير»...

و إذا كان من مفاعيل ذكر المؤمن لربه، أن يذكره ربه بخير، فإن الخير عند الله، لا يدركه أحد إلا إذا عمل وفق الثوانين الإلهية، والتزم طاعة الله، واجتنب ما حرم في كتابه الكريم، في ظاهره وباطنه، وترك ظاهر الأثم وباطنه، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[1].

إن إجتناب المحرمات التي ذكرها القرآن لا يكفي لوحده، فلا بد من أتباع سنة الرسول صلى الله عليه وآله وآثاره، وفي هذا طاعة الله، كما قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[2] ثم إن طاعة الله، وطاعة رسوله هي الأساس المتين، لإدراك الثواب... هي شكل عملي من أشكال الذكر الله، لا بل هي أرقى أشكال الذكر....

فمن ترك ذلك، فقد فشل في الإمتحان باتباع الأهواء والآراء الشخصية، غير المبتنية على أسس متينة، وقواعد عقلية أو شرعية وبهذا يسقط أتباع الأهواء، في مهاوي الضلال ويخسرون أنفسهم لأنهم لم يحسنوا إليها، بعمل الإحسان، بل أساؤوا لها، بفعل المعاصي، والذنوب وكانت العاقبة هي الخسران.

يقول الصادق عليه السلام:

«فأعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته فإن الله لا يدرك

(١) الأنعام: ١٢٠.

(٢) النساء: ٨٠.

شيء من الخير عنده إلا بطاعته واجتناب محارمه التي حرم الله في ظاهر القرآن وباطنه، فإن الله تبارك وتعالى، قال في كتابه -وقوله الحق- ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[1]، وأعلموا أن ما أمر الله به أن تجتنبوه فقد حرمه، واتبعوا آثار رسول الله ﷺ وسنته، فخذوا بها، ولا تتبعوا أهواءكم وآراءكم فتضلوا، فإن أضل الناس عند الله من أتبع هواه ورأيه بغير هدى من الله، وأحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[2].

٨- لا تسبوا أعداء الله، ولا تستفزوهم، فيسبوا المقدسات ويهينونها، ويسبوا الله، بسب المؤمنين:

التوجيه «ألصادقي» للمؤمنين بأن لا يحملوا الناس على رقابهم، و إنما المطلوب مجاملة الناس، ومداراتهم كل ذلك تحت مظلة طاعة الرب سبحانه والأمر الذي يحذر الصادق عليه السلام منه هو سب أعداء الله، و إسماعهم الشتيمة فيكون ذلك سبباً مباشراً لسبهم الله، عدواً بغير علم، كما جاء في كتاب الله.

والحد في ذلك، لابد من معرفته، فقد لا يشتم الأعداء الرب مباشرة، بل يسبون أولياء الله، وهذا يعني سبأ الله عزوعلا إن هذا الخلق الرفيع، الذي يقضي بعدم سب، أعداء الله، يعد من أسمى درجات الرقي النفسي لأهل الإيمان.

والذي لا يراعي هذا المبدأ القرآني، الذي يركز عليه الصادق عليه السلام، ويأمر به، يكون من أظلم الناس عند الله لأنه استسب الله ولأوليائه...

---

(١) الأنعام: ١٢٠.

(٢) الإسراء: ٧.

يقول الصادق عليه السلام:

«وجاملوا الناس ولا تحملوهم على رقابكم، تجمعوا مع ذلك طاعة ربكم، وإياكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم، فيسبوا الله عدواً بغير علم، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حد سبهم الله كيف هو؟ إنه من سب أولياء الله فقد انتهك سب الله، ومن أظلم عند الله ممن استسب ولأوليائه فمهلاً فاتبعوا أمر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٩- الهداية هي بالإقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة، وأثارهم، وقليل العمل مع الاستدامة عليه، في اتباع السنن والأثار، أرضى الله وأنفع من إتباع البدع الذي يقود إلى الضلال.

« أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم» نداء من الصادق عليه السلام لمن تولى الله ورسوله، بضرورة إنتهاج سبيل السنة، والإقتداء بآثار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة و إلا، فإن من يرغب عن ذلك يكون قد ضل الطريق فأهل البيت عليهم السلام والرسول صلى الله عليه وآله، قبلهم، هم الذين أمر الله الناس بطاعتهم، قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1].

والعمل يقوم بتوعيه، لا بكميته، فمن داوم على قليل العمل، وفق السنة والأثار، كان خيراً له، وأنفع –عند الله – في العاقبة والمال، من عمل الذين يتعبون ويجتهدون في تقديم الكثير من الأعمال، المبنية على أساس واه، نسجه عنكبوت الأهواء، والبدع والضلالات وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار.

ثم إن ركائز نيل الخير عند الله هي بطاعة الله والصبر والرضا من طاعته سبحانه وشرط الإيمان الحق:

---

(١) النساء: ٥٩.

الرضا عن الله فيما صنع إليه (أي إلى العبد)؟، وصنع به، على ما أحب وكره ويصنع الله بالراضي بذلك ما هو أهله فينال السعادة[١].

يقول الصادق عليه السلام:

«أيتها العصابة، الحافظ الله لهم أمرهم، عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسنته وآثار الأئمة الهداء من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده وسنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد أهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضل، لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل، أرضى الله وأنفع عنده في العاقبة من الأجتهاد في البدع واتباع الأهواء، إلا أن اتباع الأهواء، واتباع البدع بغير هدى من الله ضلال، وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار، ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا لأن الصبر والرضا من طاعة الله، وأعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به، على ما أحب وكره، ولن يصنع الله بمن صبر ورضي عن الله إلا ما هو آهله، وهو خير له مما أحب وكره».

١٠- عمق الأرتباط بالله تصنعه المحافظة على الصلوات، والصلاة الوسطى، وعمق العلاقة مع الناس، وخصوصاً محبة أهل المسكنة فإنها تعمق العلاقة مع الله، وتدل على إخلاص النية في الصلاة، وحب الله له، فإن عصى ربه بتحقير المساكين ومات كان من الغاوين.

نعم الكلام موجه –هنا– أيضاً للعصابة، الحافظ الله لهم أمرهم، إذ يوصيهم الصادق عليه السلام بأمرين:

الاول: المحافظة على الصلاة الوسطى، كما أمر تعالى في كتابه،

(١) أنظر للمؤلف: »في حقائق الإيمان«، حول هذا الموضوع، لمزيد من التفصيل.

والقيام الله قانتين، داعين، متبتلين، منقطعين إليه، راضين بما صنع الله إليهم، وما صنع بهم على ما أحبوا أو كرهوا...

والصلاة، هي وسيلة الاتصال النفسي –الإيماني بالله تعالى، وبها يتمكن الإنسان من بناء نفسه، فيتصل –من خلال الصلاة –بربه، وهذا هو البعد الأول للعلاقة مع الله، التي تنطلق من النفس إلى الخالق.

الثاني: أما البعد الثاني، في توثيق وتعميق العلاقة مع الرب الخلق، فهي تبدأ عن طريق بناء العلاقة الإنسانية، المنسجمة، مع الخلق، من الناس، ومع أحب شريحة من شرائح البشر إلى الرب، وهم المساكين، أحباب الله، ومن بنى علاقة سلبية معهم، كأن يتكبر عليهم، فيحقرهم، فقد زلت به قدمه، عن الصراط القويم، وكان الله حاقراً له، ومبغضاً.

ومن كانت هذه الصفة، صفة ملازمة له بحيث تدعوه لتحقير عباد الله، الذين أسلموا لربهم وأطاعوه «ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقته الناس، والله أشد له مقتاً».

وحق المساكين على «العصابة الحافظ الله لهم أمرهم» أن يحبوهم، وهذا أمر الله لرسوله ﷺ ومن فعل خلاف الأمر الإلهي، فقد أرتكب المعصية الكبرى الله ولرسوله ﷺ و إن مات على ذلك، ولم يتب قبل موته يكون قد قطع العلاقة مع ربه، بالتكبر والتحقير للمساكين، فيخسر آخرته وبئس مثوى المتكبرين.

وهذا هو البعد الثاني للإرتباط بالله سبحانه، والذين ينطلق من العلاقة مع الخلق، والنفع لهم، ومحبة الفقراء والمساكين وقربه منهم ويصل بذلك إلى الخالق «والخلق كلهم عيال الله –كما في الحديث –وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» - وهذا هو البعد الأجتماعي –الإيماني.

وبين البعدين (النفسي، الداخلي) –الإيماني، والبعد (الاجتماعي،

الإنساني) –الإيماني، أرتباط وثيق يدل على شمولية الإيمان، وعظمة الدين، ويضع أمام عصابة أهل الولاية –حزب الله «القرآني» و «الغالب» - دليل العمل الصالح، المنطلق من الوعي الكوني والحياتي والأجتماعي والنفسي..

يقول الصادق عليه السلام:

«وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا الله قانتين كما أمرالله به المؤمنين في كتابه من قبلكم و إياكم، وعليكم بحب المساكين المسلمين، فإنه من حقرهم وتكبرعليهم فقد زل عن دين الله، والله له حاقرماقت، وقد قال أبونا رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمرني ربي بحب المساكين المسلمين منهم» وأعلموا أن من حقرأحداً من المسلمين، ألقي الله عليه المقت منه، والمحقرة حتى يمقته الناس، والله له أشد مقتاً، فأتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين، فإن لهم عليكم حقاً أن تحبوهم، فإن الله أمررسوله صلى الله عليه وآله بحبهم فمن لم يحب من أمرالله بحبه، فقد عصى الله ورسوله، ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين».

١١- الحذر كل الحذر، من أمراض النفس وسيء والأخلاق:

١- إياكم والتكبر والعظمة.

٢- إياكم والبغي على الغير.

٣- إياكم والحسد.

٤- إياكم و إعانة الظالم على المظلوم.

٥- وليعن بعضكم بعضاً.

٦- إياكم و إعسار المسلم، إذ لابد من إنظاره إلى ميسرة، إن لم يكن قادراً على تسديد دينه.

٧- ضرورة التعجيل في حقوق الله، وعدم تأخيرها.

إن النفس البشرية، إذا لم تتعاهد بالتزكية والرعاية، فإنها تصاب بانحرافات، وأمراض يحتاج المرء، لكي يشفى منها إلى مجاهدة كبيرة لنفسه، والفرق بين أمراض الجسد، وهذا النوع من الأمراض المتعلقة بالنفس، أن الأخيرة يتحمل الإنسان مسؤولية الإصابة بها في أغلب الحالات، وعليه أن يبادر لمحاربتها ومواجهتها بجهاد النفس، الذي هو الجهاد الأكبر، كما وصفه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ميدانكم الأول أنفسكم فجربوا معها الكفاح**».

والخطاب، في هذا المقطع الذي سنورده، من الوصية، موجه لذات العصابة التي وصفها الصادق عليه السلام بانها المرحومة، المفضلة على من سواها.

ويأتي التحذير من مساوئ الأخلاق التي منها:

١- العظمة والتكبر:

«إن التكبر هو حالة من الإعجاب بالنفس والتعاظم على الغير، في القول والعمل». والتكبر والتعاظم علامة على الشعور النفسي، عند صاحبه، بالدونية و «الذلة يجدها في نفسه» كما يقول علي عليه السلام: «**ما من رجل تكبر أو يجبر، إلا لذلة وجدها في نفسه**»[1].

ولقد ذم سبحانه أهل الكبرياء والعظمة من البشر، لأن هذه الصفة هي من صفات الله، فهو «العظيم وهو المتكبر»، ولا يحق لبشر أن يضع نفسه في هذا الموضع «فإن الكبر رداء الله عزوجل، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة».

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) الوافي ج٣ ص ٨٧ عن الكافي.

(٢) لقمان: ١٨.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.

٢- البغي على الغير:

إن البغي وتجاوز الحدود المرسومة هو من خصال الأشرار، والله تعالى مع المبغي عليه، ومن بغى صير الله بغيه على نفسه، ونصر سبحانه من بغي عليه، ومن كان الله معه أصاب الفوز والظفر.

٣- الحسد[١]:

«وهو تمني الحاسد زوال النعمة عن المحسود، لتنتقل إليه».

أما تمني الحصول على نظير تلك النعمة، فليس حسداً، بل هو غبطة، والغبطة ليست مذمومة، وقد ورد «أن المؤمن يغبط ولا يحسد».

والحسد من أبشع الإنحرافات الخلقية، فهو شر ينبغي الإستعاذة بالله منه، كما قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[٢].

وللحسد بواعث، منها خبث النفس الداعي إلى أن يسر الحاسد بشقاء الآخرين، ويفرح لحزنهم دونما سبب والتنافس بين أرباب المصالح، والأنانية، وحب الذات والمصلحة الشخصية، رغبة في التفوق على الأقران، وحباً بالظهور، و إثبات الذات والإزدراء من الحاسد للمحسود، وأسوأ الحاسدين من أجتمعت فيه كل هذه البواعث.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحسد ياكل الحسنات، كما تأخل النار الحطب**»[٣].

(١) أنظر: الصدر السيد مهدي، أخلاق أهل البيت^، ص ٢١٥، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.

(٢) الفلق: ٥.

(٣) البحار، م١٥ ج٣، ص ١٣١.

وقال علي عليه السلام: «**ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزب لازم**»[١].

ولا شك أن الحسد يأكل الإيمان، ويحلق الدين، و «**الكفر أصله الحسد**» كما قال الصادق عليه السلام.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: «**ألا إنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنه حالق الدين، وينجي منه أن يكف الإنسان يده، ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمر على أخيه المؤمن**»[٢].

٤- إعانة الظالم على المظلوم جريمة كبيرة:

ومن الجرائم الكبيرة إعانة الظالم على المظلوم، لأن ذلك يحول المعين للظالم، إلى ظالم.

قال الصادق عليه السلام: «**العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم**».

والله عزو وعلا مع المظلوم يستجيب دعوته، إذا دعا، والواجب، في هذا المجال –أن ننصر إخواننا ظالمين أو مظلومين، وذلك بردع الظالم عن ظلمه، و إعانة المظلوم على ظالمه، كما جاء في الحديث الشريف.

٥- التعاون بين المؤمنين:

إن التعاون بين المؤمنين، ضرورة حياتية عقائدية واجتماعية، لأن الحياة –بطبيعتها –تحتاج إلى هذا النوع من التواصل الإيجابي، والتعاطي المثمر ولو أن كل إنسان انعزل عن اخيه، وحاول أن يقوم بأعماله –على أي مستوى –دون الاستناد إلى غيره، لكانت النتائج جد متواضعة، ولأثر ذلك سلباً على تقدم المجتمعات وتطورها وقد قال الشاعر:

---

(١) نفسه، م١٥، ج٣، ص ١٣١.

(٢) نفسه، م١٥، ص ١٣١.

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم لبعض و إن لم يشعروا خدموا والتعاون، الذي يعنيه الصادق عليه السلام، هو التعاون على البروالتقوى، وليس مطلق التعاون، كالتعاون على الأثم والعدوان، لذلك كان التعاون على الخيرأفضل من العبادة، في الثواب والأجرالآخروي، حتى و إن كان صيام شهرمع الإعتكاف في المسجد الحرام، وقد أختار الحديث الشريف، للمفاضلة، كما في الوصية، الصوم والاعتكاف لما فيهما من المشقة والصبرعلى الجوع والعطش والتعب، خصوصاً في مناخ مكة الحار، في أقدس الأمكنة، في بيت الله الحرام.

٦- عدم إعسار مؤمن مدين، بل إنظاره إلى ميسرة:

إن صعوبات الحياة، ومشاكلها، قد تلجئ مؤمناً للاستدانة من أخيه المؤمن، وقد تسوء به الحال، فلا يستطيع إيفاء دينه في الموعد المحدد، وهذا ما يحدو ببعض الدائنين إلى استعمال أساليب الضغط على هذا الفقير، و إعساره وعدم إنظاره وهذا خلاف الأخوة في الله، وقد أمرالله المؤمنين بأن ينظروا المعسر حتى يوسر، قال تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[1].

ومن فعل ذلك، كسب رضا الله، وأظله الله يوم القيامة بظله، يوم لا ظل إلا ظله.

٧- التعجيل في أداء حقوق الله، وعدم تأخيرها:

ومن الصفات المذمومة، قيام البعض بحبس حقوق الله، وعدم دفعها عند استحقاقها، بحيث يصبح التسويف هو الأساس، وتمرالأيام دون أن يؤدي هذا الإنسان ما عليه من حقوق الفقراء والمساكين المستحقين ومن آثار هذه الفعلة، أن الذي يؤخرحقوق الله عليه أن يعلم أن الله أقدر على تأخيررزقه، والرزق من عند الله، وعلى الله فهل هذا المؤخرلحق الله في ماله، إن أخرالله رزقه، قادر على أن يرزق نفسه؟!

(١) البقرة: ٢٨٠.

واما من يعجل في دفع حقوق الله، وفي الوقت المناسب، فإن الله يضاعف له أجره وثوابه في الدارين، وفي عاجل الأيام في دنياه، وفي مستقبل الزمان أي في آخرته، وهو أحوج ما يكون إلى هذا الأجر في تلك الساعات العصيبة...

وسنة الله في خلقه، أن يطيب لمن أدى حق الله في رزقه وماله، ما تبقى له، فيجعله طاهراً نظيفاً، غير مدنس، ويضاعف له الثواب، أضعافاً كثيرة، ووحده رب العالمين هو الذي يعلم عددها، وفضلها، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1].

يقول الصادق عليه السلام:

«وإياكم والعظمة والكبر، فإن الكبر رداء الله عزوجل، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة.

وإياكم أن يبغي بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغي عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله، وإياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإن الكفر أصله الحسد، وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم فيدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم، فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة» وليعن بعضكم بعضاً، فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «إن معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر وأعتكافه في المسجد الحرام»، وإياكم وإعسار أحد من أخوانكم المسلمين أن تعسروه بالشيء يكون لكم قبله وهو معسر، فإن أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «ليس للمسلم أن يعسر مسلماً، ومن أنظر معسراً أظله الله يوم لا ظل إلا ظله».

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

و إياكم أيتها العصابة المرحومة المفضلة على من سواها، وحبس حقوق الله قبلكم يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، فإنه من عجل حقوق الله قبله، كان الله أقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والآجل، و إنه من أخر من حقوق الله قبله، كان الله أقدر على تأخير رزقه، ومن حبس الله رزقه، لم يقدر أن يرزق نفسه، فأدوا إلى الله حق ما رزقكم، يطيب الله لكم بقيته، وينجزلكم ما وعدكم من مضاعفته لكم الأضعاف الكثيرة، التي لا يعلم عددها، ولا كنه فضله، إلا الله رب العالمين».

١٢- لا تكن من محرجي القيادة (محرجي الإمام):

من المؤسف، أنه قد تحدث في حالات، أن بعض الناس، يكون همهم نقل الكلام و «الروايات» إلى القيادة، فيسعون بأهل الصلاح من الأتباع المخلصين، ولطالما كان نقلهم للأخبار والأحاديث –عن هؤلاء المؤمنين –مغلف بخلاف الكذب، يفترون فيه على أهل التدين والإيمان، ما لم يعملوه، ليسقطوهم من عين القيادة، وليصلوا إلى مارسموه من خطط تجاههم، لشفاء غليل صدورهم، او تحقيرهم ولعل أسوأ ما في الأمر هو إحراج القيادة أمام الناس الحاضرين، فيضطر «الإمام» لاتخاذ موقف مما يقال، ويصبح الأمام (القيادة) بين أمرين:

الأول: السكوت، وعدم الرد على ما نقل، عند ذلك قد يحسب السامعون، أن هذا تقرير لما نقل، وقبول بصحة ما ذكر، من الأقوال والممارسات و إن طلب الأدلة من هؤلاء الذين ينقلون الكلام، عن المؤمنين، فقد كذب هؤلاء أمام الناس وبهذا يقع الإحراج في هذه الحال.

الثاني: أما إذا انتقد ما سمع من أقوال وأفعال، وأبدى انزعاجه منها فسينعكس ذلك على الأشخاص الذين اتهموا بأنهم فعلوها، ويؤدي إلى

إسقاطهم من أعين الناس.

والحكمة –في العادة– تقتضي أن يتبرأ «القائد –الإمام» من مثل تلك الأقوال والأعمال والتصرفات، حتى لا يظن السامعون أنها أعمال مقبولة إلا أن الخسارة واقعة لا محالة، والإحراج حاصل، في كل الحالات وكل النتائج السلبية سترتد على ناقلي هذه الأقاويل الكاذبة، وسيكونون من المطرودين من رحمة الله، يوم القيامة وإن نالوا ما سعوا إليه في دنياهم.

يقول الصادق عليه السلام:

«أتقوا الله أيتها العصابة وإن استطعتم ألا يكون منكم محرج الإمام، فإن محرج الإمام[1] هو الذي يسعى بأهل الصلاح من أتباع الإمام، المسلمين لفضله، الصابرين على أداء حقه، العارفين بحرمته، وأعلموا أنه من نزل بذلك المنزل، عند الإمام فهو محرج الإمام، فإذا فعل ذلك عند الإمام أحرج الإمام إلى ان يلعن أهل الصلاح من أتباعه من المسلمين لفضله، الصابرين على أداء حقه، العارفين بحرمته، فإذا لعنهم لإحراج أعداء الله الإمام، صارت لعنته رحمة من الله عليهم، وصارت اللعنة من الله من ملائكته ورسله على أولئك».

(١) «محرج الإمام» في الصحاح: أحرجه إليه ألجأه، وفيه: سعى به إلى الوالي إذا وشى به يعني نمه وذمه عنده يقول علي أكبر غفاري في حاشية الفروع من الكافي (ج٨، ص ٩، ط٣): «الظاهر أن المراد أن لا تكونوا محرج الإمام أي بان تجعلوه مضطراً إلى شيء لا يرضى به، ثم بين عليه السلام بأن المحرج هو الذي يذم أهل الصلاح عند الإمام، ويشهد عليهم بفساد، وهو كاذب في ذلك، فيثبت ذلك بظاهر حكم الشريعة عند الإمام، فيلزم الإمام أن يلعنهم، فإذا لعنهم وهم غير مستحقين لذلك تصير اللعنة عليهم رحمة، وترجع اللعنة إلى الواشي الكاذب الذي ألجأ الإمام إلى ذلك. أو المراد أنه ينسب الواشي إلى أهل الصلاح عند الإمام شيئاً بمحضر جماعة يتقي منهم الإمام إلى أن يلعن من نسب إليه ذلك تقية..... إلخ.

١٣- لكي تكون في حزب الله «الغالبين» المؤمنين حقاً، فعليك أن تتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وتسلم بفضلهم عند الله، ولا يتم إيمان المؤمن حتى يطبق شريعة الله وينفذ البرنامج العملي المأمور به من فعل الواجب وترك المحرم وغير ذلك.

إن سنة الله في الصالحين، منذ القديم - أن المؤمن الحق، هو من اتبع طريق الولاية الله ولرسوله وللذين آمنوا، وهو من تبرا من أعدائهم، واعترف بفضلهم العظيم عند الله، فهم مع المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا بعض بفضلهم.

إن هذه السنة الإلهية تشكل القاعدة الأساس، ولا يتم الله للمؤمن إيمانه –ليكون من حزب الله الغالبين– حتى يفي الله بشروطه، التي هي –بالإضافة إلى القاعدة –الأساس –أي (الولاية الله ولرسوله ولائمة المؤمنين)...

١- إقام الصلاة.

٢- إيتاء الزكاة.

٣- إقراض الله قرضاً حسناً.

٤- إجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكافة المحرمات الداخلة تحت هذا العنوان.

فإن فعل ذلك، والتزم به كان من المؤمنين حقاً، وعند الله في حزب الله، الذي يعرف أعضاءه وأنصاره الفعليين، رب العالمين، المطلع على السرائر، العالم بالأسرار.

يقول الصادق عليه السلام:

«واعلموا أيتها العصابة أن السنة من الله قد جرت في الصالحين قبل، وقال: من سره أن يلقى الله وهو مؤمن (حقاً) فليتول الله ورسوله والذين

آمنوا وليبرء إلى الله من عدوهم، ويسلم لما أنتهى إليه من فضلهم، لأن فضلهم لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا من دون ذلك، ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل اتباع الأئمة الهداة، وهم المؤمنون، قال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1]، فهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمة، فكيف بهم وفضلهم، ومن سره أن يتم الله له إيمانه حتى يكون مؤمناً حقاً، فليف الله بشروطه التي اشترطها على المؤمنين، فإنه قد اشترط مع ولايته وولاية رسوله وولاية أئمة المؤمنين، إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و إقراض الله قرضاً حسناً، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فلم يبق شيء مما فسر مما حرم الله، إلا وقد دخل في جملة قوله[2]. فمن دان الله فيما بينه وبين الله مخلصاً لله، ولم يرخص لنفسه في ترك شيء من هذا، فهو عند الله في حزبه الغالبين، وهو من المؤمنين حقاً».

١٤- من علامات المؤمن الحق عدم الإصرار على فعل ما حرم الله:

إن «العصابة المفلحة» كما يعبر الصادق عليه السلام، من حزب الله الغالبين، أهل الولاية لله ولرسوله والأئمة المؤمنين، من صفاتهم أنهم إن أخطأوا في تطبيق برامجهم العملية «الإلهية»، فانقصوا أو زادوا، أو ارتكبوا شيئاً مما حرم الله، في ظهر القرآن وبطنه، ومما ظهر من الفواحش وما بطن، أو نسوا أو أهملوا شيئاً من شروط الله عليهم، بتسويل أنفسهم لهم المعصية تذكروا ربهم، وواجباتهم واستغفروا الله من ذنوبهم، ونووا -نية صادقة- عدم العود إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3].

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) أي من الفواحش.

(٣) آل عمران: ١٣٥.

ومن لم يلتزم بالبرامج الإلهية، في الواجبات والنواهي، فإنه يكون قد فاته الخير كله، و إن مات قبل أن يتوب كانت النار مثواه.

يقول الصادق عليه السلام:

«و إياكم والإصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد قال الله تعالى ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، يعني المؤمنين قبلكم إذا نسوا شيئاً مما اشترط الله في كتابه عرفوا أنهم قد عصوا في تركهم ذلك الشيء فاستغفروا ولم يعودوا إلى تركه فذلك معنى قول الله عزوجل: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

وأعلموا أنه إنما ونهى ليطاع فيما أمر به ولينتهى عما نهى عنه، فمن أتبع أمره فقد أطاعه، وقد أدرك كل شيء من الخير عنده، ومن لم ينته عما نهى الله عنه فقد عصاه، فإن مات على معصيته أكبه الله على وجهه في النار».

لكي تكونوا مؤمنين حقاً حقاً، اجتهدوا في طاعة الله وطاعة رسوله، وطاعة ولاة الأمر من آل محمد صلى الله عليه وآله:

إن بعض البسطاء من المتدينين يظنون، أنهم غن لجؤوا إلى من يعتقدون أنه يغني عنهم من الله، كالملائكة العظام، أو نبي من الأنبياء، أو رسول من رسل الله، يمكن ان ينفعهم ذلك ولكن هؤلاء قد وقعوا في الوهم، لان أحداً لا يغني عنهم من الله شيئاً والواضح أن هؤلاء فهموا مبدأ الشفاعة فهماً مغلوطاً، بحيث انهم قرأوا المسالة بشكل معكوس «فمن سره –كما يقول الصادق عليه السلام- **إن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه».**

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

ولا يرضى الله عن عبد حتى يطيع ربه، فلا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون، ولا من دون ذلك من خلق الله، كل الخلق، يمكن أن يكون بينه وبين الله، أو بين أحد من هؤلاء، وكافة خلقه، إلا الطاعة الله سبحانه فهو رب الخلق «**فعليكم بطاعة ربكم ما استطعتم**»، كما يقول الصادق عليه السلام.

ومن أراد أن يكون مسلماً حقاً، فليعلم أن الإسلام هو التسليم الله، «بالعقل والقلب والجوارح» وفي كل مجالات الحياة ومنها النشاط الفردي والاجتماعي للإنسان، فمن سلم الله أمره وكيانه وحياته، فقد أسلم، و إلا فإنه لم يبلغ ذلك، وكان إسلامه إسلاماً، في الظاهر، لا في الواقع.

ولكي يكون إسلام المرء، خالصاً، وواقعياً، ومن أجل أن يحصل ما يصبو إليه من الفائدة، بالإحسان إلى نفسه في شتى الأمور، فليس أمامه إلا الطاعة، والطاعة فقط الله عزوجل «فإنه من أطاع الله فقد أبلغ إلى نفسه الإحسان» والعكس صحيح، لان من ركب المعاصي «فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه» ووصل في هذه الإساءة إلى أقصى الدرجات. ولا يظن أحد أنه يستطيع أن يكون حيادياً بين الإحسان والإساءة، والطاعة والمعصية، فمن أخذ موقف الحياد بين الحق والباطل، كان من أنصار الباطل، بخذلانه للحق.

إن فكرة «المنزلة بين المنزلتين» فكرة خاطئة، «فلأهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار».

ونيل الشفاعة، هو بإصابة رضا الله، ورضا الله لا يدرك إلا:

١- بطاعة الله سبحانه.

٢- وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- وطاعة ولاة الأمر من آل محمد ﷺ وعدم معصيتهم، أو إنكار فضلهم. وبهذا يغدو الحب للرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام، بلا التزام وعمل، غير نافع لأصحابه إن لم يقترن بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وأولي الأمر وقد قال الشاعر: «إن المحب لمن أحب مطيع».

قال الصادق عليه السلام:

«وأعملوا أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك من خلقه كلهم، إلا طاعتهم له، فاجتهدوا في طاعة الله إن سركم أن تكونوا مؤمنين حقاً حقاً، ولا قوة إلا بالله.

وعليكم بطاعة ربكم ما استطعتم فإن الله ربكم.

وأعلموا أن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو الإسلام، فمن سلم فقد أسلم، ومن لم يسلم فلا إسلام له، ومن سره أن يبلغ إلى نفسه في الإحسان، فليطع الله فإنه من أطاع الله فقد أبلغ إلى نفسه في الإحسان، وإياكم ومعاصي الله أن تركبوها فإنه من انتهك معاصي الله فركبها فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه وليس بين الإحسان والإساءة منزلة، فلأهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار، فأعلموا بطاعة الله واجتنبوا معاصيه، وأعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سره أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه.

وأعلموا أن أحداً من خلق الله لم يصب رضي الله إلا بطاعته، وطاعة رسوله وطاعة ولاة أمره من آل محمد ﷺ، ومعصيتهم من معصية الله، ولم ينكر لهم فضلاً عظم أو صغر».

١٥- ليحذر أهل الحق من محاولات أهل الباطل الهادفة لا ستقطابهم إلى صفوفهم وليحذروا أيضاً من اتخاذ أعداء الله اولياء وأنصاراً وليحافظوا

على إستقلاليتهم عن أهل الباطل، على مستوى الخصوصيات الإيمانية...

الحذر من استقطاب المبطلين لأهل الحق والدين:

إن المشكلة هي في الأساس مع المنكرين للمبادئ الحقة، الذين كذبوا فنافقوا، فكانوا «في الدرك الأسفل من النار».

«وعلى الذين ألزم الله قلوبهم طاعته وخشيته» أن لا يخشوا ولا يفرقوا من أولئك الذين أخرجهم الله من سجل المحقين، ونزع عنهم صفة الحق، نتيجة أعمالهم الشريرة، فأولئك هم من «حزب شيطاطين الأنس والجن».

وعلى وجه الخصوص فإن لشياطين الإنس أساليب يتبعونها، من مكروخداع وحيلة، إضافة إلى الوسوسات من بعضهم للبعض الآخر، وهدفهم إستقطاب أهل الإيمان والحق، إلى صفوفهم، فينكرون ما أنكروا، ويكذبون كما كذبوا، وبهذا يفرح شياطين الإنس، عندما يتحول أهل الحق عن حقهم، ويظنون أنهم بذلك قد حققوا انتصاراً على الحق.

الحذر من تولي أعداء الله واتخاذهم انصاراً:

إن الحق –بحد ذاته– يملك عناصرقوته، التي تحقق له الإنتصار، إن توفرت له شروط النصر، ومن أهم شروط النصر، عدم لجوء «أهل النصر بالحق»، إلى مساعدة ونصرة أهل الباطل، فإن لهؤلاء مكراً، ولن يخلصوا للمحقين، بل دابهم التخذيل و إقناع المؤمنين بلا ضرورة المواجهة مع الباطل، وفائدة التراجع عن المبدأ!!

وينبغي على «أهل النصر بالحق» أن لا يأخذوا الأمور ببساطة، فيتعاملون مع هؤلاء الشياطين بهدف «دفع السيئة بالتي هي أحسن» تقرباً إلى الله، بل عليهم أن يعملوا، أن شياطين الإنس، يمكرون بهم.

ولهذا (فإن) على أهل الحق، أن يحذروا من إطلاع المبطلين، من

شياطين الإنس، على أمورهم العقيدية الخاصة، التي يمكن استغلالها من قبل هؤلاء، فيعادوا المؤمنين على ذلك، ويجعلونه حجة لمحاربتهم والعدوان عليهم وهنا لابد من تقديرذكي لما ينبغي إعلانه أو التكتم عليه من الأمور والمبادئ والتوجيهات والتوجهات.

المحافظة على الإستقلالية الذاتية، وعلى الخصوصيات في العلاقة مع أهل الباطل:

إن «أهل النصربالحق» قد أعطاهم الله منزلة، ولا ينبغي لهم التنازل عن منزلتهم التي حياهم الله، فينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل، لأن الله لم يجعل الفريقين بمنزلة سواء، وهذا يعني، المحافظة على كيان إيماني، مستقل عن تشويشات وتشويهات، وأفكار وممارسات أهل الباطل، حتى لا يتأثر مجتمع المؤمنين بما يشيعون، ويعملون من أباطيل ومساوئ.

وأي تساهل في هذا المجال، يجعل المبدأ كله تحت رحمة المنافقين والمبطلين، وتصل إساءتهم إلى كل تفاصيل ومفاصل العقيدة الإلهية، إذ ينتهك هؤلاء –في حال أفسح لهم في المجال– كل مجالاتنا المبدئية والعقيدية –الإيمانية وفي هذا غضب الله والهلاك.

ونستنتج أنه ينبغي على المؤمنين الواعين، أن لا يأخذوا بالدعايات الفارغة لأهل الباطل، ولا بالإغراءات التي يقدمونها للمؤمنين بغية النفاذ إلى عمق الحقيقة الدينية (عاطة الله والرسول| والأئمة عليهم السلام) فيصبح الدين عرضة للمبطلين.

يقول الصادق عليه السلام:

«وأعلموا أن المنكرين هم المكذبون، وأن المكذبين هم المنافقون، وأن الله عزوجل قال المنافقين –وقوله الحق– ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ

﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[١] ولا يفرقن[٢]، أحد منكم ألزم الله قلبه طاعته وخشيته من أحد من الناس ممن أخرجه الله من صفة الحق، ولم يجعله من اهلها، فإن من لم يجعله الله من أهل صفة الحق، فأولئك هم شياطين الإنس والجن، و إن لشياطين الإنس حيلة ومكراً وخدايع ووسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم الله به، من النظر في دين الله، الذي لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله، إرادة أن يستوي أعداء الله وأهل الحق في الشك والأنكار والتكذيب، فيكونون سواء كما وصف الله تعالى في كتابه من قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[٣]، ثم نهى الله أهل النصر بالحق أن يتخذوا من أعداء الله ولياً ولا نصيراً، فلا يهولنكم ولا يردنكم عن النصر بالحق، الذي خصكم الله به من حيلة شياطين الإنس، ومكرهم من أموركم، تدفعون أنتم السيئة بالتي هي أحسن فيما بينكم وبينهم، تلتمسون بذلك وجه ربكم بطاعته وهم لا خير عندهم، لا يحل لكم أن تظهروهم على أصول دين الله، فإنهم إن سمعوا منكم فيه شيئاً عادوكم عليه ورفعوه عليكم، وجهدوا على هلاككم، واستقبلوكم بما تكرهون، ولم يكن لكم النصفة منهم في دول الفجار، فاعرفوا منزلتكم فيما بينكم وبين أهل الباطل فإنه لا ينبغي لأهل الحق أن ينزلوا أنفسهم منزلة أهل الباطل لأن الله لم يجعل أهل الحق عنده بمنزلة أهل الباطل، ألم يعرفوا وجه قول الله في كتابه إذ يقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[٤]،

(١) النساء: ١٤٥.

(٢) الفرق: الخوف أي لا يخافن.

(٣) النساء: ٨٩.

(٤) ص: ٢٨.

أكرموا أنفسكم عن أهل الباطل، ولا تجعلوا الله تبارك وتعالى –وله المثل الأعلى– وإمامكم ودينكم الذي تدينون به عرضة[1]، لأهل الباطل فتغضبوا الله عليكم فتهلكوا».

١٦- أدب الله ورسوله والأئمة الهداة: أحبوا في الله وأبذلوا نصيحتكم لأهل الإيمان، وعادوا في الله ولا تبذلوا مودتكم ونصيحتكم لمن عاداكم بسبب عقيدتكم ومنهجكم.

يتوجه الصادق عليه السلام إلى أهل الصلاح قائلاً: «مهلاً مهلاً» وفي هذا الاستمهال إشارة إلى أهمية الطلب، وضرورة الإنتباه للآثار والنتائج...

فالطلب من هؤلاء هو عدم ترك أمر الله وأمر من أمرهم بطاعته (الرسول والأئمة عليهم السلام)، فإن نتيجة هذا الترك هو تغيير النعمة وزوالها ومن مصاديق هذه النعمة، نعمة وحدة المجتمع الإيماني، وما في ذلك من سعادة وراحة نفسية لأفراد هذا المجتمع.

وشرط المحافظة على هذا البناء الأجتماعي المتماسك للمؤمنين، هو المحبة في الله، للذين يعتقدون بما يعتقدون، ويطبقون المنهاج المرسوم من قبل الله ورسوله، وهذا الإنسجام العقيدي، ينبغي أن يترجم إنسجاماً إجتماعياً، وتواصلاً حياتياً، ومحبة مخلصة لا تشوبها شوائب المصالح المادية، بل تعمقها الروابط النفسية و «الروحية».

وأما الذين يخالفونكم في الإعتقاد والإيمان والسلوك والنهج، ممن «لا يصفون صفتكم»، (فبغضهم في الله)، وعدم مودتهم، والتعاون معهم، او إعانتهم على تنفيذ مخططاتهم ومشاريعهم التي تصب عادة في مصب مصالح أعداء الله، والمنحرفين عن خط الرسالة الإلهية السحاء يعتبر من الضروريات وكون هؤلاء يرغبون عن صفتكم، ويعادونكم لأنكم

(١) العرضة: يقال جعلته عرضة لكذا أي نصبته له »وهو عرضة للناس« أي لا يزالون يقعون فيه.

تؤمنون بما ينكرون، وتسلكون الطريق القويم، وتطيعون «أمر الله وأمر من أمركم بطاعته» فأعلموا أنهم يدبرون لكم المكائد، «ويبغون لكم الغوائل».

إن أدب الله، وأدب رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هو الأخذ بما بحاجة إلى تفهم وتعقل، وبعد ذلك ينبغي الحذر من نبذه وراء الظهور، فهو طريق النجاة، من شتى المساوئ والانحرافات.. وخصوصاً التجبر على الله تعالى، وعدم إطاعته، و إطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، لأن من تجبر على الله وعصاه فقد تجبر على دين الله، وليكن رائدكم وهدفكم الأسمى، هو لاستقامة الله، وقد قال تعالى ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[1]، ومن لم يستقم كما أمره الله ولله، إرتد على عقبيه خاسئاً، خاسراً، فاستجيروا بالله من التجبر على الله، وأطلبوا منه أن يمنحكم القوة لصنع ذلك، والإقامة عليه (ولا قوة إلا بالله).

يقول الصادق عليه السلام:

«فمهلاً مهلاً يا أهل الصلاح، لا تتركوا أمر الله وأمر من أمركم بطاعته، فيغير الله ما بكم من نعمة، أحبوا في الله من وصف صفتكم، وأبغضوا في الله من خالفكم، وأبذلوا مودتكم وتصيحتكم (لمن وصف صفتكم) لا تبتذلوها لمن رغب عن صفتكم وعاداكم عليها، وبغا لكم الغوائل، هذا أدبنا أدب الله فخذوا به وتفهموه واعقلوه ولا تنبذوه وراء ظهوركم، ما وافق هداكم أخذتم به وما وافق هواكم طرحتموه ولم تأخذوا به. و إياكم والتجبر على دين الله، فاستقيموا الله ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، أجارنا الله و إياكم من التجبر على الله، ولا قوة لنا ولكم إلا بالله».

---

(١) هود: ١١٢.

١٧- تصبير النفس على البلاء والشدة في طاعة وولاية الله وولاية من أمر بولايته خير عاقبة في الآخرة من ملك الدنيا:

وينصح الصادق عليه السلام في وصيته لأهل الصلاح، أن يسألوا الله العافية، فإن الحول والقوة لا يكونان إلا بالله وكل إنسان بحاجة إلى هذا الحول، وهذه القوة الممنوحة من الله، من أجل الهدف الأسمى، وهو تحصيل رضا الله، وخير العاقبة عند الله في الآخرة.

ولا بلوغ لهذا الهدف إلاّ بتصبير النفس على البلاء الدنيوي، من أهل الدنيا، لإلتزامهم بمنهج الطاعة الله، والولاية له سبحانه ولمن أمر بولايتهم، وهم الأئمة عليهم السلام الذين سماهم الله في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]، وهؤلاء الأئمة هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، إن الإستمساك بهذه العروة الوثقى خير عند الله من ملك الدنيا، ونعيمها ونضارة العيش فيها، إذا كان ذلك في معصية الله وولاية الظلمة الذين تسلطوا على رقاب الناس ظلماً وقهراً، وكان لهم دول على أولياء الله، الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله، فحق عليهم العذاب الإلهي بمعصيتهم الله ولرسوله صلى الله عليه وآله.

والمؤمن ينبغي أن يتخذ العبرة، من كتاب الله، فيتدبر ويتفكر فيما قص الله على الناس من قصص النبيين، وما جرى لهو عليهم وعلى المؤمنين من اتباعهم وهؤلاء يشكلون القدوة الصالحة، من جهة الهدى والوقار والسكينة والحلم والتخشع والورع عن محارم الله والصدق والوفاء والاجتهاد الله في الطاعة، والأقتداء بهؤلاء في مسلكيتهم الإيمانية الظاهرة، هو طريق النزول عند الرب «منزلة الصالحين» من قبل.

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

يقول الصادق عليه السلام:

«سلوا الله العافية، وأطلبوها إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله، صبروا النفس على البلاء في الدنيا، فإن تتابع البلاء فيها والشدة في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته خير عاقبة عند الله في الأخير من ملك الدنيا، و إن طال تتابع نعيمها وزهرتها وغضارة عيشها في معصية الله، وولاية من نهى الله عن ولايته وطاعته، فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم الله في كتابه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1]، وهم الذين أمر الله بولايتهم وطاعتهم، وهم أئمة الضلالة الذين قضى الله أن يكون لهم دول في الدنيا، على أولياء الله، الأئمة من آل محمد، يعملون في دولتهم بمعصية الله ومعصية رسوله، ليحق عليهم كلمة العذاب وليتم، أن تكونوا مع نبي الله محمد صلى الله عليه وآله والرسل من قبله، فتدبروا ما قص الله عليكم في كتابه مما ابتلى به أنبياءه وأتباعهم المؤمنين، ثم سلوا الله أن يعطيكم الصبر على البلاء في الصراء والضراء والشدة والرخاء مثل الذي أعطاهم، و إياكم ومماظة[2]، أهل الباطل وعليكم بهدى الصالحين ووقارهم وسكينتهم وحلمهم وتخشعهم وورعهم من محارم الله وصدقهم ووفائهم وأجتهادهم الله في العمل بطاعته، فإنكم إن لم تفعلوا ذلك لم تنزلوا عند ربكم منزلة الصالحين قبلكم».

١٨- المسلمون حقاً هم من شرح الله صدورهم للإسلام وأنطق ألسنتهم بالحق، وعقدت قلوبهم عليه، فعملوا به....

ينبغي على «أهل الصلاح» أن يعلموا:

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) مماظة أهل الباطل: المخاصمة والمشائمة، يقال تماظ القوم تخاصموا وتشائموا أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

إن الله إذا أراد بعبد أخيراً شرح صدره للإسلام، ولكن متى يريد الله بالعبد خيراً؟

إن الله يريد الخير – في الأصل بجميع عباده – ولكن نظراً إلى أنه وهب الإنسان العقل والحرية في الأختيار والإرادة، فإن الإنسان نتيجة أعماله وتصرفاته المبنية على إرادة صممت وعزمت، على فعل الخير، وأنطلقت على أساس وعيها للحياة والكون، وخضوعها لمصدر الحياة، وخالقها، قضت السنة الإلهية في الخلق، بأن يشرح صدر عبده للإسلام، الذي يعني التسليم الله في كل شيء، وبهذا ينور الله قلبه، بنور الإسلام وضياء الحق، فيعقد قلبه على معرفة الله ومحبته، والإيمان به وينطق لسانه بهذا الحق، فيعمل وفق ما أملته معرفته الله وللحق، الذي أنزله على أنبيائه ورسله. فيتم بذلك إسلامه الله، فإذا انقضت أيامه من الدنيا، وانتقل إلى عالم الآخرة بالموت كان عند الله، على ذلك الحال، من المسلمين حقاً.

و إذا لم يرد الله بعبد خيراً لأنه هو لم يرد لنفسه الخير، فتراه يستعمل ما وهبه الله من عقل وحرية إختيار و إرادة، في غير هدى الله، وينسى ربه فينساه ربه، ويتركه ويكله لنفسه (وكان صدره ضيقاً حرجاً) و إذا تكلم بكلمة الحق، وشهد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداًص رسول الله، ولم يعقد قلبه على هذه الشهادة، بل كان الأمر مجرد ألفاظ أطلقها، وهو لا يعتقد بها إن من كان امره كذلك، فإنه لا يملك الاستعداد للتطبيق والعمل، بل إنه يقول ما لا يفعل وأن استمر على هذه الحال، فإن السنة الإلهية تقضي أن يرد الله به غير الخير، كونه هو الذي أختار هذا الطريق فإن مات، وهو على هذه الحال بدون نوبة و إيمان واقعي قبل الموت، مات منافقاً وصار ما كان يردده من شعارات الإيمان، في الدنيا ولم يعمل به حجة عليه.

ومن أراد أن يعرف أن الله يحبه، وكان ذلك يسره، فليعمل بطاعة الله، وليتبع أئمة الهدى عليهم السلام ومن اطاع الله حقاً، فإنه لابد أن يدخل الله عليه أن الطاعة الله، طريقها هو إتباع الهداة من أئمة اهل البيت عليهم السلام، و إذا لم يحصل ذلك عنده، فليعلم أنه يتبع غيرسبيل الله.

ومن اتبع أئمة الهدى أحبه الله حتماً، ومن ترك إتباع الأئمة عليهم السلام دخل بغضهم في قلبه ووقع في المعصية العظمى الله تعالى ومن مات عاصياً الله، غيرمتبع لأئمة الرشاد أكبه الله على وجهه في النار ولحقه الخزي والعار.

يقول الصادق عليه السلام:

«وأعلموا أن الله إذا أراد بعبد خيراً شرح صدره للإسلام فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحق، وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه وكان عند الله، إن مات على ذلك الحال، من المسلمين حقاً، و إذا لم يرد الله تعالى بعبد خيراً، وكله إلى نفسه، وكان صدره ضيقاً حرجاً، فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، و إذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به، فإذا اجتمع ذلك عليه فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام، وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم، وأنتم على ذلك، وأن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين قبلكم، ولا قوة إلا بالله، والحمد الله رب العالمين.

من سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]، والله لا يطيع الله عبد أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته إتباعنا، ولا والله لا يتبعنا عبد أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته إتباعنا، ولا والله لا

(١) آل عمران: ٣١.

يتبعنا عبد أبداً إلا أحبه الله، ولا والله لا يدع أحد غتباعنا أبداً إلا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلا عصى الله، ومن مات عاصياً الله أخزاه الله وأكبه على وجهه في النار، والحمد الله رب العالمين» أ. هـ

الفصل الخامس:

الثورة الإسلامية في إيران
النموذج القدوة
لثورات المستضعفين في عصرنا الحاضر

مع قائد ومفجر
ثورة المستضعفين الإمام الخميني قدس سره

«الذين ينسجون خيوط الفجر لا يعرفون الغروب»

«لؤي أراغوز»

هكذا تحدث الإمام قدس سره

ويشع الثور الساطع من وراء حجب الظلمة الظلماء ولا عجب فإن الظلمة تشتد قبيل طلوع الفجر.... ويزرع في أعماق قلوب المستضعفين.. الأمل والسلام.... ويفجر إمام الثائرين.. وشمس المتغيرين... وكعبة الأحرار... وقمر السالكين إلى الرب الكريم... ينبوع التغيير... من صخرة الركود والجمود... ذاك روح الله يضرب بعصا الثورة... الصخرة الصماء...

فتثمر الثورة انتصاراً... وازدهاراً.... الصخرة الآثار.... وجرائم الاستكبار... والدمار... ويتحقق... حلم النبيين.... والأوصياء الأبرار.... ورؤى العلماء... وتزهر دماء الشهداء... وترسم الدماء على خارطة الصراع.... خطاً جديداً.... قديماً كشف عنه الخميني الإمام.... غبار الأيام... واماط اللثام فبدا الإمام.... غبار الأيام... وأماط اللثام... فبدا

اللدنى... في أجلى الصور... وأبهى بهاء... وتنتصر ثورة الأحرار... بدماء الشهداء وصبر المجاهدين... فتهدم... وتبني... وتخفض وترفع صروح العدل والرحمة.... وتحطم عروش المستكبرين... وتحرق أعلام الكافرين

ويعود القرآن من جديد.... حاملاً راية التغيير... على يد ورثة الانبياء... و إمام المعطاء.... شمس المغيرين... وقمر السالكين.... الخميني الموسوي روح الله كعبة الأحرار.... ثم يرحل الإمام... إلى الرب الكريم...

ويقود سفينة الثورة.... ربان همام... وعنه قال الإمام:

«إنه كالشمس تسطع بالنور».

«ولن تجدوا مثل الخامنئي» قائداً للمسيرة... وترتفع رايات قم فوت القباب مناجية رايات بدر وخيبر....

ويعلو صوت المقاومين.... في عاملة.... في القدس... في أرجاء فلسطين... صارخاً بالناس:

الله أكبر، لقد غدا لنا في كل بلد في كل واد... في كل أرض... علم أخضر كتب عليه باللون الأحمر.

بدماء الشهادة.... وشهادة الدماء:

«وكان الأنتصار».... نعم لقد تم الإنتصار...

وتصنع الثورة ملحمة التاريخ المضيء.... بشموع العطاء... والسخاء بالأرواح... وبالقبضات العلوية.... المهدوية.... والصرخات القوية.... القوية.... تتحدى كل جبار وطاغوت.... ويطرد امام عيون التاريخ والزمان..... شاه المستكبرين.... ويهرب ويضيع.... ويضيع وحتى

الشيطان يرفضه.... ويلفظه.... ويطرده وأخيراً يسدل الستار.... على «إمام ضلال» وفسق ونفاق.... وهو لا يدري كيف يموت لقد ضاقت عليه الأرض والبلاد ثم مات حقاً لقد مات وقبر بلا مراسم ولا إحتفالات.. و إذا بعرض الطاووس.... يندب حظ كل فرعون... نام قبوراً على دروب الثائرين... ينفث في روع المستضعفين.... أحلام المستكبرين... و إذا به يتذكر... أيام زمان أيام العز والسلطان.... فكم صرخ وعربد وقتل الأبرياء وقيد... وسجن الثوار وعذب الأحرار.... وهو اليوم في قبره أمام مصيره الأسود... يصرخ يا لتعاسة المستكبرين... والطواغيت....

ويسدل الستار من جديد ويطل أبطال الخير.... من وراء الستار الخميني الإمام والقائد الخامنئي وكل فرسان الثورة، وأشاوس المقاومة والجهاد ويحملون قناديل الثور.... ومصابيح الهداية..

لقد انتصرنا و إنتصر الشهداء... وبالدماء كتبت لوحة النصر ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.

«أما سر بقاء الثورة فهو نفس سر النصر»..

.هكذا تحدث الإمام هكذا تحدث الإمام...

إنه صاحب العقل الجبار:

إن شخصية الأمام الخميني قدس سره ليست شخصية عادية، إنما الشخصية الإسلامية في أعلى مستوياتها، وفي أبلغ صورها، واعظم وجوهها فالإمام الخميني قدس سره ابن الإسلام، وقد تربى في مدرسة القرآن، ودرس في «جامعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله»، يرشف من رحيق العلم المحمدي، ويتغذى بغذاء النهج العلوي الحسيني، حتى بلغ ما بلغ من سمو المقام، ورفعة المستوى في العلم، كل ذلك بفضل ما أنعم الله عليه، وما كرمه به من عقل جبار، قادر على

الغوص لاستخراج درر العلم من بحارها، وصياغتها صياغة فريدة، بأسلوب يجعل المعنى بارزاً، جلياً، ويسمح لكل من يتوجه بانتباهه لفهم المقصود أن يتفيأ ظلال المعاني القدسية المنيرة التي تشرق، و إذا بالعقل تتفتح لتسعى في معارج الكمال، العلم والعرفان، والفلسفة، والفقه، والإيمان، وتزكية النفوس.

إنه الإمام صاحب العقل الكبير، الذي أخلص للرحمن وطلب رضاه واستعان به في كل أن، وهو صاحب القرار الحاسم، وهو الذي عزم وتوكل، «ولا شيء فوق عقله، ولا يوازي دينه شيء، لأن الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له ولأن العقل، كما في الأحاديث، آله المؤمن وعدته ومطيته، وهو غاية العبادة، وراعي العابدين وبضاعة المجتهدين، وعمارة الآخرة، وفسطاط المسلمين»، كما يقول النبي الأمين صلى الله عليه وآله.

أجل إن «**العقل مركب العلم ورسول الحق، وملاك الأمر والدين، ومصلح كل أمر وأقوى أساس، وحسام قاطع، وكل إنسان بعقله وثمرته لزوم الحق، وبه يستعان على الدهر، وهو إمام الأفكار، والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس، والحواس آئمة الأعضاء، وفقد كل شيء يفتفر، إلا فقد العقل والدين، لأن مفارقة الدين مفارقة الأمن، فلا يتهنأ بحياة مع مخافة، وفقد العقل فقد الحياة، ولا يقاس فاقد العقل إلا بالأموات**» كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام.

و «العقل ضوء الروح، في حين أن ضوء الجسد في عينه، فإذا كان البصر مضيئاً إستفاد الجسد كله، و إذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، و إذا كان عالماً بربه أبصر دينه، و إن كان جاهلاً بربه، لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية، كذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل، كما يقول الكاظم عليه السلام،

وهكذا فإن أعظم كرامة للإمام ﷺ ونعمة أنعمها الله عليه هي عقله وتوكله على خالقه، وعزمه، وحزمه، وحلمه، وعلمه، ولا قوام لذلك كله إلا بالعقل وقد ثبت، بواضح البرهان، أن الإمام الخميني ﷺ صاحب العقل الجبار صانع ثورة الأحرار التي أسقطت عرش طاووس، وملك الملوك.

عصر الإمام الخميني ﷺ:

إن هذا العقل الكبير هو الذي أمسك بيد المستضعفين والمظلومين من الشعب الإيراني، ليحقق لهم الانتصار على دولة الباطل والشر، وليقيم جمهورية الخير والإنسانية، وكان للعقل (الخميني) التأثير الأكبر على مجريات الأحداث، وقد أشار السيد القائد الخامنئي إلى ذلك، عندما أعتبر أن هذا العصر هو عصر الخميني (رضوان الله عليه).

يقول الإمام الخامنئي:

«لقد بدا عصر جديد ذو خصائص متميزة عن العصور التي مربها العالم من قبل، وكان بدء هذا العصر الجديد، متجسداً في ظهور الثورة الإسلامية في إيران، و إقامة نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم.

لقد أدركت كل الأبصار النافذة –منذ البدء –أنه، وبانتصار هذه الثورة العظمى، بدأ عصر جديد، وهذا العصر يجب أن يطلق عليه «عصر الإمام الخميني»، وسماته وملامحه عبارة عن يقظة الشعوب وانتشار الصحوة فيما بينها، وجرأتها وثقتها بنفسها، في قبال منطق التسلط وهيمنة القوى الكبرى، وكسر أصنام القوى الظالمة، وتنامي جذور القدرة الواقعية لنبي الإسلام، وبروز القيم المعنوية الإلهية».

إنها ثورة المستضعفين في العالم و «العصر عصر المستضعفين في العالم»

إن الإمام الخميني ﷺ وجه نداءه إلى جميع المستضعفين في العالم للوقوف بوجه الطغاة والإلتحاق بركب الثورة الإسلامية المباركة، التي هي ثورة المستضعفين، في كل مكان، وقد قال ﷺ:

«إخواني الشجعان الذين ثرتم من أجل اوطانكم حذروا شعوبكم، وطهروا العقول من رواسب الدعايات التي امتدت مئات السنين، ومن الخضوع أمام الغرب والمستكبرين، والتحقوا بثورتنا التي هي ثورة إسلامية، وثورة المستضعفين، فإن الإسلام العزيز واقع اليوم أمام الكفر وأمام منطق الباطل».

ولطالما ردد الإمام الخميني ﷺ أن هذا العصر هو «عصر المستضعفين في العالم».

ويقول ﷺ: «إن ثورتنا إسلامية قبل أن تكون إيرانية إنها ثورة المستضعفين، في العالم».

«أيها المسلمون، وأيها المستضعفون الثائرون، وأيها البحر اللامتناهي من البشر إنهضوا ودافعوا عن كرامتكم الإسلامية والوطنية» إن إسرائيل اغتصبت القدس من المسلمين، لا زالوا قاعدين يتفرجون ولا يهتمون قوموا ودافعوا عن مركز الوحي ونحن باتباعنا الإسلام العظيم نساند جميع المستضعفين في العالم لإنقاذ أوطاننا».

ثورة الإمام الخميني ﷺ إمتداد للنهضة الحسينية:

لقد تحدث القائد السيد الخامنئي عن هذه الحقيقة فقال:

«من الواجب أن نتبين وندرك نهضة الإمام الخميني إنطلاقاً من الشعور بأنها أمتداد لنهضة عاشوراء ذلك أن ثورة سيد الشهداء عليه السلام هي حدث عظيم تخطى حدود زمانه، لذا فقد كان الإمام الراحل ﷺ مؤمناً

منذ بداية نهضته أن الشعب سوف يلتحق بصفوف الثورة الإسلامية، وقد استغل الإمام الخميني ﷺ مراسم عاشوراء إلى الحد الأقصى من الإستفادة، في سبيل دفع حركة الثورة في مراحلها المختلفة إلى الأمام، وتحركات وخطب إمامنا العظيم نشير بوضوح إلى أن طبيعة حركته هي نفس طبيعة الحركة الحسينية، وعلى ضوء هذه الحقيقة علينا أن ننظر إلى نهضة الإمام ﷺ، فحركته تحمل وجوه شبه كثيرة مع النهضة الحسينية، وهي نموذج مأخوذ عن الحركة الحسينية».

ثورة الإمام الخميني ﷺ في مواجهة الإستكبار الأميركي والصهيوني:

يقول الإمام الخميني ﷺ: «إن أمريكا الإرهابية التي أشعلت النار في أطراف العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية، ترتكب في سبيل تحقيق مطامعها من الجرائم ما يأنف القلم عن كتابته، واللسان عن ذكره».

«إن أميركا أم الفساد والشيطان الأكبر» و «إن إسرائيل جرثومة يجب أقتلاعها من الوجود ولو قالت أميركا لا إله إلا الله فلا تصدقوها».

«إن عدونا المشترك هو إسرائيل وأمريكا وأضرابهما ممن يريدون القضاء على اعتبارنا و إعادتنا مرة أخرى تحت ظلمهم إن عليكم مواجهة هذا العدو المشترك أن نموت جميعاً أفضل من أن تعيش أذلاء تحت سيطرة الصهيونية وأمريكا».

نداء الله أكبر والثورة:

وقد أعتبر ﷺ أن النداء الذي فعل فعله في قلوب المستكبرين هو «نداء الله أكبر»، الذي نادى به شعبنا فأدخل اليأس في قلب الشاه في إيران، وهو النداء نفسه الذي مضاجع المحتلين في بيت المقدس.

«ألم يدرك القادة بعد، أن المفاوضات السياسية مع الساسة المحترفين

والجناة التاريخيين، لن تنفذ القدس وفلسطين و إنها تزيد الجرائم والظلم».

تحرير القدس محور ثورة الإمام قدس سره:

إن تحرير القدس كان هاجس الإمام قدس سره، لذلك خصها بيوم أسماء يوم القدس، وقال عنه: «إن يوم القدس يوم عالمي، وليس يوم يخص القدس فقط، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين. إن يوم القدس، يوم يجب أن يتعين فيه مصير الشعوب المستضعفة، وهو اليوم الذي يجب أن ينهضوا وننهض فيه لإنقاذ القدس، و إنقاذ إخواننا اللبنانيين من هذا الظلم، فهو يوم الإسلام ويوم إحياء الإسلام. إن المسلمين يبلغون مليار (يومذاك) نسمة، وينعمون بالتأييد الإلهي، والإسلام يحميهم والإيمان يدافع عنهم، فمن أي شيء يخافون؟

إننا نهضنا أمام أعدائنا الكثيرين والقوى العظمى، وهزيمناهم، و إن شعبنا العظيم لن يخاف من تحركات إسرائيل – في جنوب لبنان – وكذلك بالنسبة للفلسطينيين فإنهم لن يخافوا من إسرائيل أيضاً؟

إنها الثورة التي لا تقهر لأنها لا تساوم

لقد نادى قائد الثورة بنداء التحرر من ظلم المستكبرين، معلناً أن الهدف تحرير الأرض والإنسان وأن ثورة المستضعفين ستبقى رافعة راية الجهاد على نهج الإمام الخميني قدس سره ونهج القائد الخامنئي، خليفته، وولي أمر الأمة، بعد إمامها الثائر قدس سره.

إنه نهج واحد، ومسيرة متكاملة يقودها، في هذه المرحلة، القائد الخامنئي، الذي قال عند الإمام الخميني قدس سره:

«إذا كنتم تظنون أنكم تستطيعون أن تجدوا شخصاً مثل السيد الخامنئي، فلن تجدوا، إنني أعرفه منذ سنوات طويلة، منذ بداية النهضة

عندما كان يتنقل بين المناطق لأجل إيصال البيانات، وعندما وصلت الثورة إلى أوجها كان حاضراً في كل المواقع والأمكنة حتى النهاية، وهو الآن أيضاً كذلك، إنه نعمة أنعمها الله علينا، إني اعتبره أحد الأركان القوية للإسلام، وحامياً للمباني الفقهية المرتبطة بالولاية المطلقة للفقيه، وكالشمس تسطع بالنور».

الخميني ﷺ لا يتراجع، وإن بقي وحده:

لقد أعلن الإمام الخميني ﷺ مراراً، أن الثورة ستكمل طريقها وأن قائدها، ومفجرها ﷺ لا يثنيه شيء، و إن «على القوى الكبرى وخدامهم، ان يثقوا بأن الخميني سيواصل طريقه، طريق مواجهة الكفر والظلم حتى و إن بقي لوحده».

ويصرخ شاعر ثورة المستضعفين بوجه المستكبرين قائلاً:

الحاقد المسعور مد قنابلا
والله من كبر القنابل أكبر
طاغ ترى في الورد لفح سعاره
ويداه في صدر البراءة خنجرا!
ويمد أسطول الدمار مولولاً
وجراح طهران الفتوح تزمجرا!
الفارس البدري تلك ضفافه
أفق يلوح وألف مهر يخطر
لن يقهر الصاروخ ثورة «آية»
ترسو على شط السلام وتبحر

تتوائب الأيام عبر هديرها
فيتيه بالأجيال حرف مزهر
لم يعرف التاريخ غير سبيلها
رفضاً و إن جن الضياع المسعر!
صهلت بساحات الجهاد جيادها
كبراً وحمحم بالمثنى أشقر
يا للمآذن حين يكبر همها
وعداً ويختصر المسافة منبر

مع ثورة المستضعفين
في جهادها من أجل تحقيق النصر

ويحسن بنا، ونحن نتحدث عن ثورة المستضعفين في إيران، أن نمر مروراً سريعاً على بعض النقاط الأساسية، فنحدد أولاً، ماهية الثورة، ونشير إلى بعض الخطوط الثورية غير الإسلامية، مع الأشارة إلى المناخ الثوري الإسلامي، الذي استفادت منه ثورة الإسلام في إيران.

١- ماهية الثورة:

يظن البعض أن الثورة هي كل تحرك شعبي يتخذ العنف والقتل و «الحسل» طريقاً له، بدون مراعاة الموازين الإنسانية والأخلاقية، لأن المهم بنظرهم أن تنتصر الثورة ليس إلا، مهما كان الأسلوب، وكيفما كانت الوسيلة، من حيث الشرافة أو عدمها.

إلا أننا من منظور إسلامي، نرى أن الثورة تعني عملية تغيير للمفاهيم والعقائد والأوضاع السياسية والاجتماعية والإقتصادية والتربوية لتتطابق مع تعاليم منهج رباني، يهدف إلى تحقيق الحياة العادلة المستقرة السعيدة للإنسانية كلها، أو لشعب من الشعوب، ولهذا فإن الثورة الحقة لا تستخدم إلا الأساليب الشريفة، التي تنسجم مع مفاهيمها ومبادئها السامية والثورة الحقيقية لا تهادن الباطل، ولا تساومه، بل تصارعه حتى يزهق {إن البطل كان زهوقاً}.

جذور الثورة الإسلامية:

إن المنهج الإسلامي، منذ بداية نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ، وقيامه ببناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، ظل في حالة صراع وضعي، لا يستند إلى التشريعات السماوية والعودة إلى أحداث النصف الأخير من القرن العشرين تبرز بوضوح التيارات التي أصطدمت بالاتجاه الإسلامي في المجتمع الإيراني.

ويمكن أن نذكر نقاط عدة لمعرفة الأجواء المنحرفة عن الإسلام، والتي كانت سائدة في المجتمع الإيراني في ظل حكم آل بهلوي:

لقد عمل الشاه «المقبور»، لتثبيت وتجذير الأسس التالية:

١- إحياء القومية الفارسية: إذ جعل عنوان كيانه الجاهلي «الإمبراطورية الشاهنشاهية»، فضلاً عن تقليد الغرب في العادات والتقاليد والمطعم والمشرب والنظام التربوي، والحياة اليومية، بكل تفاصيلها، فضلاً السياسي والاجتماعي.

كما أنه كان يعمد إلى تمجيد ذكريات قومه الغابرين، لذا أقام الاحتفالات التي لم يرمثلها بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عاماً على تأسيس الأمبراطورية الفارسية، وبذل الأموال الطائلة، التي سرقها من الشعب، وألقى الورود من الطائرات، بهذه المناسبة، بما يقدر بالملايين من الدولارات.

ومما يدل على ذلك استخدامه الشارات الدالة على المجد الفارسي الوثني القديم، ومحاربة اللغة العربية، والأدب العربي الذي كان يحرس الروح الإسلامية في إيران، واستبداله التاريخ الهجري الإسلامي، بالتاريخ المجوسي.

٢- تغريب الحياة في المجتمع الإسلامي الإيراني: ومن مظاهر هذا

التغريب التأكيد على المفاهيم والتقاليد الغربية –كما ذكرنا– كالتعري والفسق والفجور إلى درجة أن عدد الكباريهات والملاهي، كانت أكثر بكثير من المستشفيات والمكتبات.

وقد جهد الشاه لفصل الدين عن السياسة، وهذا مفهوم غربي المنشأ، اوروبي المصدر ولكن نجاح الثورة أفسد عليه وعلى أسياده كل الخطط والأحلام.

الوضع الأقتصادي في زمن الشاه:

يتميز الوضع الأقتصادي في زمن الشاه، بأمرين:

١- التفاوت في المستوى الاقتصادي بين فئات الشعب.

٢- الإحتكارات الأجنبية.

أ- إن ملايين الفقراء في جنوب طهران كانوا يعيشون في أسوأ حال، اما في شمال طهران فالقصور الشامخة والمنتزهات، والشوارع العريضة، تضاهي ما في اوروبا، أما الأموال الطائلة، المحصلة من مبيعات البترول والغاز، فقد كانت تصرف على مشتريات السلاح، لأن الشاه كان يطمح أن تكون إيران القوة الخامسة في العالم، أما الكيان الصهيوني فقد كان يؤمن ٩٠٪ من الاستهلاك النفطي، بواسطة إيران الشاه، وقد كانت المنتجات الإسرائيلية تصدر عبر إيران، كما أن أكثر من (٣٠٠٠) إسرائيلي كانوا يعملون في إيران.

الشركات الإسرائيلية (المال –سوليل –بونيه) كان لها وجودها الأساسي، ولقد قام الخبراء «الإسرائيليون» بالإضافة إلى الأميركيين، بتنظيم الإدارة والمخابرات والشرطة في دولة الشاه، وقد بلغ عدد هؤلاء الخبراء الذين كانوا يعيشون في بذخ وثراء عام ١٩٨٠ حوالي ١٠٠,٠٠٠ خبيراً.

الوضع الأجتماعي:

١- تمكين الأقليات المعادية للإسلام، وذلك باعتماد الشاه على اليهود والبهائيين والماسونيين.

٢- سيطرة الأجانب على شؤون البلاد إذ أقر البرلمان الشاهنشاهي، لائحة الحصانة القضائية للخبراء الأميركيين مهما كانت جرائمهم.

٣- إشاعة الميوعة والخلاعة، إذ عهد إلى أخته أشرف بهلوي أن تؤسس الجمعيات المائعة، كما فتح مواخير الدعارة، وكانت محمية من قبل القانون الشاهنشاهي، وشجع الأفيون والخمور والحشيشة والترياك، فكنت ترى قوافل الشباب وقد افتراشوا الأرصفة والشوارع من تأثير المخدرات.

الوضع السياسي:

إن الوضع السياسي في عهد الشاه المقبور كان يقوم على الأسس التالية:

١- إيران الشاه هي شرطي أميركا في الخليج.

٢- مقاومة التغلغل للإتحاد السوفياتي السابق، في الشرق الأوسط.

٣- دعم إسرائيل ومساندتها.

٤- الارتباط الكامل بعجلة السياسة الأميركية، وأوروبا الغربية.

٥- قمع الثورات والانتفاضات، كما فعل الشاه بالنسبة لثورة ظفار في عمان إذ أرسل جيوشه إلى هناك.

٦- إقامة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وجنوب أفريقيا العنصري، وقد ذكر الإمام الخميني ﷺ في كتابه (الحكومة الإسلامية) أن الطائرات التي كانت تقل الحجاج إلى مكة المكرمة كانت إسرائيلية، وطياروها اسرائيليون أيضاً.

٧- مساندة الشاه للحركة الكردية وزعيمها البرازاني وبعد الاتفاق مع العراق عام ١٩٧٥ تخلى عن الأكراد، وهذا ما سهل عملية ضربهم يومذاك.

٨- النفط الإيراني كان يباع الأميركا وانكلترا وألمانيا الغربية واليابان بأرخص الأسعار، وكذلك كان الغاز الإيراني يباع للاتحاد السوفياتي السابق بأسعار زهيدة جداً.

٩- إقامة أجهزة تجسس مهمة على حدود الاتحاد السوفياتي السابق، فككها الأميركيون قبيل انتصار الثورة، خوف وقوعها بيد الثوار المسلمين.

إنها ثورة بحجم التاريخ والزمن

كلما مر عام جديد على انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كلما تكشفت حقائق جديدة عن هذه الثورة، التي لم تكن مجرد ثورة عادية قام بها شعب على حاكمه الظالم. بل إن مرور الزمن ورسوخ التجربة في أرض الواقع، وفي عالم والتأثير جعل المتأمل والدراس للأحداث التي انقضت، ولما يجري منها الأن على المستوى الدولي والإقليمي وحتى المحلي، يشعر بضرورة إعادة النظر في كثير من التحليلات والنظرات إلى حقيقة هذه الثورة وطبيعتها وقد تعدى ذلك المراقب إلى المتفاعل، والفاعل، من أبناء الثورة وقياداتها، بحيث أن وهج الفعل الثوري لم يتبدد بسبب ما زعم من انخفاض وتيرة الأعمال الثورية، وخمود العاطفة الجياشة بسبب تغير الكثير من الظروف المحيطة، وبسبب ما أسموه بعقلنة الثورة.

وليس أمراً عجيباً ما نراه من أن الثورة تتعمق وتترسخ وتمد جذورها في المجتمع، لتصل في تأثيرها إلى كل مناحي الحياة الإجتماعية ومجالاتها في إيران، بالإضافة إلى أن هذه التأثيرات الإيجابية قد تعدت حدود موطن الثورة لتؤثر في كل الأوطان، وعلى الخصوص في الوطن الإسلامي الكبير وتتبدل الاحوال و إذا بالاستكبار العالمي يوجه التهمة تلو الأخرى للثورة الإسلامية في إيران، بأنها وراء ما يحصل من إنتفاضات وتحركات ونجاحات للشعوب المستضعفة، ولحركات التحرر بمختلف أنماطها، وعلى إختلاف مشارب القائمين بها وتوجهاتهم، وهذا يدل –إن دل على شيء –على مدى التأثير التثويري للثورة على الشعوب المستضعفة، التي

جعلت من ثورة الإسلام بقيادة الإمام الخميني ﷺ رائداً وقائداً.

والحقيقة التي يتوقف عندها المتتبع لمجريات الأحداث، وللمتغيرات الدولية، والناظر بعين النقد، المتفحص لما يجري ويدور في أروقة المحافل الدولية، العارف بالمؤامرات التي تحاك من قبل الإستكبار ضد الشعوب المستضعفة، وحركات التحرر في العالم، يدرك أن هذه الثورة نسيج وحده في عالم الثورات، أو كما قيل هي (ثورة في مفهوم الثورة)، والأداء الثوري، إذ ليس المهم أن تقوم ثورة في أي مكان بل المهم أن تكون هذه الثورة ذات رؤى وتطلعات وبرامج قادرة على تحويل الفعل الثوري من فعل مؤقت، أو ردة فعل على ظلم ظالم، إلى فعل ذي طبيعة استمرارية، كما أن المحافظة على ثورية الثورة، وحمايتها من الإنحراف عن خطها المرسوم، ومن أن تغزى بالوهن والتباطؤ والتراخي، فتصبح ثورة بلا فعل ثوري، وتخدم بالتالي أهداف الثورة المضادة من حيث لا يدري روادها وقوادها، و إذا بها تسقط أمام الهجمات والمخططات العدوة، وترفع شعارات الحرية والتحرر لتمارس الظلم وتقيد الحريات باسم الحرية، وهذا من أدهى ما تصاب به الثورات...

وحدها ثورة الإسلام في إيران التي استطاعت أن تكون ثورة متكاملة في بيانها وأهدافها، ثورية في قياداتها، ربانية في برامجها وتوجهاتها، صائبة في نظراتها وصحيح أن هذه الثورة حدثت في (من خاص وفي ظروف معينة، وعند شعب معين، ولكنها مع انها تفجرت في إيران كبلد له حدوده الجغرافية المعروفة، فإنها ثورة بحجم التاريخ والزمن، وقيادتها قيادة تاريخية –بحق– كما سبق أن ذكرنا في بداية كلامنا عن هذه الثورة.

إن هذه الأوصاف ليست للاستهلاك والتغني، بل هي حقائق

موضوعية، وآية ذلك أن مضمون هذه الثورة هو الإسلام، الذي خرج من فمقم العزل عن قيادة الحياة والمجتمعات، إلى حمل راية صناعة الحضارة، وهذه الخاصية تجعل الثورة تستمد استمراريتها من استمرارية هذا المبدأ الإلهي، وحيويتها من تعاليم القرآن، وصديقتها من صدقية العمل المؤمن الرسالي الذي يتجاوز المصالح الآنية، ليربط السياسة، التي هي فن الممكن، حسب تعريف البعض لها –ضمن الظروف والحالات المتغيرة والنسبية، بالمطلقات من المبادئ والأهداف كما أن الثورة –أية ثورة، لا تتوفق لتحقيق أهدافها إلا إذا قيضت لها القيادة الملائمة، وقيادة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، وخليفته الخامنئي، حفظه المولى، تمتلك خصائص المبدأ وتعيشه في عملية إنسجامية كاملة مجسدة للمناهج الثورية للثورة، حتى أن الثورة أصبحت تعرف بالثائر المؤسس، فلا فصل بين هذه الثورة والقائد، فهو صانع الثورة ومرشدها وبالثورة ذاب هو فكان هو العنوان والمجسد للخط والقائد الإمام، وكانت هي ثورة الإمام، و إمام كل الثورات الحقة.

الإمام الخميني ﷺ قائد وقدوة:

إن الكلام عن الإمام الخميني ﷺ كلام تسربه النفس وتأنس، ويرتاح إليه القلب والروح، لأنه كلام عن الشخصية العالمية الفذة التي صنعت في دنيا السياسة والثورات معجزة القرن العشرين، وكل قرن، ومن هنا حق لنا أن نتحدث عن الإمام ﷺ، كقائد وقدوة، ولعل من أعظم الكرامات التي خصه الله بها هي هذه الثورة المباركة التي قادها، ووجهها وحماها، وهيأ لها الظروف المناسبة من الناحية القيادية والسياسية، فساعد على إنضاج الظروف الذاتية والموضوعية لانتصارها. لذلك فإن النظر إلى هذه الثورة على أساس تبسيط الأمور يسيء للثورة وللثوار، وينشر موجة من

التعتيم على منجزاتها، وكذلك منطلقاتها، لذلك فإننا عندما نقول إن الثورة الإسلامية في إيران هي من كرامات الإمام الخميني قدس سره، إنما نعني بذلك أن القيادة –عادة وفي كل الأحوال –هي الرقم الكبير، الذي يجب أن يؤخذ بعين الأعتبار في صنع النصر لأية ثورة. ولا شك أن الأمام كان بالمستوى الذي خوله أن يحدث هذا الانقلاب الجبار في العالم.

و إذا كان يحق لنا أن نقوم الثورة، فإنه لا يمكننا إلا أن نقول إن الثورة الإسلامية في إيران هي أعظم وأعمق وأصدق وأنبل ثورة في العصر الحديث، لا بل هي أكبر وأعمق وأصدق وأفعل ثورة في كل العصور بعد ثورة النبي الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وثورة الحسين عليه السلام سبط النبي الكريم صلى الله عليه وآله.

ولكي لا يكون الكلام بلا دليل، لا محيص من الوقوف عند بعض أحداث وخصائص الثورة، حتى نرى بوضوح أن الثورة كانت من كرامات الأمام الخميني قدس سره كما ذكرنا، مع العلم أن قيمة كل ثورة تنبع من أهدافها ووسائلها وقيمها، فأهداف الثورة أهداف قرآنية عالمية تغييرية، وقيمها إسلامية إنسانية صادقة، ووسائلها شريفة نبيلة بمقدار شرافة ونبالة غاياتها. و إذا كان الإمام الخميني قدس سره والشعب المسلم في إيران قد صنعا ثورة إسلامية عظيمة، فإن الإسلام هو الذي صنع الأمام الخميني قدس سره، والشعب الثائر من أجل الإسلام في إيران، ومن هنا فإنه من الخطأ أن نرى الأمور بعين واحدة، ولا نلحظ العلاقة والترابط بين الأسلام والإمام، وبين الأمام والشعب، وبين الشعب والإسلام، فالإسلام والقضية الإسلامية في العالم، وقضية المشتضعفين هي الأساس، والمحور للتحرك الإسلامي.

ومن أجل مزيد من التعمق في البحث ومزيد من الوضوح نقف عند النقاط التالية:

أولاً: من المعلوم أن الوضع السياسي الذي كان سائداً في إيران في عهد الشاه، كان وضعاً لا يسمح بأي تحرك سياسي، لأن أدوات الشاه ومخابراته والسافاك كانت جاهزة للقضاء على أي تحرك في الساحة، إذ أنه لم يكن بإمكان أية مجموعة من الناس، أو من العاملين في حقل السياسة، أو من المعارضين للسياسة الشاهنشاهية، أن يجتمعوا فقد كان من المحظر على أكثر من ثلاثة أشخاص الأجتماع في أي مكان، و إلا كان القمع الشاهنشاهي يلاحقهم، بقدرته وقوته وسلاحه المتطور، الفاعل إذ أن قوته الحربية كانت كبيرة، إلى درجة أنه قيل عنها: إنها أضخم آلة في الشرق الأوسط.

أمام هذه القوة الجبارة، كانت قوة هائلة، ولكن من طبيعة أخرى تواجهها، ولعل أهم وأعظم قوة، هي التي تمثلت بقيادة الامام الخميني ﷺ للثورة، ثم السلاح المتطور حقاً، والذي فوجئ به الشاه وقوى الاستكبار العالمي، إذ أنهم أعلنوا عن عجزهم في فهم «طريقة تركيب» وفاعلية هذا السلاح، الذي لا يشبه سلاحهم المادي إنه سلاح (الله أكبر)، يضاف إليه وحدة الشعب حول القيادة، ودماء الشهداء. هذه الحقيقة قد ادركها عقلاء العالم، ومفكريهم، وشهد بها العدو قبل الصديق، وقد كتب أحد الصحفيين حول هذا الأمر، فكان مما قاله:

«يجب الإعتراف أن الاكثرية الساحقة من المراجع العربية والدولية لم تعرف كيف تتصرف تجاه الأحداث الإيرانية فقد تسارعت هذه الأحداث بينما هذه الأوساط العربية والدولية منصرفة أشد الانصراف إلى مواضيع وقضايا أخرى كانت في طليعتها أزمة الشرق الأوسط وبالتحديد المحادثات المصرية الإسرائيلية (يومذاك).

وجاءت الأحداث الإيرانية بطريقة مفاجئة، ومتلاحقة إلى حد أن

الأوساط العربية والدولية المعنية راحت تضرب أخماساً بأسداس، تارة ترحب بالتطورات الإيرانية كأنها ستكون لمصلحتها، موحية من طرف خفي أنها غير بعيدة عنها، بل أن لها علاقة وثيقة بها، وتارة أخرى تلزم الصمت كأن الأحداث الإيرانية هي زلزال إيراني، رقعته أوسع بكثير من الأراضي الإيرانية. لا ينفع فيه غير الترقب والأنتظار والواقع ان ما حدث ويحدث في إيران لا سابق له ولا شبيه لا في التاريخ الديني، هذا حسب قول الكاتب الصحفي، ولا في التاريخ السياسي، ولا خصوصاً في التاريخ المعاصر الذي تحركت من داخله، وعلى أساسه الاوساط العربية المعينة، لذلك ظهر على هذه الأوساط، ليس فقط كأنها لم تعرف كيف تتصرف تجاه الأحداث الإيرانية، بل أيضاً كأنها لم تعرف، وهذا الجهل هو الطابع المميز لمعظم التصرفات العربية والدولية تجاه ما جرى في إيران. وهذا الجهل وهو ليس عيباً، بقدر ما هو تقصير، يدفع جميع الأوساط العربية والدولية تقريباً إلى التحدث عن المجهول، وهذا أمر طبيعي، فالمجهول الإيراني يفترض أن يؤدي إلى مجهول آخر، حتى أن الافتراضات المتناقضة باتت واردة في الوقت ذاته عند الأشخاص المعنيين أنفسهم والمسؤولين عن الحكم والمحكومين في هذه الأوساط العربية والدولية، إلا أنه من حق الإنصاف القول أن معظم الأوساط العربية والدولية التي تحاول أن تتنبأ نبؤات مصيبة وصحيحة، بالنسبة إلى الأحداث الإيرانية هي نفسها، التي لم تكن تتوقع لا ذهاب الشاه ولا خصوصاً عودة آية الله الخميني».

ويضيف الكاتب: «وما دامت هذه الأوساط قد أخطأت هذا الخطأ الكامل فإن استنادها هي، واستناد الأوساط التي تثق فيها عادة إلى نبؤاتها وتنبؤاتها بالنسبة إلى ما سيجري في إيران بعد الآن مسألة فيها نظر....

وستظل هذه الحقبة الزمنية الفاصلة مؤشراً كامل النجاح على ما

تستطيعه حركة شعبية أصلية وأصلية في سبيل تغيير مصيري داخلي وخارجي يتعلق به وجود المواطن ووجود الوطن. هذا الدرس الإيراني وضع العالم كله، وهو العالم بكل شيء، (من أمور السياسة) في وضع التلميذ الجالس القرفصاء فوق سجادة عجمية يتلقى أبسط درس ديني سياسي وطني، من أبسط إنسان موجود (وجد) في عالم الحكم والحكام في العالم كله»[1].

نعم إنه أبسط إنسان من ناحية العيش والتعامل مع الأشياء المادية، ولكنه قائد صنع معجزة، إنها معجزة الثورة الإسلامية المباركة التي تدعو كل قواد الثورات في مشارق الأرض ومغاربها، إني تعلم الدروس الثورية منها، كل ذلك بفضل الإسلام العظيم الذي صنع هذا النصر العظيم والنص الصحفي، الآنف الذكر، قد نقلناه مع طوله لنعطي صورة واقعية، عن الكيفية التي كان ينظر فيها إلى هذه الثورة، من مختلف الأوساط، وخصوصاً الاوساط الصحفية...

شعار الثورة: «يا مستضعفي العالم اتحدوا»

سبق القول إن الثورة الإسلامية في إيران كانت من معجزات الإسلام العظيم ومن كرامات الإمام الخميني ﷺ. ونحن إذا أردنا أن نتعرف إلى عظمة الإمام ﷺ،إلى خصائصه القيادية، ينبغي علينا ان نتعرف إلى خصائص الثورة وأبعادها قبل كل شيء.

ولقد لوحظ جلياً أنه منذ أن انطلقت ثورة الإسلام في إيران، و إذا بالشعوب الإسلامية تستفيق وتستيقظ على أصوات التكبير الهادرة من المظاهرات المليونية، و إذا بالانتفاضات الجماهيرية تبرز هنا وهناك، مع اختلاف الخصائص، لجهة العمق والشمول، ولقد كان القاسم المشترك

(١) أبو جودة: (ميشال) جريدة النهار (البيروتية) – ٢ / ٢ / ١٩٧٩م.

لهذه الانتفاضات، هو حالة الاستضعاف والمظلومية التي تعانيها هذه الشعوب بسبب استكبار المستكبرين، وانحراف المنحرفين، ولا شك أن الإسلام كان المحرك الأساسي لكل ذلك.

لقد زلزلت الثورة الإسلامية بنيان الظلم في العالم، و إذا «بعفاريت الاستكبار العالمي»، في الشرق والغرب، تخاف من هذه الزلزلة الإسلامية التي انطلقت من أرض أيران، يقودها إمام قد أمسك بيده القرآن ونادى في الناس: هلموا إلى رحاب الله، وحكم الله، وعدل الله، وناهضوا الإنحراف، والظلم والاستكبار، فتجاوبت مع هذا النداء القلوب المعذبة، والأرواح المضطهدة، وانتشرت إشعاعات الثورة في كل مكان، و إذا بها تنشر أيضاً روحاً جديدة لم تكن موجودة، في العالم وبدأ قواد المعسكرات الاستكبارية يحسبون ألف حساب لما سيحل بهم بعد انطلاق المارد الإسلامي من القمقم، وظنوا أنهم بشيء من الحيل وأساليب الخداع، والتهديد والوعيد يمكن لهم أن يخيفوا ثوار الإسلام، فخططوا لكل ذلك، ونفذوا بعض هذه الخطط وكان ما كان من فشلهم الذريع الذي جعلهم يفقدون صوابهم، أمام صمود الصامدين من أبناء الإسلام والمستضعفين.

لقد تميزت ثورة الإسلام في إيران عن غيرها من الثورات، والكل يعلم انه إن قامت ثورة في العالم، أو كل ثورة في العالم، كانت تقوم، كانت تسخدم القبضة الحديدة للإمساك بزمام الأمور، فتنتشر الدبابات والأسلحة في الشوارع لحماية الثورة، و إذا بالمطارات تغلق وكذلك الحدود، ويمنع التجول في الطرقات، ويحظر التجمع على أفراد الشعب، وتملأ المخابرات والشرطة كل مكان، تدقق في هويات الأشخاص، ويمارس العمل القمعي للحفاظ على الانتصارات الثورية، إلا أن الثورة الإسلامية قلبت المقاييس كلها...

وفي هذا الصدد يقول أحد المشاركين في العمل الثوري الإسلامي: «الثورة انتصرت أولاً عندما تحطمت القوة العسكرية، وابتدأ النصر عندما احترقت كل مراكز البوليس، وعندما تحطمت وانحلت المخابرات (السافاك)، إضافة إلى ذلك جاءت الأسلحة إلى يد الشعب بمقدار يمكن أن يكفي ٣٠٠ ألف شخص. وحوالي ٦٠ ألفا من البوليس السري «السافاك»، ومن الذين كانوا غير معروفين، حملوا السلاح واندسوا بالشعب وكان لهم اتصالات مشبوهة مع اسرائيل والمخابرات الأميركية وبعض جنرالات الشاه، ولم يكن بالإمكان مراقبة الحدود (في ذلك الوقت) فقد حطمت بعض مراكز الرادار إذن كيف نستطيع الدولة أن توفر الأمن في البلاد لم يكن هناك من خيار سوى أن يترك أمن البلد للشعب، وبذلك تألفت في كل حي ودسكرة قوة من الشعب لتحمي المكان الذي تتواجد فيه، فتألفت في اليومين الأولين للانتصار ثمانية عشر ألف مجموعة، كان واجبها حفظ الأمن الداخلي، مع النقص الكبير في التعليمات السياسية والأسس العسكرية لملاحقة الأعداء والجواسيس»[1].

إن شعبية الثورة، واعتمادها على الأمة وعلى المستضعفين كانت من العوامل الرئيسة في نجاح الثورة، كما أن أيديولوجية الثورة الإسلامية المعتمدة على المنطلقات القرآنية خولت الثورة أن يكون لها جماهيرها خارج حدودها الدولية، وأن يكون لها امتدادات خارج إيران، وذلك باعتبار أن الإسلام دين عالمي، وثورة تهدف إلى تحطيم الفساد في كل أنحاء العالم سواء كان على المستوى السياسي أم الاجتماعي أم الاقتصادي أم غير ذلك.

إن الثورة لم تعترف بحواجز تقف أمامها فتمنعها من الانتشار بروحها

(١) المؤتمر الصحفي للوزير «الطباطبائي» ٢٢، تاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٧٩م.

وتعاليمها، في العالم، إذ أن لا إقليمية الثورة ولا قوميتها، وبالتالي عدم قيامها على أساس الصراع الطبقي كما في الثورة البلشفية جعلها ثورة ذات طابع إنساني عالمي، لا تمنعها الحواجز ولا المعوقات عن الأنتشار والذيوع والوصول إلى قلوب وعقول المستضعفين في العالم.

إن الشعار الذي رفعه قائد الثورة و إمام الأمة ﷺ، وقدوة الثوار، يبين عظمة الثورة وقائدها، ويدلل على بعد النظر، وفهم الساحة العالمية، والقدرة على قيادة الأمة بكفاءة عالية، مستمدة من إمداد غيبي إلهي، إذ لا يمكن فهم التطورات التي جرت وتجري وفهم خط سير الأحداث إلا من خلال رؤية العنصر الإلهي، والعون الرباني لهذه الثورة، بحيث تغدو الثورة من ثمرات جهاد وصبر وصمود الإمام الخميني ﷺ، ويغدو الأمام ضرورياً للثورة و إلا لانقلبت الأمور رأساً على عقب.

إن الشعار العالمي الذي رفعه الإمام ﷺ هو «يا مستضعفين العالم اتحدوا» بل إن هذا الشعار جسد المفهوم القرآني الثوري الذي يهدف لتحرير المستضعفين وذلك أن الإسلام ينظر إلى الإنسان كأساس وكمحور، ويرى أن سبب الانحراف الأساسي عن طريق الحق هو ممارسات الاستكباريين، وأنظمتهم ودولهم وأجهزتهم.

إن هذا الشعار يوضح، بما لا يدع مجالاً للشك، أن دعوة الثورة هي لكل مظلوم ومستضعف في العالم، من أبيض وأسود، في بلاد الإسلام وخارجها، في أميركا وأوروبا وآسيا، إذ لا فرق بين الشعوب، ولا عدو للشعوب سوى الاستكبار العالمي.

من هنا كان التفاف الشعوب حول الثورة، والتفاف الشعب الإيراني، حول قيادة الإمام ﷺ، وقيادة خليفته السيد الخامنئي ولي أمر الأمة.

والله در الشاعر، عندما يقول أبياتاً جميلة في الإمام الخميني ﷺ في تلك الأيام المجيدة:

آيـــة الله لا يحـــب الكلامـــا فبمـاذا يـا شـعر تلقـى الإمامـا
الإمـــام الكـــبير نبعـــة طيـــب منبـت الـورد عنـده والخزامـى
الخمـــيني إن ســـعيت إليـــه عـــن الله ثـــورة وإعتصـــاما
والـثم السـيف فهـو الله سـيف هـــاشمي يحطـــم الأصـــناما
غن في القـدس مسـجداً مسـتباحاً آيـــة الله عنـــه لـــن تنامـــا
لـن ينـام الأمـام حـتى إنتصـار يســـترد الرايـــات والأعلامـــا

من ثمار ثورة المستضعفين الإسلامية في إيران:
* المقاومة الإسلامية في لبنان.
* والمقاومة - الإنتفاضة في فلسطين المحتلة.

الإمام الخميني قدس سره يتحدث عن المقاومة الإسلامية في لبنان مأ اكبر هذه الحجة!!

«أعلن عن دعمي التام، ودعم إيران شعباً وحكومة ومسؤولين لكل أشكال الجهاد الإسلامي للشعوب والشبان المسلمين الغياري، وأتقدم بشكري للشبان اللبنانيين الأعزاء الذين أصبحوا مدعاة لفخر الأمة الإسلامية وقد تمت الحجة الإلهية على كافة العلماء ذلك أنه بلغ إندفاع شباب الإسلام نحو الشهادة ذروته دفاعاً عن مقدساتهم الدينية كما فعل شباب حزب الله –لبنان، فما أكبر هذه الحجة».

الإمام الخميني قدس سره

«إسرائيل»، بنظر الإمام الخميني قدس سره بؤرة الفساد ولابد من إجتثاث جذورها

«إن بؤرة الفساد –هذه –قد زرعت في قلب العالم الإسلامي بدعم الدول الإستعمارية الكبرى، و إن جذورها الفاسدة التي تهدد كل يوم البلدان الإسلامية، لادب أن تجتث بهمة وتعاون شعوب هذه البلدان، إن «إسرائيل» نفذت هجوماً مسلحاً ضد الدول الإسلامية بدعم من الإستعمار، ولابد مو مواجهتها.

إن أي نوع من الدعم والعون لإسرائيل، بشكل بيع الأسلحة والمواد المتفجرة الأخرى، أو بشكل بيع النفط، حرام ومخالف للإسلام، كما أن إقامة العلاقات مع إسرائيل وعملائها، سواء كانت علاقات تجارية أو سياسية حرام ومخالف للإسلام، ويجب على المسلمين أن يمتنعوا عن استخدام البضائع الإسرائيلية، أدعو الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين».

المقاومة الإسلامية في لبنان من ثمار ثورة المستضعفين في إيران

إن المقاومة الإسلامية في لبنان، ما كانت إلا تنفيذاً لأوامر إمام الأمة الخميني ﷺ، عندما أدرك أن هناك رجالاً، قد عزموا على مواجهة العدو الصهيوني، «الذي أحتل أرضنا، وشرد شعبنا، وعمل على إذلالنا، لتحقيق أهدافه الدنيئة، تثبتاً لأقدام أمريكا في المنطقة، وتحقيقاً لأحلام الصهاينة في بلادنا، من إقامة «إسرائيل الكبرى»، أو «إسرائيل العظمى، أو الصغرى» كخطوة على طريق تحقيق أهدافهم الاستيطانية، في اغتصاب الأرض، واحتلالها، لبناء دولتهم المزعومة، من الفرات إلى النيل....

ولقد ثبت للقاصي والداني، وحتى لأولئك الذين كانوا يشككون، ضعفاً أو خوفاً، بنهج المقاومة الجهادي، أن لا حل ولا طريق أفضل وأفعل لبلوغ الأهداف المرسومة، من الجهاد والمقاومة، وقد آتت عمليات المقاومة أكلها، في لبنان، فطردت العدو، وكان الأنتصار الكبير، الذي تحقق على أيدي أبطال المقاومة الإسلامية، الأشاوس، في الخامس والعشرين من شهر أيار عام ٢٠٠٠م، وتحرر الجنوب والبقاع الغربي، ما خلا مزارع شبعا التي لا تزال المقاومة تجاهد لتحريرها...

والمقاومة، خلال مسيرتها المظفرة، من أجل تحرير الأرض والإنسان، لطرد العدو من لبنان (وقد تحقق ذلك)، ومن فلسطين، كل وقفت بوجه كافة التسويات، والمعاهدات، والمفاوضات، والترتيبات لأن ذلك، لا يخدم إلا أهداف العدو الصهيوني.

يقول الإمام الخميني ﷺ:

«إن «إسرائيل» عدو البشرية، وعدو الإنسان، وفي كل يوم تخلق فاجعة إن إسرائيل، عليها أن تعلم أن أسيادها قد خسروا موقعهم الأجتماعي في العالم (و إن مارسوا غطرستهم ضد الشعوب المستضعفة)، ولابد لهم من الأنزواء، ولابد لهم من قطع أطماعهم في إيران، ويجب أن يمتنعوا عن التدخل في جميع البلاد الإسلامية...

إن شعبنا العظيم لن يخاف من هذه التحركات اليائسة، و إن تحركات إسرائيل في جنوب لبنان، وبالنسبة إلى الفلسطينيين تحركات يائسة إنها تحركات الفاسدين في نهاية أمرهم كما صنع الشاه في إيران، وانتهى بهلاكه وفنائه...

ولتعلم الحكومات في العالم أن الإسلام لن يهزم، وأن الإسلام وتعاليم القرآن، لابد أن تنتشر ولابد أن يكون الدين هو الدين الإلهي إن الإسلام هو دين الله، ولابد أن ينتشر في الأقطار الإسلامية»[1].

ويؤكد الإمام ﷺ أن المعركة الأساسية هي مع الاستكبار العالمي، المتمثل «بالشيطان الأكبر، أمريكا»، وخصوصاً أن هذه الدولة المستكبرة، تقف وراء كل الاعتداءات الصهيونية، على الشعب اللبناني، والفلسطيني، وتحاول، بدعمها اللامحدود للكيان الصهيوني، أن تسقط كل أحلام أطفال فلسطين، وجهاد أبطال الانتفاضة –المقاومة، عبر المساندة الأمريكية، في مختلف العهود الرئاسية للولايات المتحدة الأمريكية، ويكفي أن تسمع تصريحاً واحداً منهم، لتعلم ما يريدون، و إن اختلف هؤلاء في شيء، فإنما اختلافهم هو في مزايداتهم على دعم العدو

(١) أنظر: للمؤلف: كتابي: ١- العنصرية الصهيونية اليهودية (المقدمة ص ٧ وما بعدها).٢- معالم الكفر والإيمان، ص ٧١٧.

الصهيوني، ولعل التعبير الذي أطلقه كلينتون في مقابلة مع النيويورك تايمس، قبيل انتخابه، يعبر عن الحد الأدنى، من التأييد، الذي تحدث عنه بوش الأب سابقاً، وبوش الأبن لاحقاً وما بينهما، بأساليب مختلفة، تنم عن دعم كامل وشامل للصهاينة...

يقول كلينتون: «تجديد التأكيد على التزامنا القوي بالمحافظة على تفوق أسرائيل النوعي على أعدائها المحتملين».

ويقول: «إن مصير إسرائيل على المحك، و إسرائيل هي مثل أمريكا، دولة ديمقراطية قوية، ورمزاً للحرية، وواحة للتحرر علينا أن نحافظ على التزامنا الخاص تجاه شريكنا الديمقراطي أي إسرائيل وأمنها الشامل».

إن الكيان الصهيوني مصمم على تحقيق أهدافه الاستيطانية واغتصاب كامل الأرض –إن إستطاع –من الفرات إلى النيل، وبدعم من القوى الاستكبارية، وخصوصاً أمريكا، وقد تحدث عن ذلك ولي أمر الأمة، السيد الخامنئي فقال:

«إن الصهاينة لم يغضوا الطرف عن أهدافهم، ولم يتراجعوا عما قالوه بألسنتهم: «من الفرات إلى النيل» وما زالوا مصممين على التوسع للوصول بواسطة تثبيت موطئ أقدامهم أولاً، وعندما يرسخون موطئ قدم لهم يمارسون الضغط والهجوم والإجرام والقوة والعنف ليتقدموا إلى الأمام ما وسعهم ذلك».

إن هذا الإصرار الصهيوني، على أهدافهم الإجرامية، لابد أن يواجه بإصرار إيماني من قبل المجاهدين، الذي عرفوا طريقهم وحددوا ماذا يريدون، وهذا يعني أن الانتفاضة في فلسطين والمقاومة في لبنان، وكافة الحركات الثورية الإسلامية والوطنية مستهدفة لأن أمريكا والكيان الصهيوني يخشيان هذه الحركات، وخصوصاً أن الانتفاضة –المقاومة،

والمقاومة الإسلامية تشكلان جداراً صلباً يصعب على العدو اقتحامه، كون الفكر الإسلامي، والروح الدينية الإيمانية الجهادية هي الدافع للعطاء والبذل، فضلاً عن أن الجماهير الواعية لمتطلبات الصراع تحمي هذه الحركات.

ثم إن العداء للعدو الصهيوني عداء باق ومستمر بقاء آيات القرآن الكريم، التي تتحدث عن بني إسرائيل العصاة، العتاة وكذلك فإن تعالي السيد المسيح عليه السلام تشير بوضوح لعداوة اليهود للمسيح عليه السلام ورسالته.

وعلى هذا، فإن المقاومة سواء في لبنان أو في داخل فلسطين ضرورة لا غنى عنها، لانها سر عزة هذه الأمة وكلمات أرباب الرأي من الصهاينة وقادتهم خير شاهد وقد برز هذا منذ البداية وكمثال على ذلك، ما قاله البروفسور:

* «أشعيا ليبوفيتش»، أمام مشهد تشييع ثمانية جنود من أصل تسعة إلى المقابر الإسرائيلية، يوم الجمعة في ٢٠ / ٨ / ١٩٩٣م، وهم الذين قتلوا في عملية شيحين الشهيرة، قال:

«إن ما حدث في لبنان خطوة أخرى نحو انتحار إسرائيل ولن تجد الإنسانية أمامها سوى القضاء على دولة إسرائيل».

* «ويقول المفكر اليهودي «صموئيل لوربتس»:

«في جنوب لبنان، الآلة «العسكرية» الإسرائيلية العملاقة، تبدو مذعورة ومشلولة تماماً أمام مقاتلين قرروا ان يموتوا من أجل حرية أرضهم وعليه إذا أصرت القيادة الإسرائيلية على الاحتفاظ بجنوب لبنان فإن مصير إسرائيل سيكون اللبننة دون شك».

إلا أن القيادة الإسرائيلية فرت هي أيضاً من جنوب لبنان مع آلتها العسكرية العملاقة وانتصرت المقاومة على الجيش الذي لا يقهر!!

قادة صهاينة يعترفون بالهزيمة:

* يقول إسحاق شامير رئيس وزراء العدو الأسبق:

«لم يخطر ببالي أن أحيا لهذا اليوم الذي ترغم فيه دولة إسرائيل وجيشها الذي وصفه أعداؤنا وأصدقائنا، بأنه الجيش الذي لا يقهر، على الفرار أمام طرف عربي ما الذي حدث؟ وكيف تجري الأمور على هذا النحو؟

بضع مئات من مقاتلي حزب الله يجبرون الدولة الأقوى في الشرق الأوسط على الظهور بهذا الشكل الإنهزامي!

لقد أثبتنا للعرف دائماً أنه أيها العرب إذا اردتم شيئاً، بعضاً من أرضكم، بعضاً من قراكم وبلداتكم، عليكم أم تتكلموا معنا، وأن تفاوضونا، ونحن نرى ماذا يمكن أن نعطيكم أو لا نعطيك.

لكن حزب الله أثبت أن هناك عرباً من نوع آخر.

إنني من جيل آمن بأن دولة إسرائيل لا يليق بها في هذا الشرق الإسلامي أن تظهر معالم الضعف أمام أعدائها، ولكن فيما يبدو لقد تجاوزنا هذه المرحلة، وعلينا أن نهيئ أنفسنا للمزيد من هذه المظاهر».

* ويقول رفائيل إيتان رئيس أركان جيش العدو الصهيوني السابق:

«إن انتصار حزب الله الكاسح على دولة إسرائيل، يحمل في طياته عواقب وخيمة جداً على مستقبل الدولة، و إمكانية بقائها بسلام في هذا الوسط المعادي لقد أعطى حزب الله الدليل على أن اللغة الوحيدة التي تجبر إسرائيل على تقديم التنازل هو القوة، والقوة فقط.

إن هذا الأمر، أمر خطير لأنه سيدفع المزيد من العرب لسلوك طريق حزب الله، لا أريد أن أكون يائساً، لكنني أعتقد جازماً بأن إسرائيل بعد انتصارات حزب الله ليست هي إسرائيل التي عرفها العرب في الماضي».

إنها الحقيقة المرة لقد «اثبت حزب الله أن هناك عرباً من نوع آخر»، وأن انتصار المقاومة على العدو الصهيوني «دفع المزيد من العرب لسلوك طريق حزب الله» ولم تعد «إسرائيل» هي «إسرائيل التي عرفها العرب في الماضي» لذلك، شق الشعب الفلسطيني، البطل حقاً وصدقاً، طريقه، فكانت الانتفاضة، المقاومة، من ثمار الثورة الإسلامية في إيران، كما أنها استوحت الكثير من أساليبها، وتكتيكاتها من المقاومة الإسلامية في لبنان.

ثورة المستضعفين الإسلامية في إيرانوانتفاضة الشعب الفلسطيني ضد العدو الصهيوني

إن فلسطين و «القدس» هي القضية المركزية بنظر الجمهورية الإسلامية، ولهذا فإن من البديهي ان تدعم الثورة الإسلامية هذه القضية وشعبها بشتى أنواع الدعم بغية تحرير فلسطين والأقصى من الإحتلال الصهيوني البغيض.

وقد شرح هذا الأمر ممثل حركة الجهاد الإسلامي (فلسطين) في لبنان، أبو عماد الرفاعي:

«الواقع أن الشعب الفلسطيني، وأثناء جهاده المتواصل في سوى الثورة الإسلامية في إيران بينما أكثر الأنظمة العربية وبعض القيادات الفلسطينية كانت غارقة في تنفيذها ما يملى عليها من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

لم يستطع الكيان الصهيوني إنهاء الإنتفاضة الأولى بكل وسائل القوة المتاحة لديه، لكنه استطاع إجهاضها عبر ما يسمى عملية التسوية، وتوقيع إنفاق أوسلو، وما تلاه من إتفاقات تهدف إلى تصفية القضية

الفلسطينية، تلك الاتفاقات إلى اعلنت الثورة الإسلامية رفضها لها، وتحملت جراء موقفها المبدئي هذا، الكثير من الضغوطات والتهديدات الأميركية والصهيونية. ولعل تجربة الإنتفاضة الاولى بسنواتها الست أو السبع أفادت القوى الإسلامية المجاهدة في فلسطين كثيراً، واستطاعت بالتالي أن تقنع الشارع الفلسطيني برمته أن التيار الجهادي في فلسطين كان على صوات عندما وضع نصب عينيه التجربة الجهادية في إيران، يستفيد منها ومن مواقفها الثابتة المعادية لقوى الاستكبار العالمي المتمثلة بأميركا والكيان الصهيوني. وهذا ما تعزز في الإنتفاضة الثانية (إنتفاضة الأقصى) حيث استعاد الشعب الفلسطيني زمام المبادرة وهب للدفاع عن الأرض والمقدسات في مواجهة الغطرسة الصهيونية، وكل محاولات تصفية القضية.

إن إنتصار حزب الله في جنوب لبنان، وبروز دور القوى المجاهدة الفلسطينية في عملياتها الاستشهادية النوعية في فلسطين يؤكد يوماً بعد يوم أن الثورة الإسلامية في إيران هي الطريق الصحيح لإحقاق وتحقيق التوازن مع قوى العدو أينما كانت»[1].

ومما لا شك فيه أن التزام الثورة الإسلامية في إيران بدعم حركات التحرر، وخصوصاً المقاومة في لبنان والأنتفاضة في فلسطين، لا يعود إلى أسباب ظاهرية أو مصالح عابرة إنما يعبر عن رؤية وقناعة واضحة في ضرورة خوض الصراع مع الاستكبار والصهيونية، والمساعدة عليه بمختلف الوسائل والطرق. وقد تحدث ولي أمر الأمة السيد الخامنئي عن هذه القناعة، ومن جملة ما قال:

«جاءت ثورتنا بفلسفة جديدة، وبقي ملتزمة بها حتى اليوم لقد أثبتت

(١) من مقالة لأبي عماد الرفاعي – مجلة بقية الله – العدد ١١٣، شباط ٢٠٠١م.

ثورتنا بانه من الممكن الوقوف بوجه الهيمنة وعدم التأثر بجبروتها وطغيانها، وعدم الإستسلام أمام ابتزازها، على شرط أن تمتلك الإيمان بوجود قدرة أقوى من كل قدرة مادية يعتمد عليها، ألا وهي قدرة الله سبحانه وتعالى».

ويؤكد الإمام الخامنئي (حفظه المولى) على مسؤولية الحكومات والشعوب العربية، في دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني، فيقول: «إن الحكومات والشعوب المسلمة وخاصة العربية تتحمل اليوم مسؤولية كبرى، فواجب الحكومات ثقيل وخطير للغاية، لكن ثقل واجب الشعوب خصوصاً علماء الدين والشخصيات السياسية والنخب الجامعية والمثقفة وسائر العناصر الفاعلة ليس بأقل من ثقل واجب الحكومات. وهذه المسؤولية تتخلص في إيصال المساعدات ورفع المعنويات ودفع عجلة هذا الجهاد المقدس»[1].

ويقول (حفظه المولى): «هناك تكليف شرعي بدعم الانتفاضة بكل الوسائل المتاحة لدى المسلمين».

(١) من كلام للإمام الخامنئي (حفظه المولى) في افتتاح المؤتمر الدولي عن الإمام الخميني قدس سره ودعم القضية الفلسطينة الذي أقيم في طهران بتاريخ ٢، ٣ حزيران ٢٠٠٢م. أنظر: قاسم: الشيخ نعيم – كتاب حزب الله (المنهج – التجربة – المستقبل)، ص ٢٦١، دار الهادي – بيروت.

إليك يا إمام
إليك يا قائد الاحرار

إليك... لإليك يا إمام
يا قائد الأحرار...
يا أبا الثوار...
إليك من كل مستضعف.... محروم
من كل لهيف... من كل مظلوم
من كل ضعيف....
إليك إليك السلام
يا إمام...
****

إليك يا جمهورية الخير، إليك إيران
يا بؤرة النور يا معقل الأحرار
يا جنة الشهداء.... والأخيار
يا بلاد العطاء.... والعلماء، يا منبت الثوار
إليك إلى القائد إلى الإمام
* * * *

إليكم... نشيد ألام المستضعفين
إليكم.... نداء أطفال وأيتام
وصرخة ثائرحر...

وحشرجات من الأعماق
وأصوات... ونداءات المؤمنين
وهمهمات كل أسير في الزنازين
يتلو آيات القرآن
ويصرخ بالجلادين
من صهاينة وأمريكان:
المجد الله.... المجد للإسلام
و إليك إليك السلام..... يا إمام
* * * *
إليك.... إليك يا إمام...
عهد الوفاء ... إليط يعبر
يا إمام... يا إمام
فوق أنقاض بيوت فلسطينية
مضرجة بالدماء الأبية
وبقايا طفل.... صغير... صغير
مزقته قنابل يهودية...
ورفات عجوز سقط بصواريخ
أمريكية....
إليك... إليك يا إمام
آهات الثكالى.... من الأمهات
تدوي منهن الأصوات
خارجة من كل حنجرة ممزقة...
ممزوجة بآلام... وتاوهات....

* * * *

إليك إليك يا إمام
نرفع شكوانا.... فقد سئمنا
تلك القيادات...
إن جعنا... إن عطشنا... لا جرم
فإننا نقتات من فتات الخبز
نعم من فتات الخبز نقتات
من تراب الأرض من الأعشاب اليابسات
نقتات نقتات ولا نركع للطغاة

* * * *

ولو من جوع مات أطفالنا والنساء
ولو من مرض أو من جراثيم الوباء
ولو من ظمأ إن جف من العيون الماء
سنبقى على العهد يا إمام
فإليك إليك عهد الوفاء يسافر
وفي كل لحظة حبنا لخطك يكبر
وللقائد الملهم سلام يا إمام

* * * *

إليك عبر سيل من دماء
إليك في سفينة التضحيات
وأشرعة عاليات
عبر ضراعات الوفاء لدين السماء
إليك منا السلام

يا إمام يا إمام

* * * *

بدمائنا، بدمائنا نخضب تراب الوطن
بدمائنا، بأوراحنا نفدي نهج الإمام
ومن مجاهدينا نستلهم روح العطاء
من شهداء الحق ومن سقط في ساحة كربلاء
من دماء الحسين سيد الشهداء
من دماء الصحب الكرام فوق الرمضاء
من كل هؤلاء تعلمنا دروس الفداء
من نوافذ منازلنا
صدحت ترانيم الشهادة
والجهاد والمقاومة
ودوى صوت زينب عليها السلام
في مدائننا فإليك إليك يا إمام
إليك إليك السلام....

* * * * *

إليك إليك يا إمام
للإسلام عهد الوفاء
فوق أمواج متلاطمات يعبر
ولليم الزاخر يمخر
فغيث سقى تربتنا وأمطرت السماء الدماء
وأضاء ليل الأمة من جديد
بثورة قرآنية معطاء

ومقاومة باسلة في لبنان
وانتفاضة تزرع في فلسطين
في بيت المقدس بدل أغراس الشجر
ازرع الشهداء
لتحصد النصر المؤزر...
كما حصدت انتصارها مقاومة الأعداء
وطردت من جنوبنا الحبيب
جيوش صهيون، وكل العملاء
* * * *
إليك إليك يا إمام
عهد الوفاء فقد أزهرت براعم الحقيقة
وأضاءت ثورتك عتمتنا
ورفضت نهضتك فكر العبيد والكبراء
فعهداً عهداً إليك عهد وفاء
لنعيد للدين مجد الدين ومجد القرآن
فجهاد حمزة في ضمائرنا
وجهاد علي لا يفارقنا
في معركة بدر وأحزاب الخندق...
وهو ذا الحسين يقود الثوار
وبين يديه يستشهد الأحرار
ويؤذن مؤذن الجهاد
الله أكبر الله أكبر
أذن يا بلال فقد أشرق نور الهدى

من إيران من لبنان من فلسطين
من أقصانا وتفجر
غضب الاحرار...
وملاحم البطولات سطر
والمجد للقرآن للنبوات
للمسيح لمحمد الرسول
فها هو صوت الوحي يقرأ:
«غنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
إن شانئك هو الأبتر»
فإليك إليك يا إمام
إليك السلام والوفاء
يا إمام يا إمام
* * * * *